المملكة المغربية



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

# التفسير

## من خلال المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية

السنة الثالثة من التعليم الثانوي العتيق

كتاب التلميذ والتلميذة

عنوان الكتاب :

التفسير من خلال المحرر الوجيز
في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية
السنة الثالثة من التعليم الثانوي العتيق

الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

رقم الإيداع القانوني : 2019MO2608

ردمك : 978-9920-770-24-8

طبعة 1440هـ / 2019م



الإخراج الفني والطباعة



دار أبي رقراق للطباعة والنشر

10 شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط

**الهاتف** : 83 75 20 0537 **الفاكس** : 89 75 20 0537





# مقدمة

**أيها التلميذ، أيتها التلميذة:**

هذا كتابكما في مادة التفسير، يتضمن دروسا في تفسير سورة الكهف نعرضها وفق منهجية تربوية وأنشطة تعليمية، تراعي ما يأتي:

- الاعتماد في أصل مادة الكتاب على تفسير القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي المسمى بـــ «المحرر الوجيز، في تفسير الكتاب العزيز»، مع إغنائه بإتمامات وإضافات من تفسيري أبي حيان والقرطبي وغيرهما من أمهات كتب التفسير، خاصة في المواضع التي لم يتعرض لتفسيرها الإمام ابن عطية أو أوجز فيها العبارة واكتفى بالإشارة.

- تقديم محتوى الكتاب بأسلوب علمي تعليمي يتناول الآيات ومقاطعها بالتفسير والبيان في غير إطناب ممل، أو إيجاز مخل.

- مساعدتكما على استثمار مكتسباتكما السابقة من العلوم الشرعية واللغوية المختلفة، باعتبار التفسير مجالا تلتقي فيه مختلف العلوم وتتكامل، لاستخراج معاني كلام الله وكشف أسراره، والتمكن من حسن التعامل مع المعارف المقررة وتوظيفها في الفهم والاستنباط.

- تذييل كل درس بذكر بعض ما تتضمنه الآيات المفسرة فيه من لطائف وفوائد، توقفكما على جمال لغة القرآن الكريم وإعجازه البياني، وتثري معلوماتكما بمعارف علمية، ولطائف بلاغية، وهدايات إيمانية، وفوائد تربوية وتشريعية.

والله نرجوا لكما التوفيق إلى تمثل معاني هذه السورة الكريمة والتحلي بقيمها والاهتداء بهداياتها، بلوغا إلى تحقيق الأهداف التربوية والمعرفية المتوخاة.

والله سبحانه الموفق والهادي إلى سواء السبيل

# كيف أستعمل كتابي

الدرس 1 سورة الكهف (الآيات: 1 – 5)

أهداف الدرس وقدراته التي تسعى أنشطة الدرس إلى تحقيقها وتنميتها

**أهداف الدرس**

1 - أن أتعرف سورة الكهف وفضلها وسبب نزولها.
2 - أن أدرك الغاية من إنزال القرآن الكريم.
3 - أن أتمثل المعاني التي تضمنتها فاتحة سورة الكهف.

تهيئة استعدادات المتعلم (ة) وتحفيزه لتلقي الدرس

**تمهيد**

بعد أن خُتِمَتْ سورة الإسراء بأمر النبي ﷺ باللَّهَج بحمد الله تعالى وتنزيهه وتعظيمه وتكبيره، جاءت فاتحة سورة الكهف بالتأكيد على ما ختمت به سابقتها من حمد الله تعالى والثناء عليه بما تفضل به على عباده من نعم كثيرة في مقدمتها إنزال الكتاب الذي وصفه في صدر هذه السورة.

فما هي صفة الكتاب الذي أنزله الله على عبده محمد ﷺ؟ وما غاية ذلك؟ وما موقفه ممن ينسب لله الولد؟

آيات قرآنية أقرؤها مطبقا قواعد التجويد، وأستوعب معانيها لتوظيفها في فهم الدرس وبناء تعلماتي

**الآيات**

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (1) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5)﴾ [الكهف: 1-5]

10

**الفهم**

الشرح : مفردات لغوية تساعدني على فهم النصوص وإثراء رصيدي اللغوي

استخلاص مضامين الآيات: أسئلة تساعدني على استخراج مضامين الآيات موضوع الدرس

**الشرح:**

الْحَمْدُ لِلَّهِ: الثناء والمدح له وحده على نعمه الظاهرة والباطنة.
عِوَجًا : أي: لا تناقض فيه ولا اختلاف ولا اختلال.
قَيِّمًا: مستقيما.

**استخلاص مضامين الآيات:**

1 - ما المَهمة العظيمة التي أنيطت بالمنزَل والمنزَل عليه؟
2 - بم وصف الله القرآن الكريم في هذه الآيات؟

عنصر يتضمن تفسير الآيات بطريقة علمية تعليمية تساعد على تبين معاني الآيات واستخلاص الدروس والمقاصد المستفادة منها لتطبيقها في الحياة اليومية

**التفسير**

**أولا: التعريف بسورة الكهف، وبيان فضلها، وسبب نزولها:**

هي سورة مكية في قول جميع المفسرين، وروي عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله ﴿جُرُزًا﴾، والأول أصح. وعدد آيها في العد المدني الأخير الذي هو عد قراءة الإمام نافع في المصاحف المغربية مائة آية وخمس آيات.

وهي من أفضل سور القرآن، كما في صحيح البخاري من حديث البراء بن عازب –رضي الله عنه – قال: « قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة، فجعلت تنفر، فسلم فإذا ضبابة أو سحابة غشيته، فذكره للنبي ﷺ فقال: «اقرأ فلان، فإنها السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت للقرآن». [صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث 3614]. وهذا الرجل الذي كان يقرؤها هو الصحابي الجليل أسيد بن حضير – رضي الله عنه – كما ورد التصريح به في بعض روايات الحديث.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بسورة عظمها ما بين السموات والأرض، ولمن جاء بها من الأجر مثل ذلك؟ قالوا: أي سورة هي يا رسول الله؟ قال: سورة الكهف، من قرأ بها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام». وفي رواية أنس: « ومن قرأ بها

11

## التقويم

1 - ما القراءات الواردة في كلمة «تَّزَاوَرُ»، وما علة حذف الألف فيها رسما؟
2 - ما العلة التي ذكرها المفسرون للفرار والرعب الحاصلين لمن يطلع على أصحاب الكهف؟
3 - أذكرُ ثلاثة مظاهر لعناية الله بأصحاب الكهف.
4 - أبيِّنُ في بضعة أسطر فوائد مصاحبة الأخيار.

## الاستثمار

قال الامام الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره: «اعلم أن مدار القول بإثبات البعث والقيامة على أصول ثلاثة. أحدها: أنه تعالى قادر على كل الممكنات. والثاني: أنه تعالى عالم بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات. وثالثها: أن كل ما كان ممكن الحصول في بعض الأوقات كان ممكن الحصول في سائر الأوقات. فإذا ثبتت هذه الأصول الثلاثة ثبت القول بإمكان البعث والقيامة». [تفسير الرازي: ج 21 ص454]

أتأمل كلام الإمام الرازي رحمه الله وأجيب عن الآتي:

1 - ما وجه الربط بين كلامه وقصة أصحاب الكهف؟
2 - اشتملت السور الثلاث: الإسراء والكهف ومريم على أمثلة يمكن تعزيز كلام الرازي بها، أوضِّحُ ذلك.

## الإعداد القبلي

أُراجع تفسير الآيتين: 19 - 20 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما نوع اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾؟
2 - ما القراءات الواردة في قوله: ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ مستدلا عليها من متن الشاطبية؟
3 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: بِوَرِقِكُمْ - وَلْيَتَلَطَّفْ - أَزْكَىٰ - يَظْهَرُواْ.



نشاط يتضمن أسئلة تقيس مدى تحقق الأهداف المسطرة في بداية الدرس

نشاط أتدرب فيه على استثمار التعلمات المكتسبة من خلال الدرس في مواقف جديدة.

نشاط أطلع من خلاله على الدرس الموالي وأجيب عن الأسئلة التي يوجهني إليها الأستاذ(ة)

# كفايات تدريس مادة التفسير بالسنة الثالثة من التعليم الثانوي العتيق

**ينتظر في نهاية السنة الدراسية أن يكون المتعلم (ة) قادرا على:**

- تحصيل معاني سورة الكهف وقادرا على تحديد مضامينها.
- تنمية مهاراته وقدراته المساعدة على تفسير القرآن الكريم.
- استثمار النص القرآني استنباطا واستدلالا واستشهادا.
- استخلاص الأحكام والقيم والقواعد من النصوص الشرعية.
- توظيف مكتسباته من سورة الكهف في وضعيات أخرى.
- تمثل الأخلاق والقيم التي دعا إليها القرآن الكريم، مهتديا بهديه في الحياة.

# التوزيع الدوري والأسبوعي

| الدورة | الأسبوع | الدروس |
|---|---|---|
| الدورة الأولى | 1 | سورة الكهف (الآيات : 1-5) |
| | 2 | سورة الكهف (الآيات : 6-9) |
| | 3 | سورة الكهف (الآيات : 10-12) |
| | 4 | سورة الكهف (الآيات : 13-16) |
| | 5 | سورة الكهف (الآيات : 17-18) |
| | 6 | سورة الكهف (الآيات : 19-20) |
| | 7 | سورة الكهف (الآيات : 21-24) |
| | 8 | فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت |
| | 9 | سورة الكهف (الآيات : 25-27) |
| | 10 | سورة الكهف (الآيات : 28-29) |
| | 11 | سورة الكهف (الآيتان : 30-31) |
| | 12 | سورة الكهف (الآيات : 32-35) |
| | 13 | سورة الكهف (الآيات : 36-43) |
| | 14 | سورة الكهف (الآيتان : 44-45) |
| | 15 | سورة الكهف (الآيات : 46-48) |
| | 16 | فرض كتابي رقم 2 |
| | 17 | تصحيح ودعم وتثبيت |

| الدورة | الأسبوع | الدروس |
|---|---|---|
| الدورة الثانية | 18 | سورة الكهف (الآيات : 49 - 52) |
| | 19 | سورة الكهف (الآيات : 53 - 55) |
| | 20 | سورة الكهف (الآيات : 56 - 58) |
| | 21 | سورة الكهف (الآيات : 59 - 64) |
| | 22 | سورة الكهف (الآيات : 65 - 72) |
| | 23 | سورة الكهف (الآيات : 73 - 77) |
| | 24 | سورة الكهف (الآيات : 78 - 81) |
| | 25 | فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت |
| | 26 | سورة الكهف (الآيات : 82 - 84) |
| | 27 | سورة الكهف (الآيات : 85 - 91) |
| | 28 | سورة الكهف (الآيات : 92 - 97) |
| | 29 | سورة الكهف (الآيات : 98 - 101) |
| | 30 | سورة الكهف (الآيات : 102 - 105) |
| | 31 | أنشطة التثبيت والدعم |
| | 32 | فرض كتابي رقم 2 |
| | 33 | تصحيح ودعم وتثبيت |
| | 34 | تعزيز في إطار الاستعداد للامتحان الوطني الموحد |

الدرس **1**

# سورة الكهف (الآيات: 1 – 5)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف سورة الكهف وفضلها وسبب نزولها.

2 - أن أدرك الغاية من إنزال القرآن الكريم.

3 - أن أتمثل المعاني التي تضمنتها فاتحة سورة الكهف.

## تمهيد

بعد أن خُتِمَتْ سورة الإسراء بأمر النبي ﷺ باللَّهَج بحمد الله تعالى وتنزيهه وتعظيمه وتكبيره، جاءت فاتحة سورة الكهف بالتأكيد على ما ختمت به سابقتها من حمد الله تعالى والثناء عليه بما تفضل به على عباده من نعم كثيرة في مقدمتها إنزال الكتاب الذي وصفه في صدر هذه السورة.

فما هي صفة الكتاب الذي أنزله الله على عبده محمد ﷺ ؟ وما غاية ذلك؟ وما موقفه ممن ينسب لله الولد؟

## الآيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ① قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُومِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ② مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ③ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ④ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ⑤﴾ [الكهف: 1-5]

## الفهم

### الشرح:

**اِ۬لْحَمْدُ لِلهِ**: الثناء والمدح له وحده على نعمه الظاهرة والباطنة.

**عِوَجاًۜ** : أي: لا تناقض فيه ولا اختلاف ولا اختلال.

**قَيِّماً**: مستقيما.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما المَهَمة العظيمة التي أنيطت بالمنزَل والمنزَل عليه؟

2 - بم وصف الله القرآن الكريم في هذه الآيات؟

## التفسير

### أَوَّلاً: التعريف بسورة الكهف، وبيان فضلها، وسبب نزولها:

هي سورة مكية في قول جميع المفسرين، وروي عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله ﴿جُرُزاًۖ﴾، والأول أصح. وعدد آيها في العد المدني الأخير الذي هو عد قراءة الإمام نافع في المصاحف المغربية مائة آية وخمس آيات.

وهي من أفضل سور القرآن، كما في صحيح البخاري من حديث البراء بن عازب–رضي الله عنه – قال: « قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة، فجعلت تنفر، فسلم فإذا ضبابة أو سحابة غشيته، فذكره للنبي ﷺ فقال: «اقرأ فلان، فإنها السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت للقرآن». [صحيح البخاري: كتاب المناقب. باب علامات النبوة في الإسلام، حديث 3614]. وهذا الرجل الذي كان يقرؤها هو الصحابي الجليل أسيد بن حضير – رضي الله عنه – كما ورد التصريح به في بعض روايات الحديث.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بسورة عِظمها ما بين السموات والأرض، ولمن جاء بها من الأجر مثل ذلك؟ قالوا: أي سورة هي يا رسول الله؟ قال: سورة الكهف، من قرأ بها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادةَ ثلاثةِ أيام». وفي رواية أنس: « ومن قرأ بها

أُعطِيَ نورا بين السماء والأرض، ووُقِيَ بها فتنةَ القبر». [أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ﴿9 / 477﴾].

وروى مسلم والترمذي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصِمَ من الدَّجّال». [صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وآية الكرسي ـ باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث 809]. ولفظ الترمذي: « من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف... » وقال: هذا حسن صحيح [سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن ـ باب ما جاء في فضل سورة الكهف، حديث 2886].

وسبب نزول هذه السورة ما ذكره ابن إسحاق في سيرته من أمر اليهود قريشا بسؤال النبي ﷺ عن المسائل الثلاث، وهو ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – أن قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلاهم عن محمد وصِفا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ، فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقول، فَرَوْا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول وما كان من أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح. فأقبل النضر وعقبة إلى المدينة وسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت سورة الكهف.

## ثانياً: نعمة القرآن الكريم والغاية من إنزاله.

بدأ سبحانه هذه السورة بحمد نفسه، فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وسبب البداءة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في هذه السورة أن رسول الله ﷺ لما سألته قريش عن المسائل الثلاث: الروح والكهف وذي القرنين، حسبما أشارت عليهم بهن يهود المدينة، قال لهم رسول الله ﷺ: «غدا أخبركم بجواب سؤالكم»، ولم يقل: إن شاء الله، فعاتبه الله عز وجل بأن استمسك الوحي عنه خمسة عشر يوما، فأرجف به كفار قريش، وقالوا: إن محمدا قد تركه رَئِيُّهُ الذي كان يأتيه من الجن، وقال بعضهم: قد عجز عن أكاذيبه إلى غير ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ وبلغ منه، فلما انقضى الأمد الذي أراد الله تعالى عتاب نبيه محمد ﷺ إليه، جاءه الوحي من الله بجواب الأسئلة وغير ذلك، فافتتح الوحي بحمد الله الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ أي بزعمكم أنتم يا قريش،

وهذا كما تقول لرجل يحب مساءتك فلا يرى إلا نعمتك: الحمد لله الذي أنعم عليَّ وفعل بي كذا على جهة النقمة عليه، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو القرآن.

قال ابن كثير رحمه الله: «يَحمَد تعالى نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها، فإنه المحمود على كل حال، وله الحمد في الأولى والآخرة، ولهذا حَمِدَ نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور». [تفسير القرآن العظيم: 5/135].

وقوله ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ أي: لم يـــزلْهُ عن طريق الاستقامة، و«العِوج» بكسر العين فقد الاستقامة في المعاني والطرق وما ليس له شخص منتصب، و«العَوج» بفتح العين في الأشخاص كالعصا والحائط ونحوه.

وقوله: ﴿قَيِّمًا﴾ نصب على الحال من «الْكِتابَ»، فهو بمعنى التقديم مؤخرٍ في اللفظ ، أي: أنزل الكتاب قيما. واعترض بين الحال وذي الحال قولُه: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾. ذكر الطبري هذا التأويل عن ابن عباس رضي الله عنهما، ويجوز أن يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره: أنزله، أو جعله قيما. ومعنى «قَيِّم»: مستقيم، هذا قول ابن عباس والضحاك، وقيل: معناه أنه قيم على سائر الكتب بتصديقها، ذَكَرَه المهدوي.

قال ابن عطية رحمه الله: وهذا محتمل وليس من الاستقامة. ويصح أن يكون معنى «قيما» قيامه بأمر الله عز وجل على العالم، وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النِذارة والبِشارة اللذين عمَّا العالم.

ووصِفَ الكتابُ بكونه ﴿قَيِّمًا﴾ ونُفِيَ العوجُ عنه، وهما من صفات الأجسام، على سبيل الاستعارة فيهما.

﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾: «والبأس الشديد» عذاب الآخرة، ويحتمل أن يندرج معه في النذارة عذاب الدنيا ببدر وغيرها، ونصبه على المفعول الثاني، والمعنى لينذر العالم.

وقوله: ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده ومن قِبَله، والضمير في ﴿لَّدُنْهُ﴾ عائد على الله تعالى، وقرأ الجمهور من ﴿لَّدُنْهُ﴾ بضم الدال وسكون النون وضم الهاء، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر – شعبة – «من لَدْنِهِ» بسكون الدال وإشمام الضم فيها وكسر النون والهاء.

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذا القرآن وبالمرسَل به ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح.

وبين قوله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ وقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ طِباقٌ، وهو من المحسنات البديعية.

وقوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ تقديره: بأن لهم أجرا، والأجر الحسن نعيم الجنة، ويتقدمه خير الدنيا. وقوله: ﴿مَّاكِثِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ و﴿أَبَدًا﴾ ظرف، لأنه دال على زمن غير متناه. وفي قوله: ﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ أسلوب الاستخدام، فإن الضمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ عائد على الأجر، والأجر شيء معنوي لا يُمكَث فيه، فهو عائد إليه على المعنى لا على اللفظ، والمراد: ماكثين في الجنة.

وقوله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ أهل هذه المقالة هم بعض اليهود في عُزَيْر، والنصارى في المسيح، وبعض العرب في الملائكة. ﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ ليس لهم بهذا القول الذي افتروه علم أو دليل، وقوله: ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ يريد أسلافَهم الذين أخذ هؤلاء هذه المقالة عنهم.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ قرأ الجمهور «كبرت كلمةً» بنصب «كلمة» على التمييز، أي: كبرت كلمتهم هذه كلمةً، وقيل: نصبها على التعجب، تقديره: أعظم بكلمتهم كلمةً، وقالت فرقة: نصبها على الحال، والتقدير كَبُرَتْ فِرْيَتُهُمْ أو نحو هذا كَلِمَةً. وسميت هذه الكلمات كَلِمَةً من حيث هي مقالة واحدة، كما يقولون للقصيدة كلمة. وفسر «الكلمة» ووصفها بالخروج من أفواههم لبيان أن ليس لهم مستند فيها إلا مجردُ قولهم بألسنتهم ولا دليلَ لهم عليها.

### ثالثا: لطائف وفوائد:

- قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ حُذِفَ هُنَا الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ وَصُرِّحَ بِالْمُنْذَرِ بِهِ لِأَنَّهُ هُوَ الْغَرَضُ الْمَسُوقُ إِلَيْهِ فَاقْتُصِرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ صُرِّحَ بِالْمُنْذَرِ فِي قَوْلِهِ حِينَ كَرَّرَ الْإِنْذَارَ فَقَالَ: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، فَحُذِفَ الْمُنْذَرُ أَوَّلًا لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ، وَحُذِفَ الْمُنْذَرُ بِهِ لِدَلَالَةِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْحَذْفِ وَجَلِيلِ الْفَصَاحَةِ، وَلَمَّا لَمْ يُكَرِّرِ الْبِشَارَةَ أَتَى بِالْمُبَشَّرِ وَالْمُبَشَّرِ بِهِ. [البحر المحيط 7 - 136]

- في قوله سبحانه: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ تنبيه على وظيفة الوحي، وقد جمعت هاتان العلتان جميع معاني الكتاب؛ فإنه لا يكون كذلك إلا وقد جمع أيضاً جميعَ شرائع الدين وأَمْرَ المعاش وأمر المعاد وما يعني المكلَّفين فعلُه أو تركُه أو اعتقادُه، وما يتبع ذلك، وذلك هو الدين القيم، أي المستقيم في نفسه، المقيم لغيره.

- إنزال القرآن الكريم نعمةُ عليه ﷺ ونعمة علينا، أما كونه نعمة عليه فلأنه تعالى أطلعه بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه، وصفات الجلال والإكرام، وأسرار أحوال الملائكة والأنبياء، وأحوال القضاء والقدر، وما شاء من عوالم الغيب والملكوت، فلا شك أن ذلك من أعظم النعم، وأما كون هذا الكتاب نعمةً علينا فلأنه مشتمل على أنوار الهدايات وعيون البصائر التي تزكو بها النفوس وتسعد القلوب، مع ما فيه من التكاليف والأحكام والثواب والعقاب، فهو كتاب كامل في أعلى الدرجات، وكلٌّ ينتفع به بمقدار طاقته وفهمه، فلما كان كذلك وجب على الرسول ﷺ وعلى جميع أمته أن يحمدوا الله عليه.

## التقويم

1 - أَذْكرُ سبب نزول سورة الكهف، وبعض الأحاديث الواردة في فضلها.

2 - لماذا افتتحت هذه السورة بحمد الله تعالى؟

3 - ما هي وظيفة القرآن الكريم ومهمة المنزَل عليه؟

## الاستثمار

قال الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «كَرَامَةٌ قُرْآنِيَّةٌ: لِوَضْعِ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ فِي الْمُصْحَفِ مُنَاسَبَةٌ حَسَنَةٌ أَلْهَمَ اللهُ إِلَيْهَا أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ لَمَّا رَتَّبُوا الْمُصْحَفَ، فَإِنَّهَا تُقَارِبُ نِصْفَ الْمُصْحَفِ، إِذْ كَانَ فِي أَوَائِلِهَا مَوْضِعٌ قِيلَ هُوَ نِصْفُ حُرُوفِ الْقُرْآنِ وَهُوَ «التَّاءُ» مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الْكَهْف: 19] وَقِيلَ: نِصْفُ حُرُوفِ الْقُرْآنِ هُوَ «النُّونُ» مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الْكَهْف: 73] فِي أَثْنَائِهَا، وَهُوَ نِهَايَةُ خَمْسَةَ عَشَرَ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ نِصْفُ أَجْزَائِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 74]، فَجُعِلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي مَكَانٍ قُرَابَةِ نِصْفِ الْمُصْحَفِ». [التحرير والتنوير: 15 / 244 - 245].

1 - ما هي أنصاف القرآن من حيث الحروف، ومن حيث الأحزاب والأجزاء، ومن حيث السور، ومن حيث الوقف الهبطي؟

2 - من الذي تولّى ترتيب سور القرآن كما هي الآن في المصحف؟

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 6 – 9 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما المراد بلفظ ﴿زِينَةً﴾ في قوله سبحانه : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾؟ وما إعرابها؟

2 - أبحثُ عن مدلولات العبارات الآتية: بَاخِعٌ - عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ - الرَّقِيمِ.

الدرس **2**

# سورة الكهف (الآيات: 6 – 9)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف مظاهر حرص النبي ﷺ على هداية الناس.

2 - أن أكتشف حقيقة الحياة الدنيا والغاية من خلق الإنسان.

3 - أن أحسن عملي ابتغاء وَجْهِ الله والدارِ الآخرة، ولا أغتر بزينة الحياة الدنيا.

## تمهيد

بعد أن بيَّنَت الآيات السابقة وظيفة كتاب الله المنزَل، وهي بشارة المؤمنين، وإنذار الكافرين، جاءت هذه الآيات تذكر حال النبي ﷺ في دعوة الناس، وتبين له حقيقة الحياة الدنيا، معلمة له بعجيب خبر فتية الكهف.

فكيف كان حال النبي ﷺ في دعوته؟ وما حقيقة الدنيا وغايتها؟ ولم كان خبر أهل الكهف عجيبا؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ⑥ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ⑦ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ⑧ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ⑨﴾ [الكهف: 6 - 9]

## الفهم

### الشرح:

جُرُزاً: لا نبات فيها ولا منفعة.

أَسَفاً: حزنا.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما الحال التي وُصف بها النبي ﷺ في هذه الآيات؟

2 - ما الغاية من جعل ما على الأرض زينة لها؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

### أولا: حرص النبي ﷺ على هداية الناس:

هذه الآية تسلية للنبي عليه السلام؛ وذلك لما كان يلاقيه من العنت والحرج الشديد والتبرم من إعراض كثير من أهل الجحود والاستكبار عن قبول دعوته، وكل ذلك من كريم خصاله وجميل خلاله، ولذلك وصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾ [التوبة 129].

وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ تقرير بمعنى الإنكار عليه أي: لا تكن كذلك، وقوله: ﴿بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ «الباخع نفسه» هو مهلكها وجدا وحزنا على أمر مَّا. وهو كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:2]. وأصل البخع الجهد يقال: بخَعت لك نفسي أي جهدتها.

وقوله: ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ استعارة فصيحة، كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم.

وقوله: ﴿بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: بالقرآن الذي نحدثك به، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: 22]. و﴿أَسَفًا﴾ نصب على المصدر - مفعول مطلق -، أو مفعول لأجله. قال الزجاج: و«الأسف» المبالغة في حزن أو غضب، ومنه قول يعقوب: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 84]، يريد يا حزناه. و«الأسف» في هذا الموضع الحزن. وقال قتادة: هنا أَسَفاً غضبا، وهو

كقوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف55]، وقال مجاهد أَسَفاً جَزَعاً، وقال قتادة أيضا: حزنا، ومن هذه اللفظة قول الأعشى:

أرى رجلا منكم أسيفا كأنما *** يضم إلى كَشْحَيْه كفّاً مخضْبَا

يريد: حزينا.

## ثانيا: حقيقة الدنيا والغاية من تزيينها:

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الآية بسط في التسلية، أي: لا تهتم للدنيا وأهلها، فأمرها وأمرهم أقل بفنائه وذهابه، فإنا إنما جعلنا ما على الأرض زينة وامتحانا وخبرة، وهو بيان للغاية من خلق أنواع الزينة التي أودعها الله في هذه الأرض، فإنها امتحان وابتلاء واختبار للعباد ليعلم أيهم أحسن عملا فيها بصرفها في الطاعات.

وفسر «ما» في قوله: ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ بأنه أراد ما عليها من الرجال، وقالت فرقة: أراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه، ونحو هذا مما فيه زينة، وقالت فرقة:أراد كل ما على الأرض عموما، وليس شيء إلا وفيه زينة من جهة خلقه وصنعته وإحكامه. و﴿زِينَةً﴾ مفعول ثان أو مفعول من أجله، بحسب معنى «جعل».

وقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال سفيان الثوري: أحسنهم عملا، أزهدهم فيها.قال ابن عطية وكان أبي رحمه الله يقول: أحسن العمل: أخذٌ بحق، وإنفاقٌ في حق مع الإيمان، وأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والإكثارُ من المندوب إليه.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾، المراد بالصعيد وجه الأرض مطلقا، وقيل: التراب خاصة، وقيل: الصعيد الأرض الطيبة، وقيل: الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة. وقال قتادة: الصعيد الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات. و«الجرز» الأرض التي لا شيء فيها من عمارة وزينة، فهي البلقع، يقال: جُرِزَت الأرض بقحط أو جراد أو نحوه إذا ذهب نباتها وبقيت لا شيء فيها ولا نفع، وأَرَضُون أجراز، قال الزجاج: والجرز الأرض التي لا تنبت. قال ابن عطية: «وإنما ينبغي أن يقول: التي لم تنبت».

والمعنى: يرجع كل ذلك ترابا. قال محمد بن إسحاق: إن ما عليها لفان وبائد، وإن المرجع إليّ، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : يهلك كل شيء عليها ويبيد.

وقوله: ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ مفعول أول لاسم الفاعل ﴿لَجَاعِلُونَ﴾ ومفعوله الثاني ﴿صَعِيدًا﴾، و﴿جُرُزًا﴾ نعت لقوله: ﴿صَعِيدًا﴾ مؤول بمشتق، أي جارزا، والوصف بالمصدر أبلغ منه باسم الفاعل لما فيه من الأصالة، لأنه أصل المشتقات.

## ثالثا: إعلام الله نبيه ﷺ بخبر أصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ...﴾، سماهم ﴿أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ نسبة إلى كهف معين، والكهف النقب المتسع في الجبل، وما لم يتسع منها فهو غار. وحكى النحاس عن أنس بن مالك -رضي الله عنه - أنه قال: الْكَهْف الجبل وهذا غير شهير في اللغة. واختلف الناس في الرَّقِيمِ، فقال كعب: الرَّقِيم القرية التي كانت بإزاء الْكَهْفِ، وقال ابن عباس وقتادة: الرَّقِيم الوادي الذي كان بإزائه وهو واد بين عصبان وأيلة دون فلسطين، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضا: هو الجبل الذي فيه الْكَهْف، وقال السدي: الرَّقِيمِ الصخرة التي كانت على الْكَهْفِ، وقال ابن عباس: الرَّقِيم كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى، وقيل: من دينٍ قبل عيسى.

وفيه أقوال أخرى منها: أنه لوح مكتوب، أو المراد به الكلب، أو المراد: البنيان والدواة. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الرقيم: الكتاب. ثم قرأ: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [المطففين:9]. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما أدري ما «الرقيم»، أكتاب أم بنيان؟ وروي أنه قال: كل القرآن أعلمه إلا: الحنان، والأواه، والرقيم.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ قال: هم عجب. كذا روى ابن جريج عنه، وروى ابن نجيح عنه قال: يقول ليس بأعجب آياتنا. وقيل: بل معنى ذلك: أم حسبتَ يامحمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا، فإن الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه. وأما معنى الكلام فقال الطبري: «هو تقرير للنبي ﷺ على حسابه أن أصحاب الكهف كانوا

عجبا، بمعنى إنكار ذلك عليه، أي: لا تعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة، فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم وأشنع، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحاق».

[جامع البيان 9 / 197].

## رابعا: لطائف وفوائد:

– التعبير بالجملة الاسمية في قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ...﴾ أبلغ من التعبير بالجملة الفعلية؛ لما في الجملة الاسمية من الثبوت والاستقرار، فهو أبلغ من قوله: سنجعل، وأكد لجاعلون بلام التوكيد زيادة في الإثبات والتحقق.

– في الآيات إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها، وتسلية للرسول ﷺ عن ما تضمنته أيدي المترفين من زينتها؛ إذ مآل ذلك كله إلى فناء وزوال، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا (129) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (130)﴾

[طه: 129 ـ 130].

– في التعبير بـــ ﴿أَحْسَنُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ إرشاد إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من همة عالية وحرص شديد على طلب الإحسان في كل شيء من المقاصد والأقوال والأفعال، فعلى قدر الإحسان تتفاوت مراتب العباد ومنازلهم عند الله تعالى.

– في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ...﴾، بيان لما كان عليه سيدنا محمد ﷺ من الشفقة على الخلق، والحرص على نجاتهم ومحبة الخير لجميع الناس، ورغبة في صلاح البشرية وانتفاعها بنور الوحي.

### التقويم

1 - ما الذي تدل عليه الآية الأولى من أخلاق النبي ﷺ؟ وما نظيرها في القرآن الكريم؟

2 - ما المراد بقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؟

3 - أيهما أبلغ، التعبير بالجملة الاسمية أم الفعلية؟ وما أثر ذلك في توجيه المعنى؟

## الاستثمار

روى الترمذي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال:« قلَّمَا كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا».

[سنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ، حديث 2053].

1 - ما العبارة الواردة في الحديث ذات الصلة بالمقطع المفسَّر؟

2 - ما الحكمة من مداومة النبي ﷺ على هذه الدعوات؟

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 10 - 12 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما القراءات الواردة في لفظ ﴿رَشَدًا﴾؟

2 - ما المراد بالكهف من جهة اللغة؟

3 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: رَشَدًا - فَضَرَبْنَا - أَحْصَى.

الدرس

# 3 سورة الكهف (الآيات: 10 – 12)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف نبأ فتية الكهف إجمالا.

2 - أن أدرك سر حفظ الله تعالى لأوليائه.

3 - أن أحرص على التزام الدعاء الصادق في حياتي.

## تمهيد

شَرَعَت هذه الآيات في بيان خبر فتية الكهف الذين ثبتوا على دينهم واعتصموا بربهم، فأكرمهم الله تعالى بالحفظ والحماية على وجه معجز خارق للعوائد والقواعد البشرية.

فما هي دعوات الفتية التي تضرعوا بها إلى ربهم؟ وكيف حفظهم الله من عدوهم؟ وما الغاية من هذه الكرامة التي أكرم الله بها أصحاب الكهف؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12)﴾ [الكهف: 10–12]

## الفهم

### الشرح:

**آوى:** لجأ وانحاز.

**الْفِتْيَةُ:** جمع قلة لـــ «فتى» مثل غلام وغِلْمَة، وصَبِي وَصِبْيَة، وأما جمع الكثرة ففتيان، أي شباب متقاربون.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - بم دعا فتية الكهف؟ وعَلام يدل دعاؤهم؟

2 - ما الغاية من قصة أصحاب الكهف؟

## التفسير

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

### أَوَّلاً: تعلق أهل الإيمان بربهم والتجاؤهم إليه:

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾، أي: لجأوا وانحازوا إليه. وقد اختلف أهل التفسير في الفتية الذين هم أصحاب الكهف، فقيل: هم من الروم واتبعوا دين عيسى عليه السلام، وقيل: كانوا قبل عيسى عليه السلام، وقيل غير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لما أووا إلى الكهف، أي دخلوه وجعلوه مأوى لهم وموضع اعتصام، دعوا الله تعالى أن يؤتيهم رحمة من عنده، وهي الرزق فيما ذكره المفسرون، وأن يهيىء لهم من أمرهم رشدا.

والرَشَد – بفتحتين – والرُشْد – بضم فسكون – لغتان: الفلاح والصلاح. ومعنى أن يهيئ لهم من أمرهم رَشَداً أي: خلاصا جميلا. وقرأ الجمهور ﴿رَشَدًا﴾ بفتح الراء والشين، وقرأ أبو رجاء «رُشْدا» بضم الراء وسكون الشين، والأولى أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد. قال ابن عطية: «وهذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم، وألفاظه تقتضي ذلك، وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها، وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط، فإنها كافية».

والآية حكاية لما كان عليه الفتية من الإشفاق على دينهم، وتوجُّههم إلى الله عز وجل أن يثبتهم على الإيمان، ويهيء لهم المخرج مما هم فيه من الخوف من قومهم أن يفتنوهم عن الدين الحق، ويحملوهم على ما هم عليه من الوثنية وعبادة الأصنام.

## ثانيا: حفظ الله تعالى لأوليائه:

لما علم الله صدق إيمان هؤلاء الفتية وتَعلُّق قلوبهم به آواهم إليه، وهيأ لهم من أمرهم رشدا، وجعل الكهف لهم حصنا وموئلا، وأنزل عليهم من بعد الغم أَمَنَةً نعاسا، لا كالنعاس الاعتيادي.

قال سبحانه: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي: ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف، فناموا سنين كثيرة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: من رقدتهم تلك. والبعث: هنا الإيقاظ، وفي ذكر لفظ البعث تنبيه على أن في هذه الإفاقة دليلا على إمكان البعث وكيفيته.

وفيه الكناية عن النوم بالضرب على الآذان بحيث لا يسمعون من الأصوات والحركات ما يوقظهم من النوم العميق.

وقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ الآية، عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم، ويعبر عن هذا ونحوه بـــ «الضرب» لتبين قوة المباشرة وشدة اللصوق في الأمر المتكلم فيه والإلزام، ومنه ضرب الذلة والمسكنة، وضرب البعث. كلها تستعمل في اللزوم البليغ. وأما تخصيص «الآذان» بالذكر فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم، وقلّما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يستحكم نوم إلا مع تعطل السمع، ومِن ذِكْر الأذن في النوم قوله ﷺ: «ذلك رجل بال الشيطان في أذنه» [صحيح البخاري: كتاب التهجد - باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه، حديث 1093] أشار - عليه السلام - إلى رجل طويل النوم لا يقوم بالليل للصلاة والتهجد.

وقوله تعالى: ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ جمع سنة، وهو ملحق بجمع المذكر السالم منصوب على الظرفية، وعلامة نصبه الياء النائبة عن الفتحة، و﴿عَدَدًا﴾ نعت للسنين. وعن الزجاج: يجوز أن يكون نصب عَدَداً على المصدر.

## ثالثا: الغاية من كرامة أصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾، فقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود، وهذا جار في كلام العرب، أي: لنعلم ذلك موجودا، وإلا فقد كان الله تعالى عالما أَيّ الْحِزْبَيْنِ أحصى للأمد. وقرأ الزهري «ليُعلم» بالياء. والحزبان: الفريقان. والظاهر من الآية أن الحزب الأول هم الفتية، إذ ظنوا لبثهم قليلا، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بُعِثَ الفتيةُ على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين.

وأما قوله: ﴿أَحْصَىٰ﴾ فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض، و﴿أَمَدًا﴾ منصوب به على المفعول، و«الأمد» الغاية، وقال الزجاج: أَحْصى هو أفعل، يعني أنه اسم تفضيل بمعنى أكثر إحصاء، وأَمَداً على هذا نصب على التفسير - التمييز -. ويحتج لقول أبي إسحاق الزجاج بأن «أفعل» من الرباعي - وإن خرج عن القياس - فقد كثر، كقولك: ما أعطاه للمال!، وآتاه للخير!. وعن أبي هريرة في صفة جهنم: «لهي أسود من القار، والقار الزفت» [الموطأ: كتاب جهنم ـ باب ما جاء في صفة جهنم، حديث1807] وقال - صلى الله عليه وسلم - في صفة حوضه: «وماؤه أبيض من اللبن» [صحيح البخاري: كتاب الرقاق ــ باب الحوض، حديث 6208]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع» [الموطأ: كتاب وقوت الصلاة ــ باب وقوت الصلاة، حديث6] وهذه كلها «أفعل» من الرباعي. قال ابن عطية: «وقال الطبري: نصب أَمَداً بــ ﴿لَبِثُوا﴾، وهذا غير متَّجه». وإنما حكاه الطبري وجها ثانيا بعد أن قال:«وفي نصب قوله ﴿أَمَدًا﴾ وجهان: أحدهما أن يكون منصوبا على التفسير من قوله ﴿أَحْصَىٰ﴾ كأنه قيل: أيّ الحزبين أصوب عددا لقدر لبثهم، وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب؛ لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء، والآخر: أن يكون منصوبا بوقوع قوله ﴿لَبِثُوا﴾عليه، كأنه قال: أيّ الحزبين أحصى للبثهم غاية».[جامع البيان9 / 206].

## رابعا: لطائف وفوائد:

- قال الامام الرازي رحمه الله: «اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول ﷺ على سبيل الامتحان، فقال تعالى: أم حسبت أنهم كانوا عجبا من آياتنا؟ فلا تحسبن ذلك، فإن آياتنا كلها عجب، فإن من كان قادرا على تخليق السموات والأرض ثم يزين الأرض

بأنواع المعادن والنبات والحيوان، ثم يجعلها بعد ذلك صعيدا جرزا خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم؟!!». [مفاتيح الغيب 21 / 430].

– النوم والبعث في قصة أصحاب الكهف آيتان من آيات الله تعالى وعجائب قدرته، وصورة من صور تولِّي الله عز وجل لأوليائه الذين ثبتوا على دينه واعتصموا بهدي ربهم وصدقوا في إرادة وجهه الكريم.

– الدعاء عبادة اتخذها الأنبياء والأولياء وعباد الله الصالحون مسلكهم في التقرب إلى الله وسؤال الحاجات، فضلا عما يورثه في القلب من أُنْس بالله وطمأنينة وسمو روحي.

– الدعاء بالرحمة والرشد من أعظم الدعاء؛ لما اشتمل عليه من جوامع خيري الدنيا والآخرة، والمؤمن لا يزال يدعو ربه ويسأله من فضله، ويطلب منه حاجاته في كل الأحوال وهو موقن بالإجابة.

## التقويم

1 - ما الخلق الذي ميز الفتية حين أووا إلى الكهف؟ وكيف أتمثله في حياتي؟

2 - لمَ عُبِّر عن إلقاء النوم عليهم بـــ «الضرب»؟

3 - علام استدل ابن عطية – رحمه الله – بهذا الحديث «ذلك رجل بال الشيطان في أذنه»؟

4 - ما القراءات الواردة في قوله تعالى: «لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ»؟ وما أثر ذلك في المعنى؟

## الاستثمار

قال الإمام الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ...﴾: «تفريع هذه الجملة – بالفاء – إما على جملة دعائهم، فيؤذن بأن مضمونها استجابة دعوتهم، فجعل الله إنامتهم كرامة لهم، بأن سلمهم من التعذيب بأيدي أعدائهم، وأيد بذلك أنهم على الحق، وأرى الناس ذلك بعد زمن طويل. وإما على جملة ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ... ﴾ فيؤذن بأن الله عجل لهم حصول ما قصدوه مما لم يكن في حسبانهم». [التحرير والتنوير 15 / 268].

أتأمل كلام ابن عاشور رحمه الله وأجيب عن الآتي:

1 - ما الحكمة من تشريع الدعاء؟

2 - ما أثر الدعاء في النجاة من الشدائد؟

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 13 – 16 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما فائدة التنصيص على المرحلة العمرية لأصحاب الكهف وأنهم «فِتْيَةٌ»؟

2 - أستخرجُ من الآيات استعارة تصريحية.

3 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَرَبَطْنَا - شَطَطاً - مِّرْفَقاً .

الدرس

# 4 سورة الكهف (الآيات: 13 - 16)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف الخبر اليقين لقصة أصحاب الكهف.

2 - أن أقف على بعض أصول الهداية الربانية.

3 - أن أقتدي بالفتية المؤمنين في الثبات على معتقدي ومبادئي.

## تمهيد

تحدثت الآيات المتقدمة بصورة مقتضبة غاية في الإيجاز، عن مبدإ خبر فتية الكهف ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ ومنتهاه ﴿ثم بعثناهم﴾، في أسلوب قصصي تشويقي، يورد مجمل القصة ليشوق القارئ إلى تفاصيلها وجزئياتها، لتنتقل هذه الآيات بعدها إلى سرد التفاصيل بعد أن هيأ ذهن السامع - أو القارئ - سلفا لاستقبالها، والاعتبار بأحداثها.

فكيف كانت تفاصيل قصتهم؟وما أهم معالم الهداية فيها؟وما أبرز الفوائد المستنبطة منها؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15)

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿16﴾﴾ [الكهف: 13 ـ 16]

## الفهم

### الشرح:

نَقُصُّ: نحكي القصة ونسردها، وأصل القص تتبع الأثر.

نَبَأَهُم: النبأ الخبر العظيم.

بِسُلْطَٰنٍ: بحجة وبرهان.

### استخلاص مضامين الآيات.

1 - بم امتاز هؤلاء الفتية عن قومهم؟

2 - كيف عبروا عن صحة عقيدتهم؟

3 - بم وصفوا قومهم؟ وكيف احتجوا على فساد نِحْلَتهم؟

## التفسير

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

### أولا: بيان قصة أصحاب الكهف وصفاتهم:

قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾، في تولي الله تعالى أمر بيان خبر أهل الكهف طمأنة لنبيه ﷺ، وتأكيد على صحة تفاصيل ما سيورده فيها. كما أن في ذلك تعقيبا لرفع الاختلاف الواقع في شأن الفتية، وسبب خروجهم ومفارقتهم لقومهم، وفي مدة لبثهم في كهفهم، وفي عددهم وما انتهى إليه أمرهم.

فعقب بهذه الآية ليدل على أنه عز وجل يعلم أمرهم، لا يغيب عنه سبحانه شيء، وهو يقصه على نبيه ﴿بِالْحَقِّ﴾ دون زيادة أو نقصان. وفي هذا إيماء إلى أن نبأهم كان معروفا لدى العرب على وجه ليس بالصدق.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾، أي: يسرناهم للعمل الصالح والانقطاع إلى الله عز وجل ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا، وهذه زيادات على الإيمان.

وفي مجموع هذه الآيات جواب قريش عن سؤالهم الذي أمرتهم به بنو إسرائيل.

قال ابن كثير: «من ههنا شرع في بسط القصة وشرحها، فذكر تعالى أنهم فتية - وهم الشباب - وهم أقبلُ للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وعَسَوْا - كبروا - في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله ﷺ شبابا. وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يُسلِم منهم إلا القليل. وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابا، فألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم. فآمنوا بربهم، أي: اعترفوا له بالوحدانية، وشهدوا أنه لا إله إلا هو» [تفسير القران العظيم: 4 / 369].

وقال الطبري عند قوله سبحانه: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: «وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيمانا، وبصيرة بدينهم، حتى صبروا على هجران دار قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه، إلى خشونة المكث في كهف الجبل». [جامع البيان: 9 / 207].

وقد استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله، وأنه يزيد وينقص، ولهذا قال تعالى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:18]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:125]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك.

## ثانيا: منة الله على أهل الإيمان الصادق:

قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حين صدق هؤلاء الفتية في إيمانهم بربهم، استحقوا منه تعالى الربط على قلوبهم، تثبيتا لها على الإيمان؛ إذ الفتن تعرض على القلوب فتتقلب أحوالها

بين الهداية والضلال، وبين الاستقامة والزيغ، وبين اليقين والاطمئنان، والشك والارتياب، والربط على القلب هو تعبير عن شدة العزم وقوة الصبر الذي أفاضه الله عليهم. ولما كان الفزع وخور النفس يشبه الانحلال، حسُن في شدة النفس وقوة التصميم أن يُشبَّه بالربط، ومنه يقال: فلان رابِطُ الجَأْش إذا كان لا تَفْرَق نفسه عند الفزع والحرب وغيرها، ومنه الربط على قلب أم موسى في قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: 9].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُواْ﴾، يحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون هذا وصفَ مقامهم بين يدي الملك الكافر، فإنه مقام يحتاج إلى الربط على القلب حيث صَلُبوا عليه وخالفوا دينه، ورفضوا في ذات الله هيبته. والمعنى الثاني: أن يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله ومنابذة الناس، كما تقول: قام فلان إلى أمر كذا إذا اعتزم عليه بغاية الجد.

وقوله: ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ أي: ربنا رب السموات والأرض ورب كل مخلوق، فلن ندعو من دون رب السموات والأرض إلها، لا استقلالا ولا اشتراكا؛ إذ لا رب غيره ولا معبود سواه. وجاؤوا بـــ ﴿لَن﴾ لأن النفي بها أبلغ من النفي بغيرها، حتى قيل: إنه يفيد استغراق الزمان، فيكون المعنى: لا نعبد أبدا من دونه إلها.

ثم عللوا لعقيدتهم ودعوتهم هذه بقولهم: ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ أي:إنا إذا دعونا غير الله، لقد ابتعدنا عن الحق، وتجاوزنا الحد في البعد عن الصواب. والشطط الجَوْر، وتعدي الحد والغلو، ومنه «اشتط الرجل في السَّوم» إذا طلب في سلعته فوق قيمتها، ومنه شطوط النوى والبعد.

وقوله: ﴿إِذًا﴾ التنوين فيها تنوين عوض عن جملة الشرط، وهي منصوبة على الظرف.

وقوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ ...﴾ الآية، مقالة تصلح أن تكون مما قالوا في مقامهم بين يدي الملك، وتصلح أن تكون من قول بعضهم لبعض عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه.

وقوله: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ﴾ تحضيض بمعنى التعجيز، لأنه تحضيض على ما لا يمكن، وإذا لم يمكنهم ذلك لم يجب أن يُلتفَتَ إلى دعواهم. و ﴿بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ﴾ حجة واضحة ظاهرة.

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم من المفتري على البارئ

عز وجل بادعاء ما يستحيل في حقه ونسبة الشركاء إليه كذبا وبهتانا بغير بينة أو سلطان.

والافتراء أشنع الكذب، وأصل اشتقاقه من «فرى يفري» مثل «جرى يجري» إذا خرق الشيء ونفذ منه. والاستفهام هنا في ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ ؟﴾ استفهام إنكاري خرج إلى النفــي، وقولــه: ﴿كَذِبًا﴾ مفعول به منصوب، وجملة ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ لا محل لها من الاعراب، لأنها صلة الموصول، وهو «مَن» في قوله ﴿مِمَّنِ﴾.

## ثالثا: فرار الفتية بدينهم:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾، التاء الأولى في ﴿اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ هي تاء الافتعال الدالة على طلب العزلة. والتاء المتصلة بالفعل ضمير الفاعلين، والفعل مسند إلى جماعة الفتية. والمعنى: إذ تيقنتم أن مخالطتكم لقومكم خطر عليكم في أنفسكم ودينكم، لزمكم مفارقتهم وما يعبدون، والخروج من بين أظهرهم طلبا للسلامة والنجاة.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، ذكر الطبري ما يقتضي أن ﴿مَا﴾ اسم موصول معطوف بالواو على ضمير الهاء في قوله: ﴿اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾، قال: «فــ ﴿مَا﴾ ... في موضع نصب عطفا لها على الهاء، والميم التي في قوله: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾».[جامع البيان: 9 / 209].

يعني أن ﴿مَا﴾ اسمية وليست حرف نفي، فيكون المعنى: اعتزلتموهم واعتزلتم ما يعبدون من دون الله. أما الاستثناء في قوله ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، إن فرضنا الكفار الذين فر أهل الكهف منهم لا يعرفون الله ولا علم لهم به، وإنما يعتقدون الألوهية في أصنامهم فقط فهو استثناء منقطع ليس من الأول، وإن فرضناهم يعرفون الله ويعظمونه كما كانت تفعل العرب لكنهم يشركون أصنامهم معه في العبادة فالاستثناء متصل، لأن الاعتزال وقع في كل ما يعبد الكفار إلا في جهة الله تعالى، وفي مصحف ابن مسعود: «﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾»، قال قتادة هذا تفسيرها، قال هارون –بن موسى – : وفي بعض مصاحفه: «وما يعبدون من دوننا»، فعلى ما قال قتادة تكون إِلَّا بمنزلة غير، ﴿وَمَا﴾ من قوله وَما يَعْبُدُونَ في موضع نصب عطفا على الضمير في قوله اعْتَزَلْتُمُوهُمْ».

وَمُضَمَّنُ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِبَعْضٍ: إِذِ فَارَقْنَا الْكُفَّارَ وَانْفَرَدْنَا بِاللهِ تَعَالَى، فَلْنَجْعَلِ الْكَهْفَ مَأْوىً وَنَتَّكِلْ عَلَى اللهِ، فَإِنَّهُ سَيَبْسُطُ لَنَا رَحْمَتَهُ، وَيَنْشُرُهَا عَلَيْنَا، وَيُهَيِّئُ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا مرْفقًا.

وَهَذَا كُلُّهُ دُعَاءٌ بِحَسَبِ الدُّنْيَا، وَعَلَى ثِقَةٍ مِنَ اللهِ كَانُوا فِي أَمْرِ آخِرَتِهِمْ.

وقوله: ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ﴾ أي: يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم، وهو مجزوم على جواب الأمر في ﴿فَأۡوُۥٓاْ﴾.

وقوله: ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾، أي: يقدر لكم ربكم ويُوجد لكم من أمركم الذي أنتم فيه ما ترتفقون به.﴿وَيُهَيِّئۡ﴾ مجزوم عطفا على ما قبله من الفعل، وقوله: ﴿مِّرۡفَقٗا﴾ مفعول لقوله: ﴿وَيُهَيِّئۡ﴾ وهو مصدر ميمي على مَفعِل من رفَق يرفُق.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر «مَرفقا» بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي «مِرفَقا» بكسر الميم وفتح الفاء، ويقالان جميعا في الأمر وفي الجارحة – مرفق اليد –، حكاه الزجاج، وذكر الإمام مكي بن أبي طالب القيسي عن الفراء أنه قال: لا أعرف في الأمر وفي اليد وفي كل شيء إلا كسر الميم، وأنكر الكسائي أن يكون «المرفق» من الجارحة إلا بفتح الميم وكسر الفاء، وخالفه أبو حاتم، وقال: «المرفق» بفتح الميم الموضع كالمسجد وهما بعد لغتان.

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان بمعنى واحد، قد قرأ بكل واحدة منهما قراء من أهل القرآن، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب».[جامع البيان:9 / 210]

## رابعا: لطائف وفوائد:

– في الآيات أسلوب الالتفات، وذلك في الالتفات من الغيبة في الضمائر السابقة في قولــه: ﴿إذ قاموا فقالوا﴾ وما بعده، إلى الخطاب في قوله: ﴿إِعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ وقوله: ﴿فَأۡوُۥٓاْ﴾ والضمائر في ﴿لَكُمۡ﴾ و﴿رَبُّكُم﴾ و﴿أَمۡرِكُم﴾. وهو من المحسنات المعنوية، وفيه تصوير لحالهم وكأنها حاضرة، وتوجيه الأمر إليهم بأن يأووا إلى الكهف، وكأن ذلك لم يحدث بعدُ، تنويعا لأساليب العرض في القصة.

– في قوله: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ استعارة تصريحية، أصليةٌ في المصدر تَبَعيةٌ في الفعل، شبهت تقوية الإيمان واليقين في القلب بالرباط الذي تربط به الأشياء لتقويتها وتمتينها كحزمة العيدان، أو لحفظها من الضياع والانفلات كالطير والحيوان.

- دل قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ على أن القلب هو مستقر الإيمان والكفر، والهداية والزيغ، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:11]، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:5]، ونحوهما من الآيات. وقال ﷺ «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صَلَحَت صَلَحَ الجسدُ كــلُّه، وإذا فَسَدَت فَسَد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب». [صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب فضل من استبرأ لدينه، حديث 52]، ولذلك قالت عائشة - رضي الله عنها - : «دعوات كان رسول الله ﷺ يكثر أن يدعو بها: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء، فقال: إن قلب الآدمي بين أُصبُعَيْنِ من أصابع الله عز وجل، فإذا شاء أزاغه، وإذا شاء أقامه».[صحيح البخاري: كتاب الايمان ـ باب فضل من استبرأ لدينه، حديث 52].

- في أن المؤمن إذا بلغ من الاستقامة والمحبة والإخلاص لله تعالى مبلغ الرضا، تلقاه ربه بالقبول وتولاه بالتثبيت والحفظ والتأييد، قال صلى الله عليه وسلم:«احفظ الله يحفظك» [رواه الترمذي].

## التقويم

1 - ماذا يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾؟

2 - ما الوجهان الواردان في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا ...﴾؟

3 - يُعدُّ الالتفات من الأساليب البلاغية فما المراد به؟ وما مثاله في الآيات المفسرة؟

4 - ما نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾؟

## الاستثمار

اختلف النحويون في رسم (إذن) على ثلاثة مذاهب: أحدها: أنها تكتب بالألف منونا، وهو مذهب الفراء والمازني، واختاره ابن مالك في التسهيل، وبه ورد رسم المصحف. والثاني: أنها تكتب بالنون، وإليه ذهب المبرد والأكثرون. قَالَ النَّحَّاسُ: وَسَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ - المبرد - يَقُولُ: إِنَّهَا مِثْلُ لَنْ وَإِنْ، وَلَا يَدْخُلُ التَّنْوِينُ فِي الحروف». والثالث: التفصيل، فإن كانت عاملة كتبت بالنون، وإن كانت ملغاة كتبت بالألف، نسبه بعضهم للفراء. [ملخص من رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي: 155 (بتصرف)].

1 - ما هي مذاهب النحاة في (إذن)؟

2 - كيف تكتب (إذن) في الرسم العثماني؟

3 - أمثِّل لـــ (إذن) العاملة والملغاة.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 17 ـ 18 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما القراءات الواردة في لفظ ﴿تَّزَّاوَرُ﴾ ؟

2 - ما هي قراءة الحسن البصري في لفظة ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾؟ وما الحكمة من التقليب؟

3 - أبحثُ عن مدلولات العبارات الآتية: تَّزَّاوَرُ - تَّقْرِضُهُمْ - بِالْوَصِيدِ.

الدرس **5**

# سورة الكهف (الآيات: 17 - 18)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف حال الفتية في الكهف وعجائب قدرة الله فيهم.

2 - أن أدرك مظاهر عناية الله بأصحاب الكهف.

3 - أن أوقن بموعود الله بحفظ من حفظه وإكرام من لاذَ به.

## تمهيد

بعد أن تناولت الآيات السابقة تفصيل حال أصحاب الكهف، وبيَّنَت سبب خروجهم وفرارهم، ومنة الله عليهم بهدايتهم والربطِ على قلوبهم وتوليهم بالحفظ والرعاية، شرعت هاتان الآيتان في بيان عجائب قدرة الله في قصتهم، وتوضيحِ مظاهر إكرام الله وعنايته بهم.

فما هي عجائب قدرة الله في قصتهم؟ وما مظاهر عناية الله بهم؟ وما أهم اللطائف والقيم المستنبطة من الآيات؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا (17) وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم

﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿18﴾﴾ [الكهف: 17ـ18]

## الفهم

### الشرح:

**فَجْوَةٍ** : جهة وناحية.

**فَجْوَةٍ** : متسع وفضاء.

**وَلِيًّا** : حليفا ونصيرا.

### استخلاص مضامين الآيات:

- ما مظاهر عناية الله بأصحاب الكهف؟

## التفسير

اشتمل هذا الدرس على ما يأتي:

### أولا: من عجائب قدرة الله تعالى في قصة أصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ...﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو قوله تعالى: ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ بتشديد الزاي وإدغام التاء «تزّاور»، وقرأ الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي «تَزَاور» بتخفيف الزاي بتقدير تتزاور فحذفت إحدى التاءين، وقرأ ابن عامر «تَزْوَرُّ» في وزن «تَحْمَرُّ»، وقرأ الجحدري وأبو رجاء «تَزْوَارُّ» بألف بعد الواو.

وحَذْفُ الألف في قراءة ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ هو حذف إشارة لقراءة «تزورُّ». ومعنى اللفظة على كل هذا التصريف تعدل وتروغ وتميل.

وقوله:﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾، قرأ الجمهور «تقرضهم» بالتاء، وفرقة «يقرضهم» بالياء، أي: الكهف، كأنه من القرض وهو القطع، أي:يقتطعهم الكهف بظله من ضوء الشمس. والمعنى على قراءة الجمهور أنهم كانوا لا تصيبهم شمس ألبتة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه، فيتأولون

«تقرضهم» بمعنى تتركهم، أي: كأنها عنده تقطع كلّ ما لا تناله عن نفسها. وأما من قرأها بالتاء فتأول أنها كانت بالعشي تنالهم، فكأنها «تقرضهم» أي: تقتطعهم مما لا تناله، وقالوا: كان في مسها لهم بالعشي صلاح لأجسامهم. والعرب تقول:قرضت موضع كذا أي: قطعته، ومنه أقرِضْني درهما أي: اقطعه لي من مالك.

وقوله: ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ و﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ يحتمل أن يريد ذات يمين الكهف بأن نقدر باب الكهف بمثابة وجه إنسان فإن الشمس تجيء منه أولَ النهار عن يمين، وآخره عن شِمَال، ويحتمل أن يريد ذات يمين الشمس وذات شِمَالها، بأن نقدر الشعاع الممتد منها إلى الكهف بمثابة وجه إنسان، والوجه الأول أصح.

وذهب الزجاج إلى أن فعل الشمس كان آية من الله تعالى دون أن يكون باب الكهف إلى جهة توجب ذلك.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾، «الفجوة» المتسع، وجمعها فُجىً، قال قتادة: في فضاء منه. وقال ابن جبير: في مكان داخل.

قال الطبري رحمه الله :«معنى الكلام: وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم، فتطلع عليه من ذات اليمين، لئلا تصيب الفتية، لأنها لو طلعت عليهم قُبَالَهم لأحرقتهم وثيابهم، أو أشحبتهم، وإذا غربت تتركهم بذات الشمال، فلا تصيبهم». [جامع البيان:9 / 211].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلى الأمر بجملته والقصة بأكملها، حيث أرشدهم تعالى إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء، وسخر لهم الشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم.أو هو إشارة إلى أقرب مذكور، وهو خصوص ازورار الشمس عن كهفهم.

أي: كان صنيعه لهم وعنايته بهم بخرق النواميس ومخالفة القوانين الكونية آية من آياته الدالة على وحدانيته وقدرته.

### ثانيا: الهداية من الله تعالى:

قال تعالى:﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ معناه: أن يسأل العباد الهداية منه، وأن يلهمهم سبل الرشاد، ويجنبهم سبل الشقاوة؛ لأن ذلك بيده وهو المالك له.

ونظير هذه الآية في كتاب الله آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الانعام:40].

وجملة ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ جملة شرطية، وفعل الشرط ﴿يَهْدِ﴾ مجزوم بحذف الياء من آخره نيابة عن السكون، وقوله: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ جملة اسمية وهي جواب الشرط في محل جزم. وفي قوله تعالى: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ تعريف الطرفين: المبتدأ والخبر، وهو يؤذن بالحصر، و«أل» في ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ هي «أل» الكمالية، وهي التي تفيد الكمال في الصفة، وربما سماها بعضهم»الاستغراقية».

والوقف على كلمة ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ في هذا الموضع بالكهف وفي سورة الإسراء يكون بحذف الياء وإسكان الدال؛ لأن ياءه غير ثابتة في مرسوم الإمام، وإنما تلحق رقيقة حمراء بعد الدال، لذا توضع علامة الوقف على الدال لأن الوقف عليه، بخلاف ﴿ٱلْمُهْتَدِي﴾ في سورة الأعراف فإن ياءه مرسومة ثابتة في المصحف الإمام، فتكتب غليظة بالسواد، ويوقف على الكلمة بالياء، لذا توضع علامة الوقف فيها على الياء.

## ثالثا: مظاهر عناية الله بأصحاب الكهف:

وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾، بيان لعناية الله بفتية الكهف، وهي حفظه لأبصارهم من التلف، فظلت سليمة طوَالَ هذه المدة لم يطْرَأ عليها شيء من التغير أو الضرر بفعل الزمن وعوامل التغيير، حتى إن الناظر إليهم لَيَحسِبهم في حالة يقظة تامة.

وقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾ قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي بكسر السين، وقرأه الشامي وعاصم وحمزة بفتحها، وهو القياس، والكسر أفصح، وهما لغتان صحيحتان شائعتان.

و﴿أَيْقَاظًا﴾ جمع يَقظٍ بكسر القاف وضمها كعضُد وأعضاد، وقد يجمع على يَقْظَانَ أيضا، قاله الأخفش وأبو عبيدة والزجاج، وهو المنتبه من نومه، و﴿رُقُودٌ﴾ أي: نائمون، وهو مصدر سمي به المفعول كما يقال: ركوع وقعود وسجود، يوصف الجمع بالمصدر. قال الرازي رحمه الله: «ومن قال: إنه جمعُ راقدٍ فقد أبعَدَ؛ لأنه لم يجمع فاعل على فُعول». [مفاتيح الغيب: 21 / 101-102]. وبيْن قوله: ﴿أَيْقَاظًا﴾ و﴿رُقُودٌ﴾، وقوله: ﴿ٱلْيَمِينِ﴾ و﴿ٱلشِّمَالِ﴾ طباق.

قال أهل التفسير: كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون، فلذلك كان الرائي يحسبهم أَيْقاظاً. قال ابن عطية: ويحتمل أن يحسب الرائي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم وقلة التغير، وذلك أن الغالب على النوام أن يكون لهم استرخاء وهيئات تقتضي النوم، ورب نائم على أحوال لم يتغير عن حالة اليقظة، فيحسبه الرائي يقظانَ وإن كان مسدود العينين».

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾، قرأ الجمهور «ونقلبهم» بنون العظمة، وقرأ الحسن «وتَقَلُّبُهم» بالتاء المفتوحة وضم اللام والباء، وهو مصدر مرفوع بالابتداء، قاله أبو حاتم، وحكى ابن جِنِّي القراءة عن الحسن بفتح التاء وضم اللام وفتح الباء، وقال: هذا نُصِبَ بفعل مقدرَ كأنه قال: وترى أو تشاهد تقلبهم، ورأت فرقةٌ أن التقلب هو الذي من أجله كان الرائي يحسبهم أَيْقاظاً، وهذا وإن كان التقلب لمن صادف رؤيته دليلا على ذلك، فإن ألفاظ الآية لم تسُقْهُ إلا خبرا مستأنفا. وروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: لو مستهم الشمس لأحرقتهم، ولولا التقليب لأكلتهم الأرض.

قال ابن عطية رحمه الله: وآية الله في نومهم هذه المدة الطويلة، وحياتهم دون تَغَذٍّ أَذْهَبُ في الغرابة من حفظهم مع مس الشمس ولزوم الأرض... وظاهر كلام المفسرين أن التقليب كان بأمر الله وفعل ملائكته، ويحتمل أن يكون ذلك بإقدار الله إياهم على ذلك وهم في غمرة النوم لا ينتبهون، كما يعتري كثيرا من النوام؛ لأن القوم لم يكونوا موتى.

وقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾، في قوله: ﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ إعمال لاسم الفاعل، وهو بمعنى الماضي لأنها حكاية حال، ولم يقصد الإخبار عن فعل الكلب.

وأكثر المفسرين على أنه كلب حقيقة كان لصيد أحدهم فيما روي، وقيل: كان لراع مرُّوا عليه فصحِبَهم وكلبه. أما قول من زعم أنه كان رجلا سمي بهذا الاسم فبعيد، قال ابن عطية: وهذا القول يضعفه بسط الذراعين، فإنهما في العرف من صفة الكلب حقيقة.

و﴿بِالْوَصِيدِ﴾ الفِناء، قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير، أي: فِناء الكهف، والجمع وصائد ووُصُد. وقيل: الباب. وقيل: موضع العتبة. والباب الموصَد هو المغلق.

وقوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ يمكن حمله بلاغة على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ويمكن حمله على التجريد، وهو الخطاب لغير معين، وهو كثير في كلام العرب وشعرهم، ويمكن أن يكون استصحابا لخطاب النبي صلى الله عليه

وسلم في أول القصة: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف..﴾.

و﴿فِرَارًا﴾ منصوب على المصدر - مفعول مطلق - ؛ لأن معنى ولّيت: فررْتَ. ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾، قرأ الحَرَميان - نافع وابن كثير - بتثقيل اللام من ﴿وَلَمُلِّئْتَ﴾ على المبالغة، وقرأ الباقون بتخفيفها. وقرأ ابن عامر والكسائي من السبعة بضم العين في «رعُبا»، وسكَّنها الباقون، وهما لغتان. ونَصْبُه على التمييز.

وقالت فرقة: إنما حَفَّهم هذا الرعب لطول شعورهم وأظفارهم، ذكره المهدوي والزجاج، وهذا قول بعيد، ولو كانت حالهم هكذا لم يقولوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وإنما الصحيح في أمرهم أن الله - عز وجل - حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية، فلم يَبْلَ لهم ثوبٌ، ولا تغيرت صفةٌ، ولا أنكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهمَّ، ولرُوِيَ ذلك.

## رابعا: لطائف وفوائد:

- من جميل ما يستنبط من قصة أهل الكهف في هذا المقطع ما نقله ابن عطية عن والده - رحمهما الله - حيث قال: «حدثني أَبِي - رضي الله عنه - قال: سمعت أبا الفضل الجوهري... يقول: إن مَن أحبَّ أهلَ الخير نال من بركتهم، كلبٌ أحبَّ أهلَ فضل وصَحِبهم، فذكره الله في محكم تنزيله» قال القرطبي معقبا بعد نقله هذا الكلام عن ابن عطية: «قلت: إذًا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء، حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه - جل وعلا - فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين، بل في هذا تسليةٌ وأنسُ للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال، المحبين للنبي ﷺ وآله خيرِ آل». [تفسير القرطبي:10 / 372]. وفي ذلك إشارة إلى فضل صحبة الأخيار، والنيلِ من بَرَكة مجالستهم، وقد صح عن النبي ﷺ قوله: « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». [صحيح البخاري: كتاب الدعوات ـ باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث6407]. ولذلك كان أصحاب المصطفى ﷺ خيرَ جِيلٍ وأشرفَ رَعيل بعد النبيين؛ بما نالوه من بركة صحبة سيد الخلق أجمعين، عليه أزكى الصلاة والتسليم.

- الإيمان باسم الله تعالى «القدير»، وتدبر تجلياته في قصة أصحاب الكهف يزيد المؤمن يقينا وطمأنينة وثقة في تدبير الله تعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

## التقويم

1 - ما القراءات الواردة في كلمة «تَّزَٰوَرُ»، وما علة حذف الألف فيها رسما؟

2 - ما العلة التي ذكرها المفسرون للفرار والرعب الحاصلين لمن يطلع على أصحاب الكهف؟

3 - أذكرُ ثلاثة مظاهر لعناية الله بأصحاب الكهف.

4 - أبيِّنُ في بضعة أسطر فوائد مصاحبة الأخيار.

## الاستثمار

قال الامام الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره: «اعلم أن مدار القول بإثبات البعث والقيامة على أصول ثلاثة. أحدها: أنه تعالى قادر على كل الممكنات. والثاني: أنه تعالى عالم بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات. وثالثها: أن كل ما كان ممكن الحصول في بعض الأوقات كان ممكن الحصول في سائر الأوقات. فإذا ثبتت هذه الأصول الثلاثة ثبت القول بإمكان البعث والقيامة». [تفسير الرازي:ج 21 ص454]

أتأمل كلام الإمام الرازي رحمه الله وأجيب عن الآتي:

1 - ما وجه الربط بين كلامه وقصة أصحاب الكهف؟

2 - اشتملت السور الثلاث: الإسراء والكهف ومريم على أمثلة يمكن تعزيز كلام الرازي بها، أوضِّحْ ذلك.

## الإعداد القبلي

أُراجع تفسير الآيتين: 19 – 20 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما نوع اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾؟

2 - ما القراءات الواردة في قوله: ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ مستدلا عليها من متن الشاطبية؟

3 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: بِوَرِقِكُمْ - وَلْيَتَلَطَّفْ - أَزْكَىٰ - يَظْهَرُواْ.

الدرس 6

# سورة الكهف (الآيات: 19 - 20)

## أهداف الدرس

1 - أن أقف على مشهد استغراب الفتية بعد الاستيقاظ.

2 - أن أتبين أن التوكل على الله لا يتنافى مع اتخاذ الأسباب.

3 - أن أحرص على حسن التصرف والتحلي بقيمة الرفق في حياتي.

## تمهيد

بعد أن تحدثت الآيات الماضية عن مظاهر العناية الإلهية بفتية الكهف، جاءت الآيات الآتية لتصف مشهد بعثهم ويقظتهم من رقدتهم الطويلة.

فكيف وصفت الآيات مشهد استغراب أصحاب الكهف واندهاشهم بعد اليقظة؟ وماذا طلبوا بعد استيقاظهم؟ وما هي الدلالات الإيمانية والتربوية المستفادة من الآيات؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)﴾ [الكهف:19-20].

## الفهم

### الشرح:

**بَعَثْنَٰهُمْ**: البعث التحريك عن سكون، والمراد هنا: الإيقاظ من النوم.

**لَبِثْتُمْ**: مكثتم.

**بِرِزْقٍ**: طعام وقوت.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - كيف صورت الآيات حال الفتية بعد الاستيقاظ؟

2 - ما هو أول تصرف للفتية بعد استيقاظهم؟

3 - بم أوصى الفتية مبعوثهم الذي أرسلوه ليلتمِس لهم الطعام؟

## التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

### أولا: بعث الفتية من رقدتهم الطويلة:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾. الإشارة بـــ ﴿ذلك﴾ إلى الأمر الذي ذكر الله في جهتهم، والعبرة التي فعلها فيهم، و«البعث» التحريك عن سكون، والـــلام فـــي قولـــه: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾ لام الصيرورة، ويعني بلام الصيرورة ما يصير إليه أمرهم، وتسمى لام الأيلولة، أي: ما يؤول إليه أمرهم، ولام العاقبة أيضا، كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 7]. وحملها الطبري رحمه الله على مجرد التعليل، فقال: «كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف، فحفظناهم من وصول واصل إليهم، وعينِ ناظِر أن ينظر إليهم، وحفِظنا أجسامَهم من البلَى على طول الزمان، وثيابَهم من العَفَن على مر الأيام بقدرتنا، فكذلك بعثناهم من رقدتهم، وأيقظناهم من نومهم، لنُعرِّفهم عظيم سلطاننا، وعجيب فعلنا في خلقنا، وليزدادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه من براءتهم من عبادة الآلهة، وإخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له، إذا تبينوا طول الزمان عليهم، وهم بهيئتهم حين رقدوا». [جامع البيان:9 / 216].

وقوله: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ﴾، أي ليسأل بعضهم بعضا، ثم بين ما جرى في هذه المساءلة فقال: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ ...﴾، فيه إبهام القائل، لعدم تعلق الفائدة بذكره وتعيينه، كما في قصة يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 10].

وفي ذلك أيضا أنهم بُعثوا دفعة واحدة أو متقاربين، بحيث لم يشهد أحدهم استيقاظ الآخر. قال ابن كثير رحمه الله: «ولهذا تساءلوا بينهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْۖ﴾؟ أي: كم رقدتم؟ ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖۚ﴾ كان دخولهم إلى الكهف في أول النهار، واستيقاظهم كان في آخر النهار؛ ولهذا استدركوا فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٖۚ﴾، ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ أي: الله أعلم بأمركم، وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم، فالله أعلم، ثم عدلوا إلى الأهمّ في أمرهم إذ ذاك، وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب».[تفسير القرآن العظيم: 4 / 375].

## ثانيا: تحرِّي الفتية الطيب الحلال:

قال تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾، أي: أرسلوا أحدكم بفضتكم هذه، أي: نقودهم المضروبة من الفضة. وفي لفظ ﴿ورقكم﴾ قراءات، فقد«قرأه عامة قراء أهل المدينة وبعض العراقيين بفتح الواو وكسر الراء والقاف. وقرأ عامة قراء الكوفة والبصرة: ﴿بِوَرْقِكُمْ﴾ بسكون الراء وكسر القاف. وقرأه بعض المكيين بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف، وكل هذه القراءات متفقات المعاني وإن اختلفت ألفاظها، وهن لغات معروفات من كلام العرب، غير أن الأصل في ذلك فتح الواو وكسر الراء والقاف، لأنه الوَرِق، وما عدا ذلك فإنه داخل على اللفظ طلبا للتخفيف». [جامع البيان:9 / 223 بتصرف].

وقالوا: ﴿بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾ لأنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها، فتصدقوا منها وبقي منها بقية. وقولهم: ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي: مدينتكم التي خرجتم منها والألف واللام للعهد. وهذا يدل على أنها لم تكن بعيدة من كهفهم الذي أووا إليه.

وقوله: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامٗا﴾ قيل: أطيب وأطهر. ومنه سميت الزكاة زكاة لأنها تطيب المال وتطهره. وقيل: أكثر طعاما، ومنه قولهم زكا الزرع إذا كثر ونما. وقيل: أرخص. «وَقِيلَ: أَكْثَرُ بَرَكَةً وَرِيعًا». [البحر المحيط: 7 / 156].

ويحتمل أن يكونوا عنوا بقولهم: ﴿أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامٗا﴾ أيها أحل، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان، فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم.

وقوله: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا﴾ يجوز أن يكون من نظر العين، ويجوز أن يكون من نظر القلب، وأضاف «أي» إلى ضمير المدينة، والمراد به أهلها، لأن تأويل الكلام: فلينظر أي أهلها أزكى طعاما؛ لمعرفة السامع بالمراد من الكلام. فإذا كان كذلك فهو مجاز مرسل، من باب إطلاق المحل وإرادة الحال، أو من قبيل المجاز بالحذف، حيث أطلق المدينة وأراد أهلها، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82] أي: أهلها.

وقد عطف الفعل في ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا﴾ على ما قبله في ﴿فَابْعَثُوا﴾ فالجملة فيهما فعلية إنشائية، واللام لام الأمر، والفاعل ضمير يعود على قوله: ﴿أَحَدَكُم﴾. وقوله: ﴿أَيُّهَا﴾ مفعول به مبني على الضم لإضافته وحذف صلته.

## ثالثا: أمرُ الفتية مبعوثهم بالرفق واللين:

قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، أي: فليُحْضِرْ لكم طعاما، والضمير عائد على قوله: ﴿أَيُّهَا﴾ أو على ﴿طَعَامًا﴾.

وقوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: وليترَفَّقْ في شرائه ما يشتري، وفي سيره في طريقه وفي دخوله للمدينة. قال الزمخشري: «وَلْيَتَكَلَّفِ اللُّطْفَ فِيمَا يُبَاشِرُهُ مِنْ أَمْرِ الْمُبَايَعَةِ حَتَّى لَا يُغْبَنَ، أَوْ فِي أَمْرِ التَّخَفِّي حَتَّى لَا يُعْرَفَ».[الكشاف: 2 / 710].وقرأ الجمهور ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ بتسكين اللام، وقرأ الحسن «ولِيتلطف» بكسر اللام.

وقوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا يُعْلِمَنَّ أحدا من الناس بحالكم أو مكانكم.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ عائد على الكفار، آل دقينوس، ﴿يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ معناه يَطَّلِعوا عليكم ويعلموا خبركم، أو بمعنى يَثْقفُوكم بعُلُوّهم وغَلَبتهم. يقال: ظهر عليه بمعنى غَلَبه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: 14] أي: غالبين.

وقوله: ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ قال الزجاج: معناه بالحجارة. قال ابن عطية رحمه الله: وهو الأصح؛ لأنه كان عازما على قتلهم لو ظفِر بهم، و«الرجم» فيما سلف هي كانت - على ما ذكر - قِتْلَةَ مخالف دين الناس، إذ هي أشفى لحملة ذلك الدين، ولهم فيها مشاركة. وقال حجاج:﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ معناه بالقول.

وإنما حمل من حمل الرجم على الشتم فقط، لورود ذلك في لغة القرآن في بعض موارد الكلمة، من ذلك قول والد إبراهيم له: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: 46] فقد اتفق على أنه أراد الشتم. وقول قوم نوح له: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: 116].

وجملة يرجموكم جواب شرط ﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾. ومجموع جملتي الشرط وجوابه دليل على خبر ﴿إِنَّ﴾ المحذوف لدلالة الشرط وجوابه عليه.

وقوله: ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾، أي: يرُدُّوكم قسرا إلى دينهم فتعودوا إلى الكفر بعد إذ هداكم الله للإيمان. ولا يلزم من العود إلى الشيء التلبُّسُ به قبل، بل يراد به الصيرورة، وهو أكثر استعماله في كلام العرب، يقولون: ما عُدتُ أفعل كذا، يريدون ابتداء الفعل.

وقوله: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾، ﴿إِذًا﴾ حرف جزاء وجواب، والتنوين فيها عوض عن جملة «إذا عدتم»، وأكد النفي في ﴿وَلَن﴾ بالظرف ﴿أَبَدًا﴾، وفيه المبالغة في التحذير لرفاقه من الفتية من أن يتعرضوا للابتلاء في دينهم لو ظهر عليهم قومهم.

## رابعا: لطائف وفوائد:

- في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ دليل على تحَرّي الفتية الطيب الحلال في شرائهم ومأكَلهم ومشرَبهم، فمن واجب المؤمن أن يتخذهم قدوة في كسبه وإنفاقه ومأكله ومشربه وفي أحواله كلها؛ لما في ذلك من مظاهر الاستجابة لله تعالى، والتأسي بسنن المرسلين، والوفاء بحقوق الله، وحقوق النفس والمجتمع؛ فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا.

- في قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ﴾ دليل على جواز الوكالة وصحتها كما نص على ذلك الجمهور.

- في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ دليل على حسن تصرفهم الدال على كمال فِطنتهم وأخذِهم بالأسباب ومقتضى الحِيطَةِ والحذر، وهو كقول يعقوب - عليه السلام - لأبنائه: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ﴾ [يوسف: 67]. وهو حقيقة التوكل الذي لا يتنافى مع اتخاذ الأسباب المُعينة على المقصود.

## التقويم

1 - ما نوع اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾؟ وبم تسمى؟

2 - أستخرجُ من آيتي الدرس قيمة، وأقترح وسائلَ عملية لتطبيقها في حياتي.

3 - ما تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾؟ وما القيمة الخلقية والتربوية المستفادة من ذلك؟

4 - أبيِّنُ وجه استنباط ابن عطية لحكم الوكالة من الآية.

## الاستثمار

قال السيوطي رحمه الله: «فَائِدَةٌ: قَالَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ: الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ لَهُ أَنْصَافٌ بِاعْتِبَارَاتٍ: فَنَصِفُهُ بِالْحُرُوفِ النُّونُ مِنْ (نُكْراً) في الكهف، والكاف مِنَ النِّصْفِ الثَّاني.وَنِصْفُهُ بِالْكَلِمَاتِ الدَّالُ مِنْ قوله: (وَالْجُلُودُ) فِي الْحَجِّ، وَقَوْلُهُ: (وَلَهُمْ مَقَامِعُ) مِنَ النِّصْفِ الثَّانِي. وَنِصْفُهُ بِالْآيَاتِ (يَافِكُونَ) مِنْ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ، وَقَوْلُهُ: (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ) مِنَ النِّصْفِ الثَّانِي. وَنِصْفُهُ عَلَى عِدَادِ السُّوَرِ آخِرُ الْحَدِيدِ، وَالْمُجَادَلَةُ مِنَ النِّصْفِ الثَّانِي، وَهُوَ عَشَرَةٌ بِالْأَحْزَابِ. وَقِيلَ: إِنَّ النِّصْفَ بِالْحُرُوفِ الْفَاءُ مِنْ قَوْلِهِ: (وَلْيَتَلَطَّفْ)». [الإتقان في علوم القرآن: 1 / 244].

أقرأ النص وأجيب عما يأتي:

1 - أحدِّدُ أنصاف القرآن الواردة في النص.

2 - أُبيِّنُ أنصاف القرآن الواردة منها في سورة الكهف.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات 21 – 24 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما الغاية من إطلاع الله الناس على أصحاب الكهف؟

2 - أحدد النواهي الواردة في الآيات.

3 - أبحث عن مدلولات العبارت الآتية: أَعْثَرْنَا - غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ - رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ - تُمَارِ.

الدرس

# 7 سورة الكهف (الآيات: 21 - 24)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف الغاية من إطلاع الناس على أصحاب الكهف.

2 - أن أجتنب القول بغير علم والمراء بالباطل، وأُكْثِرَ من ذكر الله.

3 - أن أتمثل ما في قصة أصحاب الكهف من الدروس والعبر.

## تمهيد

بعد أن انتهى السياق الكريم من سرد أحداث قصة أصحاب الكهف، انتقل الحديث إلى بيان الحكمة من إطلاع الناس عليهم، وذكر اختلافهم في ما يبنونه على قبورهم تخليدا لذكراهم، وفي عددهم، موجها النبي ﷺ إلى التماس علمهم من الله تعالى العليم بقصتهم، وأن لا يماري فيهم أو يسأل عنهم أحدا غيره سبحانه.

فما الحكمة من إطلاع الله الأجيال اللاحقة على أصحاب الكهف؟ وما حقيقة عددهم؟ ولم نهي النبي ﷺ عن المراء فيهم أو في عددهم؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ

كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ
كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمُ إِلَّا قَلِيلٌ (22) فَلَا تُمَارِ فِيهِمُ إِلَّا
مِرَآءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمُ أَحَداً (23) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ اِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً
اِلَّا أَنْ يَشَآءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا
رَشَداً (24) [الكهف: 21-24]

## الفهم

### الشرح:

يَتَنَازَعُونَ: ينازع بعضهم بعضا، يقال: نزع برأيه إذا أدلى به.

أَمْرَهُمْ : قرارهم ورأيهم.

مَّسْجِداً : مصلّىً ومعبدا.

وَلَا تَسْتَفْتِ: لا تسأل.

رَشَداً : هدى وصلاحا.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما الغاية من إطلاع الناس على أصحاب الكهف؟

2 - فيم اختلف الذين أعثرهم الله على فتية الكهف؟

3 - ما هي النواهي الموجهة للنبي ﷺ التي تضمنتها الآيات؟

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

## أَولا: الغاية من بعث أصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: بعد المدة التي لبثوها في ذلك الكهف أظهرناهم وأوقفنا الأمة المؤمنة التي بعثوا في زمنها على خبرهم وقصتهم بعد تغير الأحوال في الأزمنة اللاحقة التي لبثوها في الكهف. والفعل «أعثر» رباعيٌ مزيد «عثر» عُدّي إلى المفعول بالهمزة، ويطلق على الوقوف على الشيء بعد فقده وطلبه والبحث عنه كما قال تعالى: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ [المائدة: 109]. وقوله تعالى: ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ اللام لام التعليل، وفيه بيان الغاية والحكمة من إعثار الله عليهم، والضمير في قوله ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ يحتمل أن يعود على الأمة المسلمة الذين بعث أهل الكهف على عهدهم، قال الإمام الطبري رحمه الله: «يقول تعالى: كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شكّ من قُدرة الله على إحياء الموتى، وفي مِرْية من إنشاء أجسام خلقه كهيئتهم يوم قبضهم بعد البِلَى، فيعلموا أن وَعْد الله حق، ويُوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها». [جامع البيان: 17 / 640]. والريب: الشك. والساعة في نفسها وحقيقتها لا شك فيها، وإن كان الشك قد وقع لناس، فذلك لا يلحقها منه شيء.

قال تعالى: ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡ﴾ قال ابن عطية رحمه الله: «انتظرهم الناس فلما أبطأ خروجهم، دخل الناس إليهم فرُعِبَ كل من دخل، ثم أقدموا فوجدوهم موتى، فتنازعوا». فالتنازع على هذا التفسير إنما هو في أمر البناء أو المسجد، لا في أمر القيامة. وقيل: إن التنازع إنما هو حين اطلعوا عليهم، فقال بعض: هم أموات، وبعض: هم أحياء، فقالت الطائفة الغالبة على الأمر: لنتخذن عليهم مسجدا، فاتخذوه.

قال قتادة: ﴿ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ﴾ هم الولاة. وقرأ الحسن وعيسى بن عمر الثقفي «غُلبوا» بضم الغين وكسر اللام - على البناء للمفعول -، والمعنى: أن الطائفة التي أرادت المسجد كانت أوّلًا تريد أن لا يبنى عليهم شيء، وأن لا يُعرض لموضعهم. وروي أن طائفة أخرى مؤمنة أرادت ولا بد طَمْس الكهف، فلما غلبت الأولى على أن يكون بنيانا ولا بد، قالت: يكون مسجدا فكان. وروي

أن الطائفة التي دعت إلى البنيان إنما كانت كافرة أرادت بناء بيعة أو مصنع لكفرهم، فمانعهم المؤمنون، وقالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾. وروي عن عبيد بن عمير أن الله عمّى على الناس حينئذ أثرهم، وحجبهم عنهم، فلذلك دعَوا إلى بناء البنيان ليكون معْلَما لهم.

## ثانياً: اختلاف الناس في عدد أصحاب الكهف:

قال تعالى حكاية لهذا الاختلاف: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ ...﴾ الآية، قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ التقدير: هم ثلاثة، وكذلك ﴿خَمْسَةٌ﴾ و﴿سَبْعَةٌ﴾، استغني فيها عن ذكر المبتدإ اكتفاء بالخبر لدلالته عليه. وإنما يعدل عن الذكر إلى الحذف عند ظهور المعنى فيه، وهو حينئذ أبلغ من الذكر كما هو مقرر في علم المعاني.

وقوله: ﴿رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾ عائد على القولين، وهو مفعول مطلق، ويحتمل أن يكون حالا مُؤَوَّلاً، كأنه قال: راجمين. قال قتادة: معناه: قذفا بالغيب، وقال أيضا: قذفا بالظن.

وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» [1 / 98]: «﴿رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾ الرجم: ما لم تستيقنه، ويقال: ظنٌّ مرجَّمٌ: لا يدرى أحق هو أم باطل؟

وقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾، الغيب كل ما استتر وغاب عن المشاهدة زمانا ومكانا، وعالم الغيب يقابله عالم الشهادة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، ذهب جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس -رضي الله عنهما - أن هذا حقيقة عدد فتية الكهف. قال أبو نصر القشيري فيما نقله عنه القرطبي: «وَقَالَ قَوْمٌ مِمَّنْ صَارَ إِلَى أَنَّ عَدَدَهُمْ سَبْعَةٌ: إِنَّمَا ذَكَرَ الْوَاوَ فِي قَوْلِهِ «سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ» لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّهُ مُبَايِنٌ لِلْأَعْدَادِ الْأُخَرِ الَّتِي قَالَ فِيهَا أَهْلُ الْكِتَابِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي الْجُمْلَتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ «رَجْماً بِالْغَيْبِ» وَلَمْ يَذْكُرْهُ فِي الْجُمْلَةِ الثَّالِثَةِ وَلَمْ يَقْدَحْ فِيهَا بِشَيْءٍ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لِنَبِيِّهِ هُمْ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 249].

قال ابن جزي رحمه الله: «وكذلك دخلت السين في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث استغناء بدخولها في الأول». [التسهيل: 1 / 506].

وقوله: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾، أمر الله تعالى نبيه صلي الله عليه وسلم في هذه الآية أن يرد علم عِدَّتهم إليه عز وجل، ثم أخبر أن عالم ذلك من البشر قليل فقال: ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ فدل على أن الجملة الأولى أفادت الإخبار بعلم الله بعدّتهم، ولم تفد الحصر، قال الإمام الطبري رحمه الله: «ما يعلم عددهم إلا قليل من خلقه»، وأسند عن قتادة قال: قليل من الناس. وقال آخرون: عنى بالقليل أهل الكتاب. وكان ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول: أنا ممن استثناه الله، ويقول: عدتهم سبعة، وثامنهم كلبهم». [جامع البيان: 9 / 226 ـ 227 بتصرف].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ لم يبح له في هذه الآية أن يماري، ولكن قوله: ﴿إِلَّا مِرَآءٗ﴾ استعارة من حيث يماريه أهل الكتاب، سميت مراجعته لهم مِراءً، ثم قُيِّدَ بأنه ظاهر، ففارق المراءَ الحقيقيَّ المذموم.

والمراء مشتق من المرية، وهو الشك، فكأنه المشاككة.

وقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، حذفت لام الفعل منه – وهي الياء – نيابة عن السكون، وأصلها «تماري».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ السين والتاء في ﴿تَسۡتَفۡتِ﴾ للطلب، أي: ولا تطلب الفتيا في شأن الفتية من أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى. وروي أن النبي ﷺ سأل نصارى نجران عنهم، فنُهِيَ عن السؤال. قال الإمام القرطبي رحمه الله: وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم» [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 50] يعني: العلم الشرعي المتعلق بأحكام الدين. والضمير في قوله: ﴿فِيهِمۡ﴾ عائد على أهل الكهف، وفي قوله: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ عائد على أهل الكتاب المعاصرين للنبي عليه السلام، وقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾ يعني في عدتهم، وحذفت العدة لدلالة ظاهر القول عليها.

### ثالثا: إرشاد الله تعالى إلى رد الأمور إليه:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ...﴾ الآية فيها تعليم وتأديب من الله تعالى لنبيه ﷺ وعتاب له عَلَى قَوْلِهِ لِلْكُفَّارِ حِينَ سَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ وَالْفِتْيَةِ وَذِي الْقَرْنَيْنِ: غَدًا أُخْبِرُكُمْ بِجَوَابِ أَسْئِلَتِكُمْ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ فِي ذَلِكَ. فَاحْتَبَسَ الْوَحْيُ عَنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ

وَأَرْجَفَ الْكُفَّارُ بِهِ، فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ السُّورَةُ مُفَرِّجَةً. وَأُمِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَلَّا يَقُولَ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ: إِنِّي أَفْعَلُ غَدًا كَذَا وَكَذَا، إِلَّا أَنْ يُعَلِّقَ ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى لَا يَكُونَ مُحَقِّقًا لِحُكْمِ الْخَبَرِ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ: لَأَفْعَلَنَّ ذَلِكَ وَلَمْ يَفْعَلْ كَانَ كَاذِبًا، وَإِذَا قَالَ لَأَفْعَلَنَّ ذَلِكَ إِنْ شاء الله خرج عن أن يكون محققا للمخبر عنه. واللام في قوله: ﴿لِشَاْيْءٍ﴾ بمنزلة «في» كأنه قال: لأجل شيء.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ في الكلام حذف يقتضيه الظاهر، ويحسنه الإيجاز، تقديره: إلا أن تقول: إلا أن يشاء الله، أو إلا أن تقول: إن شاء الله، فالمعنى إلا أن تذكر مشيئة الله، فليس ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ من القول الذي نهي عنه.

وقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قيل: إذا نسيت أن تقول: إن شاء الله فقلها إذا ذكرت، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: 13] وفي معنى الآية قوله ﷺ « من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾». [سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب فيمن نام عن الصلاة أو نسيها، حديث 435]. وقال ابن عباس والحسن: معناه والإشارة به إلى الاستثناء أي: ولتستثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولًا؛ لتخرج من جملة من لم يعَلِّق فعلَه بمشيئة الله. وقال عكرمة: المعنى واذكر ربك إذا غضبت.

قال بعض المفسرين: ليس في سورة الكهف من آيات الأحكام غير هذه الآية. قال ابن عطية رحمه الله: «وتكلم الناس في هذه الآية في الاستثناء في اليمين، والآية ليست في الأيمان، وإنما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين». يعني أن موضوعها هو وجوب قول القائل: إن شاء الله مقرونة بوعده وعزمه على فعل، وهذا هو المستفاد من ظاهر قوله: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾، لكنهم قاسوا عليه الحلف على أمر وجعلوه مثله، استثنى أم لم يستثن. وقال ابن القاسم وأشهب وابن عبد الحكم وأسامة بن أحمد بن محمد عن أبيه عن مالك: إن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إنما قصد بذلك ذكر الله عند السهو والغفلة، وليس باستثناء. [أحكام القرآن لابن العربي: 3 / 227 ـ 228].

ومذهب الإمام مالك – رحمه الله – وجميع أصحابه وكثير من العلماء في الاستثناء بعد اليمين أنه لا ينفع ولا يسقط الكفّارة إلا أن يكون متصلا باليمين.

وهذه الآية مخاطبة للنبي عليه السلام، وهي بعدُ تعم جميع أمته؛ لأنه حكم يتردد الناس بكثرة وقوعه.

وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ أي: عسى أن يرشدني فيما استقبل من أمري، وقال أبو إسحاق الزجاج: عسى أن ييسر الله من الأدلة على نبوتي أقرب من دليل أصحاب الكهف.

## رابعا: لطائف وفوائد:

- في البعث بعد النوم مدةً طويلة تذكيرٌ للعباد بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وبرهان ساطع على البعث بعد الموت؛ ليعتبر المؤمن ويزداد يقينا في اليوم الآخر أُحَدِ أركان الإيمان الستة.

- في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ...﴾ الآية، تعليقُ الأمور بمشيئة الله تعالى، وذلك من محاسن الآداب التي تعين المؤمن، على تمتين علاقته بربه ومداومة ذكره وعدم الغفلة عنه، وتفويض الأمور إليه والرضا بقضائه وقدره وحسن التوكل عليه، والتربية على رعاية حقوق من بيده كل شيء.

- استفاد بعض العلماء من عموم قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أن ذكر الله عند النسيان يزيله، فيذكر العبد ما نسيه وسها عنه؛ لأن النسيان من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف:62]، والذكر يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان زال النسيان.

## التقويم

1 - لماذا أعثر الله الناس على أصحاب الكهف؟

2 - ما التحقيق في عدد أصحاب الكهف؟ مع الاستدلال.

3 - ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؟ وما الفوائد التربوية المستفادة منه؟

4 - أستجمع في خطاطة أهم الدروس والقيم المستفادة من قصة أصحاب الكهف.

## الاستثمار

قال الإمام ابن العربي رحمه الله: «قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: 23 ـ 24]، قَالَ عُلَمَاؤُنَا: هَذَا تَأْدِيبٌ مِنْ الله لِرَسُولِه، أَمَرَهُ فِيه أَنْ يُعَلِّقَ كُلَّ شَيْءٍ بِمَشِيئَةِ الله؛ إِذْ مِنْ دِينِ الْأُمَّةِ وَمِنْ نَفِيسِ اعْتِقَادِهِمْ: (مَا شَاءَ الله كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)، لَا جَرَمَ فَلَقَدْ تَأَدَّبَ نَبِيُّنَا بِأَدَبِ الله حِينَ عَلَّقَ الْمَشِيئَةَ بِالْكَائِنِ لَا مَحَالَةَ، فَقَالَ يَوْمًا وَقَدْ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ».

[أحكام القرآن: 3 / 227].

1 - ما الأدب الذي وجه إليه الله تعالى نبيَّه ﷺ في هذه الآية؟ وكيف طبقه؟

2 - ما الآثار الإيمانية و الخلقية لهذا الأدب؟

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 25 – 27 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - كم لبث أصحاب الكهف في كهفهم؟

2 - ما إعراب قوله تعالى: «سِنِينَ»؟

3 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَلِيٍّ ـ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ـ مُلْتَحَدًا.

الدرس

# 8 سورة الكهف (الآيات: 25 - 27)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف مدة بقاء الفتية في الكهف.

2 - أن أدرك إحاطة علم الله تعالى بعالمي الغيب والشهادة.

3 - أن ألجأ إلى الله تعالى في جميع أمري معتصما بكتابه المبين.

## تمهيد

بعد أن وجه الله نبيه وأمته معه إلى دوام ذكر الله، والتماس علم الغيب وطريق الرشَد من عنده، جاءت هذه الآيات تطلع النبي ﷺ على شيء من خبر أهل الكهف، وهو مدة مكثهم نياما في كهفهم، موجهة النبي ﷺ وأمته من بعده إلى مداومة تلاوة القرآن، فهو مصدر العلم الحقيقي.

فما مدة لبث أهل الكهف في كهفهم؟ومن أين ينبغي أن نستمد أنباء الغيب؟وما واجبنا نحو كتاب الله تعالى؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26) وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27)﴾ [الكهف:25-27]

## الفهم

### الشرح:

وَلَبِثُواْ: ومكثوا.

غَيْبُ: ما غاب عن الخلق.

حُكْمِهِۦٓ: أمره وقضائه.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما مدة بقاء الفتية في كهفهم؟

2 - ما الواجب على المسلم تجاه كتاب الله؟

## التفسير

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

### أَوَّلاً: مدة لُبث الفتية في الكهف:

قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ أي بقوا فيه نياما في فجوة منه. وقوله: ﴿كَهْفِهِمْ﴾ نسبه إليهم لأن الإضافة تكون لأدنى ملابسة.

قوله: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ﴾ قرأ الجمهور بتنوين «مِاْئَةٖ» ونصب «سِنِينَ» على البدل من «ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ» وعطف البيان، وقيل: على التمييز. وقرأ حمزة والكسائي بإضافة «مائة» إلى «سِنِينَ» وترك التنوين، وكأنهم جعلوا «سِنِينَ» بمنزلة سنة؛ إذ المعني بهما واحد. قال أبو علي الفارسي: إذ هذه الأعداد التي تضاف في المشهور إلى الآحاد نحو ثلاثمائة رجل وثوب، قد تضاف إلى الجموع.

وفي القرطبي مثل هذا التوجيه للقراءتين، إلا أنه قال: «وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ﴾ بِتَنْوِينِ مِائَةٍ وَنَصْبِ سِنِينَ، عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، أَيْ سِنِينَ ثَلَاثَمِائَةٍ فَقَدَّمَ الصِّفَةَ عَلَى الْمَوْصُوفِ...قَالَ الْفَرَّاءُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: التَّقْدِيرُ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ سنين ثلاثمائة» [الجامع لأحكام القرآن: 5/ 252].

وروي عن قتادة ومطر الوراق وغيرهما أن قوله: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ الآية، هو حكاية عن بني إسرائيل أنهم قالوا ذلك، واحتجا بقراءة عبد الله بن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم». ثم أمر الله نبيه بأن يردَّ العلم إليه ردا على مقالهم وتقييدا له. قال الطبري: وقال بعضهم: لو كان ذلك خبرا من الله، لم يكن لقوله قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا وجهٌ مفهوم.

قال ابن عطية رحمه الله: «أين ذهب بهذا القائل؟! وما الوجه المفهوم البارع إلا أن تكون الآية خبرا عن لبثهم، ثم قيل لمحمد ﷺ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ فخَبَرُه هذا هو الحق من عالم الغيب، فليزل اختلافكم أيها المخَرّصون».ثم قال: «وقال المحققون: بل قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ الآية، خبر من الله تعالى عن مدة لبثهم، ثم اختلف في معنى قوله بعد الإخبار: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ فقال الطبري: إن بني إسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الإعثار عليهم إلى مدة النبي ﷺ، فقال بعضهم: إنهم لبثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين، فأخبر الله نبيه أن هذه المدة في كونهم نياما، وأن ما بعد ذلك مجهول للبشر، فأمره الله أن يرد علم ذلك إليه، فقوله على هذا التأويل: ﴿لَبِثُواْ﴾ الأول، يريد في نوم الكهف، و﴿لَبِثُواْ﴾ الثاني، يريد بعد الإعثار موتى إلى مدة محمد عليه السلام، إلى وقت علمهم بالبلى، على الاختلاف الذي سنذكره بعد، وقال مجاهد: إلى وقت نزول القرآن، وقال الضحاك: إلى أن ماتوا. وقال بعضهم إنه لما قال: ﴿وَازْدَادُواْ تِسْعاً﴾ لم يدر الناس أهي ساعات، أم أيام، أم جمع، أم شهور، أم أعوام؟ واختلف بنو إسرائيل بحسب ذلك، فأمره الله برد العلم إليه، يريد في التسع فهي على هذا مبهمة، وظاهر كلام العرب والمفهوم منه أنها أعوام».

وفي القرطبي عن القشيري قال: لَا يُفْهَمُ مِنَ التِّسْعِ تِسْعُ لَيَالٍ،أو تِسْعُ سَاعَاتٍ؛ لِسَبْقِ ذِكْرِ السِّنِينَ، كَمَا تَقُولُ: عِنْدِي مِائَةُ دِرْهَمٍ وَخَمْسَةٌ، وَالْمَفْهُومُ مِنْهُ خَمْسَةُ دَرَاهِمَ – يعني بدلالة السياق–. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الفارسي: ﴿وَازْدَادُواْ تِسْعاً﴾أَي: ازْدَادُوا لُبْثَ تِسْعٍ، فَحُذِفَ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ قَالُوا سِنِينَ أَمْ شُهُورٍ أَمْ جُمَعٍ أَمْ أَيَّام؟ فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿سِنِينَ﴾. وَحَكَى النَّقَّاشُ مَا مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لَبِثُوا ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ شَمْسِيَّةٍ بِحِسَابِ الْأَيَّام، فَلَمَّا كَانَ الْإِخْبَارُ هُنَا لِلنَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ ذُكِرَتِ التِّسْعُ؛ إِذِ الْمَفْهُومُ عِنْدَهُ مِنَ السِّنِينِ الْقَمَرِيَّةِ، وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ هِيَ

مَا بَيْنَ الْحِسَابَيْنِ. وَنَحْوَهُ ذَكَرَ الْغَزْنَوِيُّ، أَيْ: بِاخْتِلَافِ سِنِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ لِأَنَّهُ يَتَفَاوَتُ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثُلُثِ سَنَةٍ سَنَةً، فَيَكُونُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ تِسْعُ سِنِينَ. [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 251 ـ 252].

وهذه إحدى آيات الإعجاز في القرآن الكريم، حيث ذكر مدة لُبث أصحاب الكهف ثلاثمائة سنة حسب التقويم الشمسي، ثم ذكر زيادة تسع سنين حسب التقويم القمري المعهود عند العرب، للفارق بين السنة الشمسية المكونة من 365 يوما وربع يوم، والسنة القمرية المكونة من 354 يوما، ومن مجموع الأحد عشر يوما تجتمع سنة في كل ثلاث وثلاثين سنة، والعرب الذين خوطبوا بهذه الآية من القرآن الكريم لم يكونوا ممن لهم خبرة بهذه العلوم، فيكون مجيء العلم بها من جهة النبي ﷺ وهو النبي الأمي آية باهرة من آيات نبوته ﷺ.

## ثانيا: اختصاص الله تعالى بعلم الغيب:

قال تعالى: ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فيه تقديم الخبر – وهو شبه الجملة – على المبتدإ، وذلك يفيد الحصر، كما يدل قوله: ﴿لَهُۥ﴾ على الاختصاص. قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: لله علم غيب السموات والأرض، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يخفى عليه شيء، يقول: فَسَلِّمُوا لَهُ عِلْمَ مَبْلَغِ مَا لَبِثَتِ الْفِتْيَةُ فِي الْكَهْفِ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ سِوَى الَّذِي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ». [جامع البيان: 9 / 232].

وقوله تعالى: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾، قال الإمام الطبري رحمه الله: «أبصر بالله وأسمع، وذلك بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قال: مَا أَبْصَرَهُ وَأَسْمَعَهُ. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: مَا أَبْصَرَ اللهَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَأَسْمَعَهُ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ» ثم أسند عَنْ قَتَادَةَ قوله: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ فَلَا أَحَدَ أَبْصَرُ مِنَ اللهِ وَلَا أَسْمَع، تَبَارَكَ وَتَعَالَى». [جامع البيان: 9 / 232].

وقوله: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ هي عند النحويين صيغة تعجب، وهي فعل ماض جاء على صيغة الأمر، والباء في ﴿بِهِۦ﴾ حرف جر زائد، والهاء مفعول به مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب، والفاعل ضمير مستتر في قوله: ﴿أَسۡمِعۡ﴾ وجوبا. وهو نظير قوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ [مريم: 37].

وعلى هذا التفسير فالضمير في ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ﴾ عائد على الله تعالى. ويحتمل أن يكون المعنى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ﴾ أي: بوحيه وإرشاده هُداك وحججك والحق من الأمور. ﴿وَأَسْمِعْ﴾ به العالَم، فيكونان فعلا أمر، لا على وجه التعجب.

وقوله: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ الضمير في ﴿لَهُم﴾ يرجع إلى أصحاب الكهف، فيكون المعنى: هذه قدرته وحده، لم يوالهم غيره فيتلطف بهم، ولا اشترك معه أحد في هذا الحكم. ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿لَهُم﴾ على معاصري رسول الله ﷺ من الكفار ومشاقيه، وتكون الآية اعتراضا بتهديد. ويحتمل أن يرجع إلى العباد جميعا. و﴿مِن﴾ من قوله: ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ صلة زائدة لتوكيد النفي، وقوله: ﴿وَلِيٍّ﴾ مبتدأ خبره شبه الجملة قبله.

وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾، أي: لا يجعل الله معه في قضائه وحكمه في خلقه أحدا سواه شريكا، بل هو المتفرد بالحكم والقضاء والتصرف والتدبير فيهم كيفما شاء وأحب، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

وقرأ الجمهور ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ بالياء على معنى الخبر عن الله تعالى، وقرأ ابن عامر «ولا تشرك» بالتاء والجزم، على جهة النهي للنبي عليه السلام، فيكون قوله: ﴿وَلَا تُشْرِكْ﴾ عطفا على ﴿أَبْصِرْ﴾ وَ﴿أَسْمِعْ﴾.

### ثالثا: أمره تعالى بتلاوة القرآن، والالتجاء إليه:

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾، من قرأ ﴿وَلَا تُشْرِكْ﴾ بالنهي، عطف قوله: ﴿وَٱتْلُ﴾ عليه، ومن قرأ ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾، جعل هذا أمرا بُدئ به كلامٌ آخر ليس من الأول. وكأن هذه الآية في معنى الإعتاب للنبي عليه السلام، عقب العتاب الذي كان على تركه الاستثناء في قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، كأنه يقول: هذه أجوبة الأسئلة، فاتل وحي الله إليك، أي: اتبعه في أعمالك، وقيل: اسرد بتلاوتك ما أوحي إليك من كتاب ربك.

وقوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِۦ﴾،أي: لَا خُلْفَ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ. وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: «لَا مُغَيِّرَ لِمَا أَوْعَدَ بِكَلِمَاتِهِ أَهْلَ مَعَاصِيهِ وَالْعاملين بخلافِ هذا الكِتَابِ الذي أوحيناه إليك». [جامع البيان: 15 / 234].

وقوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي: ليس لك سواه جانب تميل إليه وتستند. قال الطبري: «يقُولُ: وَإِنْ أَنْتَ يَامُحَمَّدُ لَمْ تَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ فَتَتْبَعُهُ وَتَأْتَمّ بِهِ، فَنَالَكَ وَعِيدُ اللهِ الَّذِي أَوْعَدَ فِيهِ الْمُخَالِفِينَ حُدُودَهُ، لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَوْئِلًا تَئِلُ إِلَيْهِ وَمَعْدِلًا تَعْدِلُ عَنْهُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ قُدْرَةَ اللهِ مُحِيطَةٌ بِكَ وَبِجَمِيعِ خَلْقِهِ، لَا يَقْدِرُأَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الْهَرَبِ مِنْ أَمْرٍ أَرَادَ بِهِ» [جامع البيان: 15 / 234].

## رابعا: لطائف وفوائد:

- بين كلمتي ﴿أَحَدًا﴾ و﴿مُلْتَحَدًا﴾ سجع مطرف، والسجع من المحسنات البديعية، وهو توافق الفاصلتين أو الفواصل في الحرف الأخير منهما «القافية»، والفاصلة هي الكلمة الأخيرة من جملة مقارنة لأخرى، وتسمى كل واحدة من الجملتين قرينة.

- في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾، تنبيه للعبد أن لا يرجع في أموره كلها إلا إلى ربه تبارك وتعالى، فهو الغني الحميد، الذي لا ملجأ للعبد منه إلا إليه، وهو وحده من يعيذ عبده من كل ما يخيفه، ويكفيه سائر ما يهمه، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:35].

- في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾، تنبيه على أن تلاوة القرآن الكريم من وظائف النبوة وأساليب التزكية التي قامت عليها دعوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ومسلكه في التربية والتعليم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة الآية 2]

## التقويم

1 - ما الإعجاز المستنبط من حديث الآيات عن مدة مكث الفتية في الكهف؟

2 - أُحدِّدُ مرجع الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾؟ وما القيمة المستفادة من ذلك؟

3 - أَذكرُ القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ والمعنى على كل قراءة.

## الاستثمار

**قصة أصحاب الكهف: دروس وعبر.**

أقوم بتعاون مع أصدقائي وتحت إشراف الأستاذ(ة) بتكوين مجموعات لإنجاز ما يأتي:

- إبراز المضامين الإجمالية لقصة أصحاب الكهف.
- بيان العبر والدروس والقيم المستنبطة من القصة.
- صياغة خلاصة تركيبية لنتائج أعمال المجموعات ومناقشتها.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 28 – 29 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما سبب نزول الآية 28 من سورة الكهف؟

2 - أَذكرُ القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿بِالْغَدَوٰةِ﴾.

3 - أُبيِّنُ المراد بالكلمات الآتية: تَعْدُ - كَالْمُهْلِ - مُرْتَفَقاً.

الدرس

# 9 سورة الكهف (الآيات: 28 - 29)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف بعض صفات الصالحين.

2 - أن أدرك خطورة اتباع الهوى والغفلة عن ذكر الله.

3 - أن أحرص على مصاحبة الصالحين ومجالسة أهل الذكر.

## تمهيد

بعد الانتهاء من تفصيل أنباء قصة أصحاب الكهف، انتقل الحديث في هاتين الآيتين الكريمتين إلى دعوة النبي ﷺ إلى مجالسة أهل الذكر الراغبين في دينه، المخلصين في عبادتهم، وأن لا يطيع أهل الهوى والغفلة.

فلم جاء هذا التوجيه للنبي ﷺ ؟ وكيف استجاب له؟ وما العبر التي نستفيدها من هذا الإرشاد الإلهي؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿29﴾﴾

[الكهف: 28 ـ 29]

## الفهم

### الشرح:

وَٱصْبِرْ : واحبس والزم.

فُرُطًا : مجاوزة للحد في الكفر والطغيان، وقيل: التقصير في العمل الصالح.

سُرَادِقُهَا : سورها المحيط بها.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - أستخرجُ ما تضمنته الآيتان من الأوامر والنواهي الموجهة للنبي ﷺ.

2 - بم وصف الله الذين أَمَرَ نبيَّه بمجالستهم؟ وبم وصف الذين أمره بمخالفتهم؟

## التفسير

اشتملت الآيتان الكريمتان على ما يأتي:

### أولا: التوجيه إلى صحبة الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، سبب نزول هذه الآية أن عظماء الكفار، قيل: من أهل مكة، وهو أصوب؛ لأن السورة مكية، وقيل: عيينة بن حصن وأصحابه، قالوا لرسول الله ﷺ: لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك، يريدون عمار بن ياسر وصهيب بن سنان وابن مسعود وغيرهم من الفقراء كبلال ونحوه...فنزلت الآية بسبب ذلك.

روى الواحدي بسنده إلى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: جَاءَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَذَوُوهُمْ، فَقَالُوا: يَارَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَوْ جَلَسْتَ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ

وَنَحَّيْتَ عَنَّا هَؤُلَاءِ وَأَرْوَاحَ جِبَابِهِمْ - يَعْنُونَ سَلْمَانَ وَأَبَا ذَرٍّ وَفُقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ عَلَيْهِمْ جِبَابُ الصُّوفِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ غَيْرُهَا - جَلَسْنَا إِلَيْكَ وَحَادَثْنَاكَ وَأَخَذْنَا عَنْكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ يَتَهَدَّدُهُمْ بِالنَّارِ، فَقَامَ النبي ﷺ يَلْتَمِسُهُمْ حَتَّى إِذَا أَصَابَهُمْ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى قَالَ: «الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يُمِتْنِي حَتَّى أَمَرَنِي أَنْ أَصبر نَفْسِي مَعَ رِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، مَعَكُمُ الْمَحْيَا وَمَعَكُمُ الْمَمَاتُ». [أسباب النزول للواحدي: 298 والجامع لأحكام القرآن: 5 / 254].

وهذه الآية كالتي في سورة الأنعام في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.[الأنعام: 53].

وقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ معناه احبسها، ومنه المصبورة التي جاء فيها حديث أنس– رضي الله عنه – :« نهى رسول الله ﷺ أن تُصْبَرَ البهائم».[صحيح البخاري: كتاب الذبائح ـ باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة، حديث5194]، أي: تحبس للرمي ونحوه.

والمعنى: اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ وَيَسْأَلُونَهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا مِنْ المؤمنين والزم مرافقتهم، سَوَاءً كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ، أقوياء أو ضعفاء.

وقوله: ﴿بِالْغَدَاةِ﴾ رسمت في المصحف الإمام بالواو كـ «الصلوٰة» و«الزكوٰة» و«الحيوٰاة» و«النجوٰة» و«كمشكوٰة» و«منوٰة»، وتلحق الألف فوق الواو، وهي في «الغدٰوة» تحتمل أن تكون مرسومة كنظائرها الآنفة الذكر، كما تحتمل أن يكون ألفها من باب حذف الإشارة لوجود قراءة أخرى فيها بالواو: «بالغُدْوَة».

وقرأ الجمهور ﴿بِالْغَدَاةِ﴾، وقرأ ابن عامر «بالغُدْوَة»، وهي في رسم المصحف على القراءتين بالواو، فمن يقرأها «بالغداة» يكتبها ﴿بِالْغَدَاةِ﴾ كما تكتب «الصلوٰة والزكوٰة». وضعَّف ابن عطية وغيره قراءة من قرأ «بالغُدْوَة»؛ لأن «غدوة» اسم معرَّف، فحقه أن لا تدخل عليه الألف واللام، ووجه القراءة بذلك أنهم ألحقوها ضربا من التنكير إذ قالوا: حيث غدوة، يريدون إحدى الغدوات، فحسن دخول الألف واللام، كقولهم: الفينة، وفينة اسم معرف. وقراءة ابن عامر قراءة سبعية متواترة في النقل، فلا يعترض عليها بقياس النحويين، ولا تعارض بينها

وبين قراءة ﴿بِالْغَدَوٰةِ﴾ بفتح الغين والدال من جهة الرواية، ومعظم المفسرين الذين ضعفوا هذه القراءة تبعوا الطبري في قوله: «والقراءة عندنا في ذلك ما عليه القراء في الأمصار لا نستجيز غيرها؛ لإجماعها على ذلك، وللعلة التي بيَّنا من جهة العربية». [جامع البيان: 9 / 234]. وقد اتفق أئمة القراء على الأخذ بها لابن عامر من روايتيه.

وروي عن ابن عمر ومجاهد والنخعي أن الإشارة في قوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾ إلى الصلوات الخمس. وقال قتادة: المراد صلاة الفجر وصلاة العصر.

ويدخل في الآية من يدعو في غير صلاة، ومن يدعو في غير هذين الوقتين، ومن يجتمع لمذاكرة علم.

ومعنى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: مخلصين له في الدعاء قاصدين طاعته.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تتصرف عنهم. والفعل ﴿تَعْدُ﴾ أَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَدَوْتُ ذَلِكَ، فَأَنَا أَعْدُوهُ: إِذَا جَاوَزْتَهُ، وهو مضارع مجزوم بلا الناهية، وأصله «تعدو» فجزم بحذف الواو نيابة عن السكون، وفاعله ﴿عَيْنَاكَ﴾. وقرأ الحسن «ولا تُعَدّ عينيك» بضم التاء وفتح العين وشد الدال المكسورة، أي: لا تجاوزها أنت عنهم.

ومعنى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾، أَيْ: لَا تَصْرِفْ بَصَرَكَ عَمن يريدون وجه الله إلى من يريدون زينة الحياة الدنيا. قال القرطبي: ولم يرد النبي ﷺ أن يفعل ذلك ولكنَّ الله نهاه عن أن يفعله، وليس هذا بأكثر من قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر62] وإن كان الله أعاذه من الشرك. [الجامع لأحكام القرآن5 - 254 - 255]

## ثانيا: النهي عن طاعة الغافلين المتبعين أهواءهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾، قيل: إنه أراد بذلك معيَّنا وهو عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وقيل: إنما أراد من هذه صفته، والمراد أولا كفار قريش؛ لأن الآية مكية. أي: لا تستجب لمن شُغِلَ عَنِ الدِّينِ وعبادة ربه بالدنيا.

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ «الفرط» يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع، أي: كان شأنه وعمله التفريط، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف، أي: أمره وهواه الذي هو

بسبيله، وقيل: الهلاك، وقيل: الندامة، وقيل: الخلاف للحق.

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ أَيْ: أَعْمَالُهُ وَأَفْعَالُهُ سَفَهٌ وتفريط وضياع، فلا تكن مطيعا وَلَا مُحِبًّا لطَرِيقَتِه، وَلَا تَغْبِطْهُ بِمَا هُوَ فيه، كما قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا (129) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (130)﴾ [طه: 129-130].

«وروى الضحاك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنها نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ يَعْنِي: مَنْ خَتَمْنَا عَلَى قَلْبِهِ عَنِ التَّوْحِيدِ ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ يَعْنِي الشِّرْكَ».[الجامع لأحكام القرآن: 5 / 255].

### ثالثا: أمر الله تعالى نبيه بالصدع بالحق، وبيان عاقبة الظالمين:

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هو أمر للنبي- صلى الله عليه وسلم - معطوف على ما قبله، أي: هذا القرآن، أو هذا الإعراض عنكم، وترك الطاعة لكم، وصبرُ النفس مع المؤمنين، والمعنى: وقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: هَذَا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ الذي لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ، فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ. وجملة ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ مقولُ القولِ في محل نصب مفعول به، وقوله: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر لمبتدإ محذوف تقديره: هو الحق، أو هذا الحق. وقيل: الحق مبتدأ وخبره شبه الجملة ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾. ومعنى الآية: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس، من ربكم الحق، فإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال، يهدي من يشاء فيؤمن، ويضل من يشاء فيكفر، ليس إليَّ من ذلك شيء. فالله يؤتي الحق من يشاء وإن كان ضعيفا، ويحرمه من يشاء وإن كان قويا غنيا، ولست بطارد المؤمنين لِهَوَاكُم، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا.

و هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾.

وقوله ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ توعّد وتهديد، أي: فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله عز وجل. قال القرطبي: «وَلَيْسَ هَذَا بِتَرْخِيصٍ وَتَخْيِيرٍ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ،

وَإِنَّمَا هُوَ وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ. أَيْ: إِنْ كَفَرْتُمْ فَقَدْ أَعَدَّ لَكُمُ النار، وإن آمنتم فلكم الجنة». [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 255].

وتأولت فرقة الآية على معنى: فَمَنْ شاءَ الله إيمانه فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شاءَ الله كفره فَلْيَكْفُرْ. قال ابن عطية رحمه الله: «وهو متوجه، أي: فحقه الإيمان وحقه الكفر، ثم عبر عن ذلك بلفظ الأمر إلزاما وتحريضا، ومن حيث للإنسان في ذلك التكسب الذي به يتعلق ثواب الإيمان وعقاب الكفر».

وقوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾، ﴿أَعْتَدْنَا﴾ مأخوذ من العتاد، وهو الشيء المعد الحاضر.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ السرادق: الجدار المحيط كالحُجْرَة التي تدور وتحيط بالفسطاط، وقد تكون من نوع الفسطاط أديما أو ثوبا أو نحوه، وقال الزجاج: «السرادق» كل ما أحاط بشيء. قال ابن عطية رحمه الله: «وهو عندي أخص مما قال الزجاج، واختلف في «سرادق» النار فقال ابن عباس رضي الله عنه: سُرادِقُها حائط من نار، وقالت فرقة: سُرادِقُها دخان يحيط بالكفار، كقوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ [المرسلات: 30]

وقوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلْمُهْلِ﴾: السين والتاء في ﴿يَسْتَغِيثُواْ﴾ للطلب، أي: طلبوا الإغاثة مما هم فيه من العطش فيطلبوا الماء. وقوله: ﴿يُغاثُوا﴾ أي: يكون لهم مقام الغوث، وهذا نحو قول الشاعر: «تحيةُ بينهم ضَرْبٌ وجيع»، أي: القائم مقام التحية.

واختلفوا في المهل، فقيل: هو دُرْدِيُّ الزيت إذا انتهى حَرُّه، وقيل: هو كل مائع سخن حتى انتهى حره، وقال ابن مسعود وغيره: هو كل ما أذيب من ذهب أو فضة أو رصاص أو نحو هذا حتى يميع، وقيل: «المهل»: الصديد والدم إذا اختلطا، ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الكفن: «إنما هو للمُهْلَة والصَّديد»، ويقوي هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾ الآية. [إبراهيم: 19]. قال ابن كثير رحمه الله: «وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا يَنْفِي الْآخَرَ، فَإِنَّ الْمُهْلَ يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَوْصَافَ الرَّذِيلَةَ كُلَّهَا، فَهُوَ أَسْوَدُ مُنْتِنٌ غَلِيظٌ حَارٌّ».[تفسير القرآن العظيم: 4 / 384 ـ 385].

وقوله: ﴿يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾: روى الحاكم في مستدركه عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ، فَإِذَا أُدني مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ» ثم قرأ الآية. [المستدرك: كتاب التفسير، حديث3451].

ثم وصف الله تعالى هذا الشراب بالصفات الذميمة القبيحة فقال: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾، أي: بِئْسَ هَذَا الشَّرَابُ،﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الضمير عائد على النار، و﴿سَآءَتْ﴾ فعل ماض كـ ﴿بِئْسَ﴾ دال على الذم، و﴿مُرْتَفَقًا﴾ تمييز منصوب.

و«المرتفق» ، الشيء الذي يُرْتَفَقُ به أي: يُطلَب رفقُه، و«المرتفق» الذي هو المتكأ أخص من هذا الذي في الآية؛ لأنه في شيء واحد من معنى الرفق. قال ابن عطية رحمه الله: «والأظهر عندي أن يكون «المرتفق» بمعنى الشيء الذي يطلب رفقه باتكاء وغيره.»

## رابعا: لطائف وفوائد:

- بيْنَ قولِه تعالى: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وقولِه الآتي بعدُ: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ مشاكَلة. قال الزمخشري: «وَساءَتْ النار مُرْتَفَقاً متكئاً، من المرفق، وهذا لمشاكَلة قوله: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾، وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء». [الكشاف: 2 / 719].

- يدل قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ...﴾ الآية، على أن ملازمة صحبة الصالحين الذين اجتمعت فيهم صفات الاستقامة والربانية والإخلاص في العمل ومداومةِ ذكر الله تعالى خيرُ معين للفرد على الثبات على الدين، وتزكيةِ النفس لاكتساب محاسن الأخلاق، وإشاعة قيم التواصي بالخير والتعاونِ على البر والتقوى وتجنبِ مهالك الطريق.

- في قوله تعالى: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ إسناد الغفلة للقلب لا للسان؛ فالغفلة عن ذكر الله من أمراض القلوب، وأسباب الخسران في الدنيا والآخرة، ومتى حَرَصَ المؤمن على حضور القلب عند ذكر الله وسائر العبادات وَجَدَ لذلك أثرا في عباداته ومعاملاته وأخلاقه.

## التقويم

1 - فيمن نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ...﴾ الآية؟

2 - أستخلص من الآيتين صفات الصحبة الصالحة.

3 - تضمنت الآيتان خصالا مهلكات للعبد، أستخرجُها، وأبيِّن آثارها السيئة.

4 - ما المراد بقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾؟

## الاستثمار

روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ». [صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ـ باب في فضل سعد بن أبي وقاص، حديث2413].

أتأمل الحديث وأجيب عما يأتي:

1 - أستخـــرج من النص سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: 53]

2 - لِمَ نَهَى الله نبيه ﷺ عن طرد مَن وصفَهم في الآية؟

3 - أبيِّن المراد بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 30 – 31 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما النعيم الذي وعد الله به المؤمنين في الآيتين؟

2 - ما إعراب قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾؟

3 - ما المراد بالكلمات الآتية: عَدْنٍ - يُحَلَّوْنَ - أَسَاوِرَ - سُندُسٍ - إِسْتَبْرَقٍ؟

الدرس 10

# سورة الكهف (الآيتان: 30 - 31)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف جزاء الإيمان وإحسان العمل.

2 - أن أدرك النعيم الذي أعده الله للمؤمنين.

3 - أن أبادر إلى العمل الصالح وإحسان العمل.

## تمهيد

بعد أن حذرت الآيات السابقة من عاقبة الكفر، وبينت جزاء الظالمين وحالهم في نار جهنم، جاءت هاتان الآيتان تبينان جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح وإحسان العمل، وما أعد الله سبحانه وتعالى لهم من نعيم مقيم.

فما جزاء المؤمنين؟ وما النعيم الذي أعده الله لهم؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ٣١﴾ [الكهف: 30 ـ 31]

## الفهم

### الشرح:

ٱلصَّٰلِحَٰتِ: الأعمال الحسنة.

ٱلۡأَرَآئِكِۚ: جمع أريكة، وهو السرير.

ٱلثَّوَابُۚ: الجزاء.

مُرۡتَفَقًا : متكئا ومستندا.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - بم يكافئ الله تعالى أهل الإيمان على أعمالهم الصالحة؟

2 - ما النعيم الذي ينتظر أهل الإيمان في الجنة؟

## التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

### أولا: جزاء الإيمان وإحسان العمل:

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي النَّارِ، ذَكَرَ حَالَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ جملة اعتراضية بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، وهي مؤكدة للمعنى، مذكرة بأفضال الله، منبهة على حسن جزائه.

قال أبو حيان: «وَخَبَرُ «إِنَّ» يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ﴾... وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ قَوْله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ﴾ وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا مِنْهُمْ. أَوْ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ فِي رَبْطِهِ الْجُمْلَةَ بِالِاسْمِ إِذَا كَانَ هُوَ الْمُبْتَدَأَ فِي الْمَعْنَى، لِأَنَّ ﴿مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ هُمُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ». [البحر المحيط: 7 / 170]. و﴿عَمَلًا﴾ منصوب عَلَى التَّمْيِيزِ، أو هو مفعول لـ ﴿أَحۡسَنَ﴾.

وفي هذه الآية اشتراط الإيمان لقبول العمل الصالح، وهو ما أكدته آيات عديدة في كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: 93].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، قال القرطبي: «و﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ سُرَّةُ الْجَنَّة، أَيْ: وَسَطُهَا وَسَائِرُ الْجَنَّاتِ مُحْدِقَةٌ بِهَا، وَذُكِرَتْ بِلَفْظِ الْجَمْعِ لِسَعَتِهَا؛ لِأَنَّ كُلَّ بُقْعَةٍ مِنْهَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ جَنَّةً، وَقِيلَ: الْعَدْنُ الْإِقَامَةُ، يُقَالُ: عَدَنَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ، وَعَدَنْتُ الْبَلَدَ تَوَطَّنْتُهُ، وَعَدَنَت الْإِبِلُ بِمَكَانِ كَذَا لَزِمَتْهُ فَلَمْ تَبْرَحْ مِنْهُ، وَمِنْهُ ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أَيْ: جَنَّاتُ إِقَامَةٍ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَعْدِنُ بِكَسْرِ الدَّالِّ، لِأَنَّ النَّاسَ يُقِيمُونَ فيه بالصيف والشتاء، ومركز كل شي معدنه، والعادن: الناقة المقيمة في المراعى». [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 257].

وقوله: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ يريد من تحت غرفهم، ومبانيهم. وهذا كقول فرعون: ﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [الزخرف: 50]. قال الطبري: «تَجْرِي مِنْ دُونِهِمْ وَبين أَيْدِيهِمُ الْأَنْهَارُ». [جامع البيان: 9 / 243].

## ثانيا: النعيم الذي أعده الله للمؤمنين في الجنة:

قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ أي: يزينون في جنات عدن بأنواع الحلي، وقوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ «الأساور» ما يلبس في المعصم من اليدين، واحده إسوار، حذفت الياء من الجمع لأن قياسه: أساوير، وهي ما كان من الحلي في الذراع. وقيل: ﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، وفي سورة الزخرف: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: 53]. وفي المثل: «لو ذات سوار لطمتني»، يضرب مثلا لمن تعرض لأقصى الإهانة ممن ليس كفئا له.

وقد رسمت كلمة ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ في المصحف بحذف الألف، وهو حذف إشارة لقراءة «أَسْوِرَة» بسكون السين دون ألف، وهي رواية حفص عن عاصم. وَتَنْكِيرُ أَساوِرَ لِإِبْهَامِ أَمْرِهَا فِي الْحُسْنِ. و﴿مِن﴾ الْأُولى لِلابْتِدَاءِ وَالثَّانِيَةُ لِلتَّبْيِينِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ﴿مِن﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ لِلتَّبْعِيضِ لَا لِلتَّبْيِينِ.

قال سعيد بن جبير: على كل واحد منهم ثلاثة أسورة، واحد من ذهب، وواحد من ورق، وواحد من لؤلؤ.

قال القرطبي معلقا على قول ابن جبير: «هَذَا مَنْصُوصٌ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ هُنَا -يعني بسورة الكهف - : ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ وَقَالَ فِي الْحَجِّ وَفَاطِر: ﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: 21 وفاطر: 33] وَفِي الْإِنْسَانِ ﴿مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: 16]» [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 257].

وقوله: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ هو من «لبِس» بالكسر، ويقال: في الثياب والسلاح. قال ابن كثير: «وَخُصَّ الْأَخْضَرُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ الْمُوَافِقُ لِلْبَصرِ؛لِأَنَّ الْبَيَاضَ يُبَدِّدُ النَّظَرَ وَيُؤْلِمُ، وَالسَّوَادَ يُذَمُّ، وَالْخُضْرَةُ بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ، وَذَلِكَ يَجْمَعُ الشُّعَاعَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ». [تفسير القرآن العظيم: 4 / 385].

وقوله: ﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السُّنْدُسُ: مَا رَقَّ مِنَ الدِّيبَاجِ. وَالْإِسْتَبْرَقُ: مَا غَلُظَ مِنْهُ وَثَخُنَ، وَقِيلَ: إِنَّ الْإِسْتَبْرَقَ: هُوَ الْحَرِيرُ. وقال بعض الناس: هو فارسي عرب، وأصلها استبره.

قال القرطبي: «وقال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان، جعل الله ذلك لأهل الجنة». [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 258].

وقوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ هي النعمة الثالثة التي ذكرها سبحانه بعد قوله: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ وقوله: ﴿وَيَلْبَسُونَ﴾. وأصل ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ موتكئين، والاتكاء قيل: الاضطجاع، وقيل: التربع في الجلوس. قال ابن كثير: «وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْمُرَادِ هَهُنَا، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «أَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ مُتَّكِئًا. [صحيح البخاري: كتاب الأطعمة ـ باب الأكل متكئا، حديث5083]». [تفسير القرآن العظيم: 4 / 385]. ويقويه أيضا قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ [الزخرف: 33].

و﴿الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرر في الحجال. وقال ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - : هِيَ الْأَسِرَّةُ مِنْ ذَهَبٍ.

## ثالثا: إشادة الله تعالى بنعيم الجنة وبالإقامة فيها:

قال تعالى: ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾، أي: نِعْمَ الثَّوَابُ جَنَّاتُ عَدْنٍ، وَمَا جَعَلَ الله فيها لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ. و﴿نِعْمَ﴾ فعل ماض لإنشاء المدح. وفي معناها قوله:

﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ أي: وَحَسُنَتْ هَذِهِ الْأَرَائِكُ فِي هَذِهِ الْجِنَانِ الَّتِي وَصفَ الله تَعَالَى. ونصب ﴿مُرۡتَفَقٗا﴾ على التمييز.

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ نِعْمَتِ الْجَنَّةُ ثَوَابًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ أَيْ: حَسُنَتْ مَنْزِلًا وَمَقِيلًا وَمَقَامًا، كَمَا قَالَ فِي النَّارِ: ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾، وَهَكَذَا قَابَلَ بَيْنَهُمَا فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الْفُرْقَانِ: 66]، ثُمَّ ذَكَرَ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: 75 - 76]». [تفسير القرآن العظيم: 4 / 385].

## رابعا: لطائف وفوائد:

- قال أبو حيان رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا ...﴾ الآية: قال الزمخشري «وجمع بين السُّنْدُسِ وَهُوَ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيبَاجِ، وَبَيْنَ الْإِسْتَبْرَقِ وَهُوَ الْغَلِيظُ مِنْهُ جَمْعًا بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَقُدِّمَتِ التَّحْلِيَةُ عَلَى اللِّبَاسِ لِأَنَّ الْحُلِيَّ فِي النَّفْسِ أَعْظَمُ وَإِلَى الْقَلْبِ أَحَبُّ، وَفِي الْقِيمَةِ أَغْلَى، وَفِي الْعَيْنِ أَحْلَى، وَبِنَاءُ فِعْلِهِ لِلْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ إِشْعَارًا بِأَنَّهُمْ يُكْرَمُونَ بِذَلِكَ وَلَا يَتَعَاطَوْنَ ذَلِكَ بِأَنْفُسِهِمْ...وَأَسْنَدَ اللِّبَاسَ إِلَيْهِمْ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَعَاطَى ذَلِكَ بِنَفْسِهِ خُصُوصًا لَوْ كَانَ بَادِيَ الْعَوْرَةِ، وَوَصَفَ الثِّيَابَ بِالْخُضْرَةِ لِأَنَّهَا أَحْسَنُ الْأَلْوَانِ، وَالنَّفْسُ تَنْبَسِطُ لَهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ أَثَرٌ أَنَّهَا تَزِيدُ فِي ضَوْءِ الْبَصَرِ...وَخَصَّ الِاتِّكَاءَ لِأَنَّهَا هَيْئَةُ الْمُنَعَّمِينَ وَالْمُلُوكِ عَلَى أَسِرَّتِهِمْ». [البحر المحيط: 7 / 171].

- قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ الآية، وَوَجْهُ إِيثَارِ إضافة (تَحْتَ) إِلَى ضَمِيرِهم دُون ضَمِيرِ الْجَنَّاتِ زِيَادَةُ تَقْرِيرِ الْمَعْنَى الَّذِي أَفَادَتْهُ لَامُ الْمِلْكِ، فَاجْتَمَعَ فِي هَذَا الْخَبَرِ عدَّة مقرارات لِمَضْمُونِهِ، وَهِيَ: التَّأْكِيدُ مَرَّتَيْنِ، وَذِكْرُ اسْمِ الْإِشَارَةِ، وَلَامِ الْمِلْكِ، وَجَرُّ اسْمِ الْجِهَةِ بِ ﴿مِن﴾ ، وَإِضَافَةُ اسْمِ الْجِهَةِ إِلَى ضَمِيرِهِمْ، وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ: التَّعْرِيضُ بِإِغَاظَةِ الْمُشْرِكِينَ لِتَتَقَرَّرَ بِشَارَةُ الْمُؤْمِنِينَ أَتَمَّ تَقَرُّرٍ.[التحرير والتنوير15 - 313]

- في وصفِ ما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين من نعيم الجنة الخالد بيانٌ لسعة فضل الله تعالى وعظيم جزائه، ومدعاة لمجاهدة النفس على تقوية الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والتخلق

بالعمل الصالح والمسارعة في الخيرات فإنها سبل الفوز بنعيم الجنة.

## التقويم

1 - ما شرط قبول العمل الصالح؟ استدلّ على ذلك بآيات مناسبة.

2 - ما الفرق بين السندس والإستبرق؟

3 - ما المغزى التربوي من ذكر نعيم المؤمنين في الجنة؟

## الاستثمار

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في سبب وجود المعرَّب في القرآن الكريم:
«ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْرُفَ أُصُولُهَا أَعْجَمِيَّةٌ كَمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ، لَكِنَّهَا وَقَعَتْ لِلْعَرَبِ فَعَرَّبَتْهَا بِأَلْسِنَتِهَا وَحَوَّلَتْهَا عَنْ أَلْفَاظِ الْعَجَمِ إِلَى أَلْفَاظِهَا فَصَارَتْ عَرَبِيَّةً، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَقَدِ اخْتَلَطَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا عَرَبِيَّةٌ فَهُوَ صَادِقٌ، وَمَنْ قَالَ أَعْجَمِيَّةٌ فَصَادِقٌ».

[الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: 2 / 129].

أتأمل النص وأجيب عما يأتي:

1 - أستخرجُ من النص سبب وجود المعرب في القرآن.

2 - أذكر بعض الكلمات التي قيل: إنها من المعرب.

3 - هل ينافي وجود المعرب في القرآن كونه عربيا؟ ولماذا؟

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 32 – 35 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - بم تسمى القصة التي ذكرت بدايتها في هذه الآيات؟

2 - ما الغرض من ضرب المثل في القرآن الكريم؟

3 - ما المراد بالكلمات الآتية: ٱلْجَنَّتَيْنِ - ءَاتَتْ أُكُلَهَا - تَظْلِم - ثَمَرٌ - نَفَرًا؟

الدرس

# 11 سورة الكهف (الآيات: 32 - 35)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف بداية قصة صاحب الجنتين مع رفيقه.

2 - أن أقف على جمال الأسلوب القرآني من خلال ضرب الأمثال.

3 - أن أحرص على التزام شكر الله على نعمه، وأتجنب كفران النعمة والتكبر على الخلق.

## تمهيد

بعد أن انتهى سياق الآيات المتقدمة من بيان عدل الله سبحانه وفضله في مقابلة العمل الصالح المتقن الخالص بالثواب العميم والأجر العظيم، وإكرام أهله بأنواع الكرامات والإنعام عليهم بجميل المكرمات، انتقلت الآيات إلى ضرب المثل ردا على المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين.

فكيف ساقت الآيات قصة المثل؟ وما وجه مناسبتها لما ضربت له؟ وما العبر المستخلصة منها؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن

﴿تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٥﴾ [الكهف: 32 ـ 35].

## الفهم

### الشرح:

مَّثَلٗا: شَبَهًا.

وَحَفَفۡنَٰهُمَا: وأحطناهما من كل جهة.

نَهَرٗا : ماء كثيرا جاريا.

وَأَعَزُّ : وأشرف وأقوى.

رُّدِدتُّ: رجعت وأعدت بعد الموت

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - لمن ضُرب المثل بقصة صاحب الجنتين؟

2 - ما النعم التي ابتلى الله بها الرجل المذكور في القصة؟

3 - ما القيمة السيئة التي أظهرتها النعمة في صاحب الجنتين؟

## التفسير

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

### أولا: ضرب المثل لحال الكفار المتكبرين:

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾.أي: واحك لهم على سبيل التمثيل والتشبيه حال رجلين كما وصفهما الله في المثل.

والمثل تشبيه حال بحال لقوة الشبه بينهما، ولذلك قيل في تعريفه: ما أشبه مضربه مورده. وهو في القرآن والسنة كثير، وكذا في كلام العرب وأشعارها.

والضمير في ﴿لَهُم﴾ عائد على الطائفة المتجبرة التي أرادت من النبي عليه السلام أن يطرد فقراء المؤمنين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾، وعلى أولئك المؤمنين الداعين أيضا، فالمثل مضروب للطائفتين، إذ الرجل الكافر صاحب الجنتين هو بإزاء متجبر في قريش أو بني تميم على الخلاف المذكور بين المفسرين، والرجل المؤمن المقر بالربوبية، هو بإزاء بلال وعمار وصهيب وأقرانهم.

قال الإمام القرطبي رحمه الله:« قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المؤمنين، وهو متصل بقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾». [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 261].

وقد أطال المفسرون في تعيين هذين الرجلين، وعادة القرآن أن يبهم القائل أو الفاعل لعدم ترتب فائدة على التعيين.

وقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾.

هذه الهيئة التي ذكر الله، لا يكاد المرء يتخيل أجمل منها في مكاسب الناس: جنتا عنب أحاط بهما نخل، بينهما فسحة، هي مزدرع لجميع الحبوب، والماء يسقى جميع ذلك من النهر الذي قد جمل هذا المنظر، وعظم النفع، وقرب الكد، وأغنى عن النواضح وغيرها مما يسقى به.

ومعنى ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾، قال القرطبي: «أي: أطفناهما من كل جوانبهما بنخل، والحفاف الجانب، وجمعه أحفة، ويقال: حف القوم بفلان يحفون حفا، أي طافوا به، و﴿حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: 72] بهذا المعنى.﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ أي: جعلنا حول الأعناب النخل، ووسط الأعناب الزرع» [الجامع لأحكام القرآن:5 / 261].

## ثانيا: ابتلاء صاحب الجنتين بصلاح الحال وإقبال الدنيا:

قال تعالى:﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ قال الإمام الطبري رحمه الله : «كلا البستانين أطعم ثمره وما فيه من الغروس من النخل والكرم وصنوف الزرع. وقال: كلتا الجنتين، ثم قال: آتت، فوحد الخبر، لأن كلتا لا تفرد واحدتها، وأصله «كل»، وقد تفرد العرب كلتا أحيانا، ويذهبون بها وهي مفردة إلى التثنية...، وكذلك تفعل بـــ «كلتا» وكلا وكل إذا أضيفت إلى معرفة، وجاء

الفعل بعدهن ويجمع ويوحد». [جامع البيان:9 / 244].

والألف في «كلا» و«كلتا» ألف تثنية، وقد ألحقا بباب تثنية جمع المذكر السالم. «وفي قراءة عبد الله – ابن مسعود – «كل الجنتين آتى أكله». والمعنى على هذا عند الفراء: كل شي من الجنتين آتى أكله». [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 262] .

والأُكْل في قوله تعالى: ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ بمعنى ثمرها الذي يؤكل منه، كما في قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:36]. وسكن الكاف من «أكلها» نافع وابن كثير وأبو عمرو، وضمها غيرهم.

وقوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾، قال الطبري: «ولم تنقص من الأكل شيئا، بل آتت ذلك تاما كاملا، ومنه قولهم: ظلم فلان فلانا حقه: إذا بخسه ونقصه». [جامع البيان:9 / 244].

وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾، أي: والأنهار متفرقة فيهما ههنا وههنا. قرأ الجمهور ﴿نَهَرًا﴾ بفتح الهاء، وقرئ في الشاذ ﴿نَهْرًا﴾ بسكون الهاء.

وقوله: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾، قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي «ثُمُر» و«بثُمُره» بضم الثاء والميم، جمع ثمار، وقرأ أبو عمرو البصري بسكون الميم فيهما تخفيفا، وهي في المعنى كالأولى، ويتجه أن يكون جمع ثَمَرَة كـ «بَدَنة» و«بُدْن»، وقرأ عاصم «ثَمَر» و«بثَمَره» بفتح الميم والثاء فيهما. واختلف المفسرون في «الثُّمر» بضم الثاء والميم، فقال ابن عباس وقتادة: «الثُّمر» جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك...، وما أثمر من مال ومن ولد. وقال مجاهد: يراد بها الذهب والفضة خاصة. وقال ابن زيد: «الثمر» هي : الأصول التي فيها الثمر. كأنها «ثمار» و«ثمر» كـ «كتاب» و«كتب». وأما من قرأ بفتح الثاء والميم، فلا إشكال في أن المعنى ما في رؤوس الشجر من الأكل، ولكن فصاحة الكلام تقتضي أن يعبر إيجازا عن هلاك الثمر والأصول بهلاك الثمر فقط، فخصصها بالذكر، إذ هي مقصود المستغل، وإذ هلاك الأصول إنما يسوء منه هلاك الثمر الذي كان يرجى في المستقبل، كما يقتضي قوله: إن له «ثمرا»، أن له أصولا، كذلك تقتضي الإحاطة المطلقة بالثمر، أن الأصول قد هلكت.

### ثالثا: اغترار صاحب الجنتين بكثرة المال وعزة العشيرة:

قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾. فسره

الطبري بقوله: «يقول عز وجل: فقال هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب، لصاحبه الذي لا مال له وهو يخاطبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يقول: وأعز عشيرة ورهطا، كما قال عيينة والأقرع لرسول الله ﷺ: نحن سادات العرب، وأرباب الأموال، فنحِّ عنا سلمان وخبابا وصهيبا، احتقارا لهم، وتكبرا عليهم، وتلك والله أمنية الفاجر: كثرة المال، وعزة النفر». [جامع البيان:9 / 246].

ومعنى: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي: يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب.

وقوله لصاحبه:﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ﴾ اعتداد منه بما ليس له منه إلا التصرف، والمنة فيه عليه لله مالكه وواهبه سبحانه، كما قال تعالى:﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:53].

وقوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ النفر: عشيرة الرجل الذين ينفرون معه، وأراد بهم هنا ولده، كما دل عليه مقابلته في جواب صاحبه بقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾. قال الثعالبي: «وقوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يضَعِّف قول من قال: إِنهما أخوانِ فتأمَّله». [الجواهر الحسان: 3 / 524].

وانتصب ﴿نَفَرًا﴾ على التمييز لنسبة أعز إلى ضمير المتكلم.

## رابعا: حال صاحب الجنتين عند دخول جنته:

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾، أفرد الجنة بالذكر مع أنهما جنتان لأنه لا يدخلهما معا في وقت واحد، بل كان دخوله لأحداهما. و«ظلمه لنفسه» كان بكفره وشكه في البعث.

قال الإمام الطبري رحمه الله: «وظلمه نفسه: كفره بالبعث، وشكه في قيام الساعة، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه». [جامع البيان:9 / 246].

وقوله: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾، معنى ﴿تَبِيدَ﴾ أي: تهلك وتفنى، والإشارة بــ ﴿هَٰذِهِ﴾ إلى الجنة التي هما فيها، أي: لا أعتقد أنها تنتقض وتضمحل. ويحتمل أن تكون الإشارة إلى الدنيا. والمراد بالأبد هنا طول المدة، أو عَنَى بِالْأَبَدِ أَبَدَ حَيَاتِهِ وَذَلِكَ لِطُولِ أَمَلِهِ، «أي: هي باقية بقاء أمثالها لا يعتريها ما يبيدها. وهذا اغترار منه بغناه واغترار بما لتلك الجنة من وثوق الشجر وقوته وثبوته واجتماع أسباب نمائه ودوامه بما حوله من مياه وظلال». [التحرير والتنوير لابن عاشور: 15 / 320].

ثم انتقل من الإخبار عن اعتقاده دوام تلك الجنة، إلى التصريح باعتقاده التكذيب بالبعث وقيام الساعة، فقال: ﴿مَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي: لَا أَحْسِبُ الْبَعْثَ كَائِنًا ولا القيامة واقعة.

ولا تلازم بين المعتقدين، ولكنه أراد التورك على صاحبه المؤمن تخطئة له، ولذلك عقب ذلك بقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنقَلَبًا﴾ تهكما بصاحبه. وقرينة التهكم قوله: ﴿مَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾.

قال أبو حيان رحمه الله: «أَقْسَمَ عَلَى أَنَّهُ إِنْ رُدَّ إِلَى رَبِّهِ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ وَقِيَاسِ الْأُخْرَى عَلَى الدُّنْيَا، وَكَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُهُ، لَيَجِدَنَّ فِي الْآخِرَةِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِهِ فِي الدُّنْيَا، تَطَمُّعًا وَتَمَنِّيًا عَلَى اللَّهِ، وَادِّعَاءً لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَكَانَتِهِ عِنْدَهُ، وَأَنَّهُ مَا أَوْلَاهُ الْجَنَّتَيْنِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِاسْتِحْقَاقِهِ، وَأَنَّ مَعَهُ هَذَا الِاسْتِحْقَاقَ أَيْنَ تَوَجَّهَ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت:49]». [البحر المحيط: 7 / 176].

وقوله: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنقَلَبًا﴾ قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر «منهما»، يريد الجنتين المذكورتين أولا، وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي «منها»، يريد الجنة المدخولة.

## خامسا: لطائف وفوائد:

- في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ استعمال «إن» الشرطية فيما لا يتوقع أو لا يتحقق وقوعه، بخلاف إذا الشرطية؛ ولذلك كثيرا ما تستعمل «إن» في المكروه، «وإذا» في المحبوب، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الاعراف:130]

- الابتلاء لا يكون فقط بالشر أو بالمنع - كما قد يتوهمه الكثير - بل ربما كان بالخير كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35]، وفي قصة الرجلين مثال على ذلك.

- ضرب الأمثال منهج قرآني تعليمي لتوضيح المفاهيم وتصوير الأحداث وتقريب المعاني المجردة، كما هو مسلك تربوي تعبدي يحسُن بالمسلم تدبره لاستنباط ما في هذه الأمثال من حِكم ربانية وسنن كونية وهدايات تربوية وبصائر إيمانية وأخلاقية تتحصل بها سعادة الدنيا والآخرة.

- جحود النعمة والتكبر بها على الخلق من الصفات المذمومة، والكبائر التي حرمها الإسلام، وأوصى المؤمن بتجنبها ولزوم الشكر والتحلي بخلق التواضع والرحمة والشفقة على

الخلق رعاية لحقوق الله وحقوق العباد.

- قول صاحب الجنتين: ﴿أَنَا﴾ كقول قارون: ﴿عِندِيٓ﴾ في قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: 78]، وقول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: 24]، ومن قبلهم جميعا إبليس، قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [ص: 75]. ولذلك قالوا:

أربعـــة مـهـلـكـة للعـبـد *** أنـا ونحـن ومعـي وعنـدي.

## التقويم

1 - أُحدِّدُ مرجع الضمير من ﴿لَهُم﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم﴾.

2 - ما إعـراب قولـــه تعالـى: ﴿نَفَرٗا﴾؟

3 - ما العلة في إفراد الجنة بالذكر في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ مع أنهما جنتان؟

4 - أحدِّدُ موقفي مما فعله صاحب الجنتين، مع التعليل.

## الاستثمار

قال الإمام السيوطي رحمه الله في النوع السادس والستين من علوم القرآن، وهو أمثال القرآن: «ضَرْبُ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ يُسْتَفَادُ مِنْهُ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ: التَّذْكِيرُ، وَالْوَعْظُ، وَالْحَثُّ، وَالزَّجْرُ، وَالِاعْتِبَارُ، وَالتَّقْرِيرُ، وَتَقْرِيبُ الْمُرَادِ لِلْعَقْلِ وَتَصْوِيرُهُ بِصُورَةِ الْمَحْسُوسِ، فَإِنَّ الْأَمْثَالَ تُصَوِّرُ الْمَعَانِيَ بِصُورَةِ الْأَشْخَاصِ؛ لِأَنَّهَا أَثْبَتُ فِي الْأَذْهَانِ لِاسْتِعَانَةِ الذِّهْنِ فِيهَا بِالْحَوَاسِّ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ الْغَرَضُ مِنَ الْمَثَلِ تَشْبِيهُ الْخَفِيِّ بِالْجَلِيِّ، والغائب بالشاهد. وَتَأْتِي أَمْثَالُ الْقُرْآنِ مُشْتَمِلَةً عَلَى بَيَانِ تَفَاوُتِ الْأَجْرِ، وَعَلَى الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَعَلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَعَلَى تَفْخِيمِ الْأَمْرِ أَوْ تَحْقِيرِهِ، وَعَلَى تَحْقِيقِ أَمْرٍ أَوْ إِبْطَالِهِ....وأَمْثَالُ الْقُرْآنِ قِسْمَانِ:ظَاهِرٌ مُصَرَّحٌ بِهِ وَكَامِنٌ لَا ذِكْرَ لِلْمَثَلِ فِيهِ».

[الإتقان في علوم القرآن: 4 / 45].

أتأمل النص وأجيب عما يأتي:

1 - أصنف في خطاطة الأغراض التي تأتي لها الأمثال في القرآن.

2 - ما الغرض الذي جاء له المثل المضروب في آيات هذا الدرس؟

3 - أبينُ أقسام أمثال القرآن، وأمثِّلُ لكل قسم.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات:36 - 43 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما محل جملة ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ من الإعراب؟

2 - ما الهدي النبوي المستحب فيمن رأى ما يعجبه ويسر به؟

3 - أبحث عن مدلولات ما يأتي: حُسْبَانًا - خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا - زَلَقًا - غَوْرًا.

الدرس 12

# سورة الكهف (الآيات: 36 - 43)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف عاقبة الاغترار بالغنى ومآل بطر النعم.

2 - أن أدرك أسباب حفظ النعم وبقائها، وأسباب محقها وزوالها.

3 - أن أقتدي بالصاحب المؤمن في توحيده لله وشكره لنعمه ونصحه لصاحبه.

## تمهيد

بعد أن بينت الآيات السابقة بداية قصة صاحب الجنتين مع رفيقه، تُتابِع آيات هذا الدرس إتمام خبرهما، وما كان بينهما من محاورة. فما تمام خبر الرجلين؟ وما الدافع لصاحب الجنتين إلى الكفر والاعتداء ومجاوزة العدل والإنصاف؟ وما السبل التي سلكها الصاحب المؤمن لثني صاحبه عن غيه؟

وما هي عاقبة غرور صاحب الجنتين؟ وكيف صورت لنا الآيات حالته النفسية بعد ضياع ماله؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (36) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (37) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (38) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (39)

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿40﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿41﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿42﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿43﴾﴾ [الكهف: 36 ـ 43].

## الفهم

### الشرح:

وَيُرْسِلَ : يبعث ويصبّ.

صَعِيدًا : بلقعا بيضاء لا نبات فيها.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما الأسلوب الذي اعتمده المؤمن لإقناع صاحبه المكابر؟

2 - ما الحجج التي ساقها المؤمن في مناظرته لصاحبه الكافر؟

3 - كيف كانت عاقبة صاحب الجنتين؟

## التفسير

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

### أولا: قيام المؤمن بواجب النصح لصاحبه:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ أي: قال لصاحب الجنتين صاحبُه المؤمن الذي هو أقل منه مالا وولدا، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ أي: وهو يخاطبه ويكلمه: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ يعني خلق أباك آدم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: ثم أنشأك من نطفة رجل وامرأة، ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ أي: ثم عدلك وكملك بشرا سويا. و﴿رَجُلًا﴾ حال، وقيل: مفعول ثان لـــ «سوى».

قال أبو حيان رحمه الله: « نبهه على أصل نشأته وإيجاده بعد العدم وأن ذلك دليل على جواز البعث من القبور، ثم تحتم ذلك بإخبار الصادقين وهم الرسل عليهم السلام». [البحر المحيط: 7 / 177].

والهمزة في ﴿أَكَفَرْتَ﴾ للاستفهام الإنكاري، قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:27] أي: كيف تجحدون ربكم، ودلالته عليكم ظاهرة جلية، كل أحد يعلمها من نفسه؟ فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوما ثم وجد، وليس وجوده من نفسه ولا مستندا إلى شيء من المخلوقات؛ لأنه بمثابته فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه، وهو الله، لا إله إلا هو، خالق كل شيء». [تفسير القران العظيم:4 / 387].

وقوله: ﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ أي: أما أنا فلا أكفر بربي، ولكن أنا هو الله ربي، أَيْ: أَنَا أَقُولُ: ﴿هُوَ﴾ أَيْ: خالقك ﴿اللَّهُ رَبِّي﴾، و﴿رَبِّي﴾ نَعْتٌ أَوْ عَطْفُ بَيَانٍ أَوْ بَدَلٌ.

﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾. وهذا يدلُّ بمَفْهُومه عَلى أَنَّ صاحب الجنتين كَانَ مُشْرِكًا بِاللهِ تَعَالَى يَعْبُدُ غَيْرَهُ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ لَا أَرَى الْغِنَى وَالْفَقْرَ إِلَّا مِنْهُ، فلا أنسب ذلك إلى غيره فأشركه معه فيما أعطاني.

والضمير في قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ ضمير القصة والشأن كقوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: 96].

وقرأ الجمهور ﴿لَّٰكِنَّا﴾ بتشديد النون بغير ألف في الوصل، وبألف في الوقف، وأصله: «ولكنْ أنا» فنقلت حركة الهمزة إلى نون «لكنْ» وحذفت الهمزة، فالتقى مثلان، فأدغم أحدهما في الآخر. وقيل: حذف الهمزة من «أنا» على غير قياس، فالتقت نون «لكن» وهي ساكنة مع نون «أنا» فأدغمت فيها.

وقوله: ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي: بَلْ هُوَ اللهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، هذا توبيخ وتقريع ووصية من المؤمن لصاحبه، ورد عليه في قوله: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ...﴾، وتعليمه كيف كان

عليه أن يتلقى به نعمة الله عليه فيما وهبه من زهرة الحياة الدنيا من حمد وشكر له، واستعمالها في طاعته.

و﴿لَوْلَآ﴾ حرف تحضيض، و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ شرطية، جوابها محذوف للعلم به، والتقدير ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

قال الزجاج والفراء: ﴿مَا﴾ خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: الأمر ما شاء الله، أو هو ما شاء الله، أي: الأمر مشيئة الله تعالى.

قال الفخر الرازي رحمه الله: «وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ قَالَ الْمُؤْمِنُ لِلْكَافِرِ: هَلَّا قُلْتَ عِنْدَ دُخُولِ جَنَّتِكَ: الْأَمْرُ مَا شَاءَ اللهُ، وَالْكَائِنُ مَا قَدَّرَهُ اللهُ، اعْتِرَافًا بِأَنَّهَا وَكُلّ خَيْرٍ فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ، فَإِنَّ أَمْرَهَا بِيَدِهِ، إِنْ شَاءَ تَرَكَهَا، وَإِنْ شَاءَ خَرَّبَهَا، وَهَلَّا قُلْتَ: لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِقْرَارًا بِأَنَّ مَا قُوِّيتَ بِهِ عَلَى عِمَارَتِهَا وَتَدْبِيرِ أَمْرِهَا فَهُوَ بِمَعُونَةِ اللهِ وَتَأْيِيدِهِ، لَا يَقْوَى أَحَدٌ فِي بَدَنِهِ وَلَا فِي مِلْكِ يَدِهِ إِلَّا بِاللهِ».

[مفاتيح الغيب: 21 / 465].

وقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٨ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٣٩ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾.

﴿تَرَنِ﴾ فعل الشرط مجزوم بـــ ﴿إِن﴾ الشرطية، حذف الألف من آخره نيابة عن السكون، والنون نون الوقاية، والياء مفعول به أول حذفت تخفيفا، و﴿أَنَا۠﴾ ضمير فصل لا محل له من الاعراب،﴿أَقَلَّ﴾ مفعول ثان لفعل «ترى»، و﴿مَالٗا﴾ تمييز، ﴿فَعَسَىٰ﴾ الفاء رابطة بين الشرط والجواب، والفعل بعدها جواب الشرط في محل جزم، واقترن الجواب بالفاء وجوبا؛ لأنه فعل جامد لا يصلح أن يكون شرطا.

وهذا الترجي بـــ «عسى» يحتمل أن يريد به في الدنيا، ويحتمل أن يريد به في الآخرة، وتمني ذلك في الآخرة أشرف وأسمى في الخير والصلاح، وأن يكون ذلك يراد به الدنيا أشد نكاية بالمخاطب، وأشد إيلاما لنفسه.

وقوله: ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾ أي: على جنتك ﴿حُسۡبَانٗا﴾ أي: مرامي من السماء، واحدها حسبانة، والحسبانة السحابة، والحسبانة الوسادة، والحسبان: الجراد، والحسبانة الصاعقة. وقال الجوهري: والحسبان «بالضم» العذاب.

وقوله: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾: يعني تغدو أرضا بيضاء لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم، و﴿زَلَقًا﴾ تأكيد لوصف الصعيد، أي: وتزل عنها الأقدام لملاستها. يقال: مكان زلق بالتحريك أي دحض، وهو في الأصل مصدر قولك: زلقت رجله تزلق زلقا، وأزلقه غيره. وفي التعبير بلفظ ﴿زَلَقًا﴾ أسلوب المبالغة، أقيم فيه المصدر مقام المفعول في وصف الأرض، والوصف بالمصدر فيه مبالغة.

وقوله: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ هو من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل أي: «غائرا»، فهو مجاز مرسل، فيه إقامة صيغة مقام صيغة. وفيه أيضا أسلوب المبالغة بإطلاق المصدر على اسم الفاعل، في قوله: ﴿غَوْرًا﴾ بدل غائرا.

والغور مصدر يوصف به الماء المفرد والمياه الكثيرة، كقولك: رجل عدل وامرأة عدل ومعناه: ذاهبا في الأرض لا يستطاع تناوله.

وقوله: ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾، إظهار لعجز صاحبه عن تلافي حال جنته بعد تعرضها للخراب التام.

## ثانيا: عاقبة صاحب الجنتين، وندمه بعد فوات الأوان:

قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾، هذا خبر من الله تعالى عن إحاطة العذاب بحال هذا الممثل به، غير أن الإحاطة كناية عن عموم العذاب والفساد. وتقدمت القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿بِثَمَرِهِ﴾ عند قوله: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾، وكذا الأقوال الواردة في تفسيرها على كل قراءة. وأضمر الفاعل وبني الفعل للمجهول في ﴿أُحِيطَ﴾ للعلم به، ونائب الفاعل المصدر المقدر، أو الجار والمجرور ﴿بِثَمَرِهِ﴾، وَأَصْلُه مِنْ أَحَاطَ بِهِ الْعَدُوُّ، وَهُوَ اسْتِدَارَتُهُ بِهِ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَمَتَى أَحَاطَ بِهِ مَلَكَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِي كُلِّ إِهْلَاكٍ.

والمراد هنا: أحاط الهلاك وعمت الجوائح صنوف ثمار جنته التي كان يقول عنها: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾.

و﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ يريد: يضع بطن إحداهما على ظهر الأخرى، وذلك فعل المتلهف المتأسف على فائت أو خسارة أو نحوها، ومن عبر بـــ «يصفق» فلم يتقن.

وقوله: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ هي عبارة قرآنية في غاية الروعة والسمو من الناحية البلاغية، وصف الله تعالى بها حالا شبيهة في سورة البقرة في قوله سبحانه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة:259]. ووصف بها مثلها في سورة الحج: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا...﴾ [الحج:43]. وجاءت العبارة في صورة أخرى في مثل هذه الحال في قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل:54].

ومعناها: ساقطة على سقوفها، فجمع عليه بين هلاك الثمر وهلاك الأصل، وهذا من أعظم الجوائح، مقابلة على بغيه. [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 266]..

ثم قال تعالى حاكيا حال صاحب الجنة ومقالته بعد أن فجع بها: ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

قال المفسرون: هي حكاية عن قول الكافر هذه المقالة في الآخرة، ويحتمل أن يريد أنه قالها في الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة، ويكون فيها زجر للكفرة من قريش أو غيرهم؛ لئلا تجيء لهم حال يؤمنون فيها بعد نقم تحل بهم.

وكل ذلك محتمل، وله شبيه في أحوال الكفار والمشركين، فقد حكى لنا الله - عز وجل - ما وقع لفرعون في نهاية المطاف في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:90]. وحكى لنا ندم الكافر يوم القيامة الندم الذي لا ينفعه بشيء بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:27].

وقوله: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو وأبو جعفر: ﴿وَلَمْ تَكُن﴾ بالتاء لتأنيث لفظة الفئة، وقرأ حمزة والكسائي ﴿وَلَمْ يَكُن﴾ بالياء على المعنى؛ أي: لأنهم ذُكران بدليل قوله: ﴿يَنصُرُونَهُ﴾.

و«الفئة» الجماعة التي يلجأ إلى نصرها، قال مجاهد: هي العشيرة، قال ابن عطية: «وهي عندي من فاء يفيء، وزنها فلة، حذفت العين تخفيفا، وقد قال أبو علي -الفارسي - وغيره: هي من فاوت وليست من فاء، وهذا الذي قالوه أدخل في التصريف، والأول أحكم في المعنى».

وجَمَعَ الضَّمِيرَ فِي ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ عَلَى الْمَعْنَى، كَمَا أَفْرَدَهُ عَلَى اللَّفْظِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 13].

والمعنى: «﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾: أي: عشيرة أو ولد، كما افتخر بهم واستعز»، يعني في قوله لصاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾. [تفسير القرآن العظيم: 4 / 389].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾، أي: ولا هو منتصر لنفسه بنفسه، قادر على أن يكف بأس الله عنه. ولا شك أن من يغالب الله مغلوب لا محالة.

وقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ هو ظَرْف مَكَانٍ لِلْبُعْدِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أُشِيرَ بِهِ لِدَارِ الْآخِرَةِ. أَيْ فِي تِلْكَ الدَّارِ.

ومعناها تابع لمحل الوقف، فقد اختلف القراء في محل الوقف ههنا، فمنهم من وصل ﴿مُنتَصِرًا﴾ بـ ﴿هُنَالِكَ﴾ ووقف عليها، ويبتدئ بـ ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾، ومنهم من يقف على رأس الآية ﴿منتصرا﴾، ويبتدئ بـ ﴿هُنَالِكَ﴾، وعليه وقف الإمام أبي عبد الله الهبطي.

وبين الإمام أبو حيان رحمه الله الوجه الإعرابي على حالتي الوقف معا فقال: «فيكون ﴿هُنَالِكَ﴾ معمولا لقوله: ﴿مُنتَصِرًا﴾. وقال الزجاج: أي: وما كان منتصرا في تلك الحال، والولاية لله على هذا مبتدأ وخبر. وقيل: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ مبتدأ وخبر، والوقف على قوله: ﴿مُنتَصِرًا﴾».[البحر المحيط:7 / 182].

وقرأ حمزة والكسائي «الوِلاية» بكسر الواو، وهي بمعنى الرياسة والزعامة ونحوه، وقرأ الباقون «الوَلاية» بفتح الواو، وهي بمعنى الموالاة والصلة ونحوه، وقرأ أبو عمرو والكسائي «الحقُّ» بالرفع على جهة النعت لـ «الولاية»، وقرأ الباقون «الحقِّ» بالخفض على النعت لاسم الجلالة.

قال ابن كثير رحمه الله في توجيه هذه القراءات: «ثم اختلفوا في قراءة ﴿الْوَلَايَةُ﴾، فمنهم من فتح الواو، فيكون المعنى: هنالك الموالاة لله، أي: هنالك كل أحد من مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب...، ومنهم من كسر الواو من «الوِلاية» أي: هنالك الحكم لله الحق. ثم منهم من رفع «الحق» على أنه نعت للولاية...، ومنهم من خفض القاف، على أنه نعت لله عز وجل». [تفسير القران العظيم: 4 / 389 - 390].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ أي: الله خير ثوابا في الدنيا والآخرة لمن آمن به. وليس ثم غيرٌ يُرجى منه ذلك، ولكنه أراد في ظن الجهال، أي هو خير من يرجى.

وقال ابن كثير رحمه الله: «أي: الأعمال التي تكون لله عز وجل، ثوابها خير، وعاقبتها حميدة رشيدة، كلها خير». [تفسير القرآن العظيم: 4 / 390]. فعلى التفسير الأول الضمير ﴿هُوَ﴾ عائد على الله تعالى، وعلى التفسير الثاني هو عائد على العمل الخالص لله عز وجل.

وقرأ الجمهور ﴿عُقُبٗا﴾ بضم العين والقاف، وقرأ عاصم وحمزة «عقْبا» بضم العين وسكون القاف وتنوين الباء، وقرأ عاصم أيضا «عقبى» بألف التأنيث المقصورة على وزن رجعى، والعقْب والعقُب بمعنى العاقبة.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وهما بمعنى واحد، أي هو خير عاقبة لمن رجاه وآمن به. يقال: هذا عاقبة أمر فلان وعقباه وعقبه، أي آخره». [الجامع لأحكام القرآن:5 / 267].

## ثالثا: لطائف وفوائد:

- في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، قال مطرف: «كان مالك رحمه الله إذا دخل بيته قال: ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، فسئل عن ذلك فقال: قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، وجنته بيته. وقيل: إن ذلك كان على باب مالك مكتوبا ليتذكر برؤيته قول ذلك متى دخل». [ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض: 1 / 130]. قال أشهب قال مالك: ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول هذا.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت بلى يارسول الله: قال: قل:لا حول ولا قوة إلا بالله». [صحيح مسلم: كتب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث 2704].

- في عاقبة صاحب الجنتين تنبيهٌ على أن شكر النعم من أعظم حقوق الله على العباد، وأن الاغترار بها واحتقار الخلق مؤذن بزوالها، فالشكر قيد النعم، ويكون شكرها بأداء حق الله فيها، وتصريفها في طاعته سبحانه ونفع خلقه.

## التقويم

1 - اختلف القراء في محل الوقف في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿42﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ...﴾
بيِّن الوجه الإعرابي على حالتي الوقف معا.

2 - كثيرا ما تستعمل «إن» في المكروه، «وإذا» في المحبوب، أورد آية شاهدا على ذلك.

3 - ما الأسلوب الذي اعتمده المؤمن مع صاحبه؟ وما فائدته؟ وكيف أطبقه في حياتي؟

## الاستثمار

**قصة صاحب الجنتين: دروس وعبر**

أقوم بتعاون مع أصدقائي وتحت إشراف الأستاذ(ة) بتكوين مجموعات لإنجاز ما يأتي:

- إبراز المضامين الإجمالية لقصة صاحب الجنتين.
- بيان العبر والدروس والقيم المستنبطة من القصة.
- صياغة خلاصة تركيبية لنتائج أعمال المجموعات ومناقشتها.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 44 – 45 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - أستخرج أسلوبا بلاغيا واردا في الآيتين.

2 - أستخرج أسلوبا تربويا يعتمده القرآن في التربية والتعليم وأبيِّنُ بعض فوائده.

الدرس

# 13 سورة الكهف (الآيتان: 44 - 45)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف حقيقة الدنيا من خلال المثل المضروب في الآية.

2 - أن أدرك أهمية الباقيات الصالحات وفضلها.

3 - أن أستشعر عظم ثواب الآخرة وأقوي رغبتي في ما عند الله.

## تمهيد

بعد أن بينت الآيات السابقة الحوار الذي دار بين صاحب الجنتين ورفيقه المؤمن، وما ساقه المؤمن له من حجج وتذكير بنعم الله، وتحذير من مغبة الظلم وعاقبة الكبر، انتقلت آيات هذا الدرس، إلى ضرب المثل مرة أخرى لبيان حال الدنيا وسرعة زوالها واضمحلال ما فيها من النعيم والمتاع.

فما هي حقيقة الدنيا؟ وما مناسبة المثل المضروب لقصة صاحب الجنتين؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (44) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (45)﴾ [الكهف: 44 ـ 45].

## الفهم

### الشرح:

﴿فَاخْتَلَطَ﴾: فامتزج.

﴿هَشِيمًا﴾ : يابسا.

﴿تَذْرُوهُ﴾: تنسفه وتثيره في الهواء.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما المثل الذي ضربه الله تعالى لحقيقة الدنيا؟

2 - بم وصف الله تعالى المال والبنين؟ ولماذا؟

## التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

### أولا: حقيقة الحياة الدنيا:

قال سبحانه: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾، هو مثل آخر ضربه الله تعالى في هذه السورة بعد قصة أصحاب الكهف والرقيم، وبعد مثل الرجلين اللذين جعل الله لأحدهما جنتين، وما وقع بينهما من حوار وكيف انتهت عاقبة المغتر بزهرة الدنيا وزينتها إلى البوار. وفي هذا المثل بيان لحقيقة الدنيا التي دفعت صاحب الجنتين إلى الاستكبار والجحود، فكان مثالا للإنسان الكنود. فجاءت هذه الآية أيضا تشبه الحياة الدنيا في سرعة اضمحلالها وزوالها بما يحدث كل عام من نزول المطر واخضرار الأرض، ثم تحول نباتها بعد النضارة والبهجة إلى هشيم وحطام.

وقوله: ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: حياة الإنسان بما يتعلق بها من نعم وترفه، وقوله: ﴿كَمَاءٍ﴾ يريد هي كماء، وقوله: ﴿أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من السحاب الذي في السماء وهو مجاز أطلق فيه المحل وأريد الحال فيه. وقوله: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ أي: فاختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء، فالباء في ﴿بِهِ﴾ باء السببية، وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ﴾ هو عبارة عن صيرورته إلى

ذلك، لَا أنه أراد اختصاصه بوقت الصباح. أي: صار بِانْقِطَاعِ الْمَاءِ عَنْهُ هشيما، فَحُذِفَ ذَلِكَ إِيجَازًا لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ. و«الهشيم» المتفتت والمتكسر من يابس العشب، ومنه قوله تعالى: ﴿كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [القمر: 31]، وَالْهَشْمُ: كَسْرُ الشَّيْءِ الْيَابِسِ، ومنه هشم الثريد، وبه سمي هاشم بن عبد مناف القرشي جد النبي ﷺ، واسمه عمرو؛ لأنه أول من هشم الثريد لقومه ولأهل الموسم في سنة المجاعة.

وقوله: ﴿تَذۡرُوهُ﴾ أي: تفرقه، وقرأ ابن عباس: «تذريه» ، والمعنى: تقلعه وترمي به.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ إخبار عن أن الأمر قبل وجود الإنسان هكذا كان، إذ نفسه حاكمة بذلك في حال عقله، هذا قول سيبويه، وهو معنى صحيح. وقال الحسن: «كانَ» إخبار عن الحال قبل إيجاد الموجودات، أي: إن القدرة كانت، وهذا أيضا حسن. ومعنى ﴿مُّقۡتَدِرًا﴾ أي: الْقَوِي الْقُدْرَة، الذي لا يعجزه شيء.

ومعنى هذا التأويل تشبيه حال المرء في حياته وماله وعزته وزهوه وبطره بالنبات الذي اكتسب خضرة ونضرة عن المطر النازل، ثم يعود بعد ذلك هَشِيماً ويصير إلى عدم، فمن كان له عمل صالح يبقى في الآخرة فهو الفائز، فكأن الحياة بمثابة الماء والخضرة، والنضارة بمنزلة النعيم والعزة، ونحوه.

## ثانيا: المال والبنون زينة الحياة:

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾. ما زال السياق متصلا من تمام المثل الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يضربه مثلا للحياة الدنيا. أي: إنما المال والبنون زينة هذه الحياة المحقرة، فلا تتبعوها نفوسكم. وَإِنَّمَا كَانَ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِأَنَّ فِي الْمَالِ جَمَالًا وَنَفْعًا، وَفِي الْبَنِينَ قُوَّةً وَدَفْعًا، فَصَارَا زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وقوله: ﴿زِينَةُ﴾ مصدر، وقد أخبر به عن أشخاص، فإما أن يكون على تقدير محذوف، وتقديره: مقر زينة الحياة الدنيا، وإما أن نضع المال والبنين بمنزلة الغنى والكثرة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ صفتان جَرتا على موصوف محذوف، أي: الأعمال

الصالحات الباقيات. واختُلف في الْباقِيات الصَّالِحات، فقال ابن عباس وابن جبير وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل: هي الصلوات الخمس، ورجحه الإمام ابن العربي في أحكامه وقال: «وَبِهِ أَقُولُ، وَإِلَيْهِ أَمِيلُ، وَلَيْسَ فِي الْبَابِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أَمَا إنَّ فَضْلَ التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالْحَوْقَلَةِ مَشْهُورٌ فِي الصَّحِيحِ كَثِيرٌ، وَلَا مِثْلَ لِلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي ذَلِكَ بِحِسَابٍ وَلَا تَقْدِيرٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ» [أحكام القرآن: 3 / 235 ـ 236] وقال الجمهور هي الكلمات المأثور فضلها: سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وروي في هذا حديث: «استكثِروا من الباقيات الصالحات» [صحيح ابن حبان: 3 / 121، حديث 840]، وروي عن رسول الله ﷺ من طريق أبي هريرة رضي الله عنه وغيره أن هذه الكلمات هي الباقيات الصالحات [سنن النسائي الكبرى: كتاب عمل اليوم والليلة ـ ثواب من سبح الله مائة تسبيحة وتحميدة وتكبيرة، حديث10617]، وقال ابن عباس: الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة، ورجحه الطبري، وصوبه القرطبي.

وقوله: ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: وخير رجاء؛ لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة دون ذي المال والبنين العاري من الباقيات الصالحات، فإنه لا يرجو ثوابا.وَقِيلَ: خَيْرٌ فِي التَّحْقِيقِ مِمَّا يَظُنُّهُ الْجُهَّالُ أنه خير في ظنهم.

## ثالثا: لطائف وفوائد:

– في قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أسلوب الجمع، وهو من المحسنات البديعية، وهو أن يجمع المتكلم بين أمرين أو أكثر في حكم واحد. وضده التفريق، وهو أن يفرق بين أمرين من نوع واحد في الحكم كقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: 12].

– قال أبو بكر بن العربي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: «قَدْ بَيَّنَّا فِي كُتُبِ الْأُصُولِ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ مَا عَدَا اللهَ وَصِفَاتِهِ الْعُلَا، لَهُ أَوَّلٌ، فَإِنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ مَا عَدَا نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَعَذَابَ أَهْلِ النَّارِ لَهُ آخِرٌ، وَكُلُّ مَا لَا آخِرَ لَهُ فَهُوَ الْبَاقِي حَقِيقَةً. وَلَكِنَّ الْبَاقِيَ بِالْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ هُوَ اللهُ...، فَأَمَّا نَعِيمُ الْجَنَّةِ فَأُصُولٌ، مُذْ خُلِقَتْ لَمْ تَفْنَ وَلَا تَفْنَى، بِخَبَرِ اللهِ تَعَالَى، وَفُرُوعٌ، وَهِيَ النِّعَمُ، هِيَ أَعْرَاضٌ إنَّمَا تُوصَفُ بِالْبَقَاءِ عَلَى مَعْنَى أَنَّ أَمْثَالَهَا يَتَجَدَّدُ مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعٍ،

فَهَذَا فَنَاءٌ وَتَجْدِيدٌ، فَيَجْعَلُهُ بَقَاءً مَجَازًا بِالْإِضَافَةِ إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ يَفْنَى فَلَا يَعُودُ، فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا.... فَالْأَعْمَالُ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْ الْخَلْقِ مِنْ حَسَنٍ وَقَبِيحٍ لَا بَقَاءَ لَهَا، وَلَا تَجَدُّدَ بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ، فَهِيَ بَاقِيَاتٌ صَالِحَاتٌ وَطَالِحَاتٌ، حَسَنَاتٌ وَسَيِّئَاتٌ فِي الْحَقِيقَةِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ الْأَعْمَالُ أَسْبَابًا فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَكَانَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ دَائِمَيْنِ لَا يَنْقَطِعَانِ، وَبَاقِيَيْنِ لَا يَفْنَيَانِ... وُصِفَتْ الْأَعْمَالُ بِالْبَقَاءِ، حَمْلًا مَجَازِيًّا عَلَيْهَا» [أحكام القرآن: 3 / 233 ـ 234].

– قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وقالت الحكماء: إنما شبه تعالى الدنيا بالماء لأن الماء، لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب، كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعا منبتا، وإذا جاوز المقدار كان ضارا مهلكا، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع، وفضولها يضر». [الجامع لأحكام القرآن:5 / 268].

## التقويم

1 - ما مناسبة المثل المضروب في الآية لقصة صاحب الجنتين؟

2 - بم فسر ابن عباس رضي الله عنهما ﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾؟ وما التوجيه الأصولي لتفسيره؟

3 - لم شبه الله تعالى الحياة الدنيا بالماء؟

## الاستثمار

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ...﴾: «وَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ فِي تَرْتِيبِ الْوَصْفَيْنِ أَنْ يُقَدَّمَ ﴿الصَّالِحَاتُ﴾ عَلَى ﴿الْبَاقِيَاتُ﴾ لِأَنَّهُمَا وَإِنْ كَانَا وَصْفَيْنِ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، إِلَّا أَنَّ أَعْرَفَهُمَا فِي وَصْفِيَّةِ ذَلِكَ الْمَحْذُوفِ هُوَ ﴿الصَّالِحَاتُ﴾، لِأَنَّهُ قَدْ شَاعَ أَنْ يُقَالَ: الْأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ وَلَا يُقَالُ الْأَعْمَالُ الْبَاقِيَاتُ، وَلِأَنَّ بَقَاءَهَا مُتَرَتِّبٌ عَلَى صَلَاحِهَا، فَلَا جَرَمَ أَنَّ الصَّالِحَاتِ وَصْفٌ قَامَ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ، وَأَغْنَى عَنْهُ كَثِيرًا فِي الْكَلَامِ، حَتَّى

صارَ لَفْظُ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ بِمَنْزِلَةِ الاِسْمِ الدَّالِّ عَلَى عَمَلِ خَيْرٍ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ ... وَلَكِنْ خُولِفَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ هُنَا، فَقُدِّمَ ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ مَا ذُكِرَ قَبْلَهُ – وهو المال والبنون- إِنَّمَا كَانَ مَفْضُولًا، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِبَاقٍ... وتقديمُ المال على البنين في الذكر، لأنه أسبق خطورا لأذهان الناس، لأنه يرغب فيه الصغير والكبير، والشاب والشيخ، ومن له من الأولاد ما قد كفاه». [التحرير والتنوير: 15 / 330].

أتأمل النص ثم أجيب عن الآتي:

1 - أذكرُ مثالا من القرآن الكريم قام فيه الوصف بالصالحات مقام موصوفها «الأعمال».

2 - ما التعليل الذي ذكره ابن عاشور رحمه الله لتقديم وصف ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾ على وصف ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾؟

3 - ما الحكمة التي ذكرها في تقديم المال على البنين؟

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 46 – 48 ثم أجيب عما يأتي:

1 - ما القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾؟

2 - ما إعراب ﴿صَفّٗا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾؟

3 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: نُسَيِّرُ - نُغَادِرْ - أَحْصَىٰهَا.

الدرس

# 14 سورة الكهف (الآيات: 46 - 48)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف وصف القرآن لبعض مشاهد القيامة.

2 - أن أدرك دقة إحصاء الله لأعمال العباد وعدله في الحساب.

3 - أن أحرص على إحسان عملي استعدادا ليوم العرض والجزاء.

## تمهيد

بعد أن ضربت الآيات السالفة المثل للدنيا وزينتها بما يوضح حقيقتها، وأنها متاع حائل، وظل زائل، بخلاف نعيم الآخرة الباقي الدائم، جاءت هذه الآيات لتنقل لنا بعض مشاهد القيامة وما يقع فيها من حشر للعباد، وعرض شامل، وحساب عادل.

فما هي تلك الأحداث الجسام الممهدة للقيامة؟ وكيف يحشر العباد ويعرضون للحساب؟ وما حال المجرمين مع صحائف أعمالهم؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (46) وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (47) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا

﴿مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿48﴾﴾ [الكهف: 46 ـ 48].

## الفهم

### الشرح:

بَارِزَةً : ظاهرة.

وَحَشَرْنَاهُمْ: جمعناهم بعد البعث للعرض والحساب.

مَّوْعِدًا : ميعادا ووقتا للحساب.

ٱلْكِتَابُ: سجل الأعمال.

مُشْفِقِينَ : خائفين وجلين.

حَاضِرًا : شاهدا وماثلا ومدوّنا في صحيفة أعمالهم.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - أستخرجُ من الآيات التغييرات التي تطرأ على الكون.

2 - كيف يكون الحشر؟ وكيف يعرض العباد على الله تعالى للحساب؟

3 - ما هي صفة كتب الأعمال؟ وعلام يدل ذلك؟

## التفسير

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

### أولا: التذكير ببعض أهوال القيامة:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾

التقدير: واذكر يوم نسير. وقَالَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ: التَّقْدِيرُ: وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا غَلَطٌ مِنْ أَجْلِ الْوَاوِ. ومعنى ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ أَيْ: نُزِيلُهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا

مِنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَنُسَيِّرهَا كَمَا نُسَيِّرُ السَّحَابَ، كَمَا فِي قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: 90].

قرأ نافع والكوفيون ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ بنون العظمة مضمومة وتشديد الياء مكسورة ونصب ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ على المفعولية، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ «ويوم تُسَيَّرُ» بِتَاءٍ مَضْمُومَةٍ وَفَتْحِ الْيَاءِ مشددة على البناء للمجهول، وَرفع «الجبال» نيابة عن الفاعل. وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ وَمُجَاهِدٌ «ويوم تَسير الجبال» بِفَتْحِ التَّاءِ مُخَفَّفًا مِنْ سَارَ، ورفع «الجبال» على الفاعلية. ويقوي القراءة الأولى قوله بعدها: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾، ودَلِيلُ قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو ومن معه ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: 3]، وَدَلِيلُ قِرَاءَةِ ابْنِ مُحَيْصِنٍ ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: 9].

وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: يحتمل أن تكون رؤيا القلب، أو رؤية العين. ومعنى ﴿بَارِزَةً﴾ ظاهرة، إما أن يريد أن الأرض – لذهاب الجبال والظراب والشجر – برزت وانكشفت، وإما أن يريد بروز أهلها والمحشورين من سكان بطنها.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وَمَعْنَى ﴿بَارِزَةً﴾ ظَاهِرَة، لَيْسَ عَلَيْهَا مَا يَسْتُرُهَا مِنْ جَبَلٍ وَلَا شَجَرٍ وَلَا بُنْيَانٍ، أَيْ: قَدِ اجْتُثَّتْ ثِمَارُهَا، وَقُلِعَتْ جِبَالُهَا، وَهُدِمَ بُنْيَانُهَا، فَهِيَ بَارِزَةٌ ظَاهِرَةٌ. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ أَهْلُ التَّفْسِيرِ. وَقِيلَ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أَيْ: بَرَزَ مَا فِيهَا مِنَ الْكُنُوزِ وَالْأَمْوَاتِ، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ وَقَالَ: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾». [الجامع لأحكام القرآن: 10 / 416_417].

وقوله: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ أي: أقمناهم من قبورهم للموقف، وجمعناهم لعرضة القيامة. وهو مجاز مرسل بمعنى المستقبل لتحقق الفعل كأنه وقع، فعبر بالماضي بدل المضارع. وكذلك قوله: ﴿وَعُرِضُواْ﴾ وما بعدها من أفعال ماضية. قال أبو حيان: «الْأَوْلَى أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ وَاوَ الْحَالِ لَا وَاوَ الْعَطْفِ، وَالْمَعْنَى: وَقَدْ حَشَرْنَاهُمْ أَيْ: يُوقَعُ التَّسْيِيرُ فِي حَالَةِ حَشْرِهِمْ». [البحر المحيط: 7 / 187].

وقوله: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لَمْ نَتْرُكْ، يُقَالُ: غَادَرْتُ كَذَا أَيْ: تَرَكْتُهُ، والْمُغَادَرَةُ التَّرْكُ، وَمِنْهُ الْغَدْرُ؛ لأنه ترك الْوَفَاءِ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْغَدِيرُ مِنَ الْمَاءِ غَدِيرًا لِأَنَّ السيل ذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَمِنْهُ غَدَائِرُ الْمَرْأَةِ لِأَنَّهَا تَجْعَلُهَا خَلْفَهَا. والمعنى: حَشَرْنَا بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ وجنهم وإنسهم أولهم وآخرهم.

وقوله: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾، يحتمل أن يكون المراد أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحدا، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا﴾ [النبأ: 38]. ويحتمل أنهم يقومون صفوفا، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:24].

قَالَ مُقَاتِلٌ: يُعْرَضُونَ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ كَالصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ، كُلُّ أُمَّةٍ وَزُمْرَةٍ صَفٌّ، لَا أَنَّهُمْ صَفٌّ وَاحِدٌ. وَقِيلَ: جَمِيعًا، كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗا﴾ [طه: 63] أَيْ: جَمِيعًا. وَقِيلَ: قِيَامًا.

وقوله: ﴿صَفّٗا﴾ مفرد نزل منزلة الجمع، أي: صفوفا، وهي حال مؤولة بمشتق، بمعنى مصطفين أو صافين لا يحجب أحد أحدا، وفي الحديث: «يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا، يسمعهم الداعي وينفدهم البصر»، وفي حديث آخر: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، أنتم منها ثمانون صفا». [المعجم الكبير للطبراني: 10 / 184، حديث 10398].

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ﴾ مقالة تقال للكفار المنكرين للبعث، ومضمنها التقريع والتوبيخ، وفي الكلام حذف يقتضيه القول ويحسنه الإيجاز، تقديره: يقال للكفرة منهم: لقد جئتمونا كما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ويفسره قول النبي ﷺ: «إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: 103] ». [صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث2860]. أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا حُفَاةً عُرَاةً، لَا مَالَ مَعَكُمْ وَلَا وَلَد وَقِيلَ: فُرَادَى، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: 95]. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ: بَعَثْنَاكُمْ كَمَا خلقناكم. وجملة ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا﴾ مَعْمُولٌ لِقَوْلٍ مَحْذُوفٍ، أي: وقلنا: لقد جئتمونا. وجملة ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ نَعْتٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ أَيْ: مَجِيئًا مِثْلَ مَجِيءِ خَلْقِكُمْ.

وقوله: ﴿بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا﴾ هذا خطاب لمنكري الْبَعْثِ على سبيل التوبيخ والتقريع، أَيْ: زَعَمْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَنْ تُبْعَثُوا، وَأَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ووقتا لِلْبَعْثِ. و﴿بَلۡ﴾ لِلْإِضْرَابِ، بِمَعْنَى الِانْتِقَالِ مِنْ خَبَرٍ إِلَى خَبَرٍ، ولَيْسَ بِمَعْنَى الْإِبْطَالِ.

## ثانيا: حال العصاة عند عرض صحائف أعمالهم:

قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ بني الفعل ﴿وُضِعَ﴾ للمجهول للعلم به، أي: وضعته الملائكة. و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ اسم جنس، يراد به كتب الناس التي أحصاها

الحفظة، لكل إنسان كتابُه، ويحتمل أن يكون الموضوع كتابا واحدا حاضرا.

وعلى الأول تدل الآيات الكثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿13﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 13]، وكذلك آيات عديدة فيها ذكر من أوتي كتابه بيمينه أو شماله أو من وراء ظهره. وعلى الثاني يدل قوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 11]

وإشفاق المجرمين في قوله: ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾: فزعهم وخَوْفهمْ مِنْ كَشْفِ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ وَفَضْحِهِمْ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ السَّرْمَدِيِّ. فشكاية المجرمين إنما هي من الإحصاء لا من ظلم ولا حيف.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ أي: يقولون: ياحسرتنا على ما فرطنا في أعمارنا.

وقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ أي: عدها وأحاط بها، والمعنى: لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا وإن صغر إلا حفظه وسجله. قيل: الصَّغِيرَةُ مَا دُونَ الشِّرْكِ، وَالْكَبِيرَةُ الشِّرْكُ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى سَعْدِ بْنِ جُنَادَةَ قَالَ: لَمَّا فَرَغَ ﷺ من غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، نَزَلْنَا قَفْرًا مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْمَعُوا مَنْ وَجَدَ عُودًا فَلْيَأْتِ بِهِ، وَمَنْ وَجَدَ حَطَبًا أَوْ شَيْئًا فَلْيَأْتِ بِهِ. قَالَ: فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى جَعَلْنَاهُ رُكَامًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَرَوْنَ هَذَا؟ فَكَذَلِكَ تُجْمَعُ الذُّنُوبُ عَلَى الرَّجُلِ مِنْكُمْ كَمَا جَمَعْتُمْ هَذَا، فَلْيَتَّقِ اللهَ رَجُلٌ وَلَا يُذْنِبْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً، فَإِنَّهَا مُحْصَاةٌ عَلَيْهِ». [المعجم الكبير للطبراني: باب السين، سعد بن جنادة، حديث 5346]. قَالَ قَتَادَةُ: اشْتَكَى الْقَوْمُ الْإِحْصَاءَ، وَمَا اشْتَكَى أَحَدٌ ظُلْمًا، فَإِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهَا تَجْتَمِعُ عَلَى صَاحِبِهَا حَتَّى تُهْلِكَهُ.

وقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ﴾ ﴿مَا﴾ اسم استفهام، وأريد به التعجب من حال الكتاب. وجملة ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ في محل نصب حال. أي: حاله أنه لا يترك شيئا من الأعمال دون إحصاء.

وفي قوله تعالى: ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ طباق، جمع فيه بين متضادين، وهو طباق إيجاب. وفي قوله: ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ إضافة الإحصاء إلى الكتاب، وهو مجاز عقلي، فيه نسبة الفعل لغير من هو له توسعا؛ لأن المحصي للأعمال هم الحفظة من الملائكة.

## ثالثا: العدل الإلهي:

قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾، قيل: وجدوا إحصاء ما عملوا، وقيل: جزاء ما عملوا حاضرا. وهو كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [آل عمران: 30].

وفي قوله: ﴿حَاضِرًا﴾ مجاز أقيم فيه اسم الفاعل مقام المفعول، وأصله «محضرا»، وهو مجاز عقلي نسب فيه الحضور إلى العمل. وجاء على الحقيقة في قوله تعالى:﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [آل عمران: 30].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: لا يؤاخذ الله أحدا إلا بما عمل. وقيل: لا ينقص طائعا من ثوابه، ولا يزيد عاصيا على عقابه. فلَا يَظْلِمُ أَحَدًا من خلقه بنقص ثواب أو زيادة عقاب، بل يعفو ويصفح، ويغفر وَيَرْحَمُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِه، وَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40].

وهذه الآية نظيرة قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

## رابعا: لطائف وفوائد:

- قال ابن عطية رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، «وقدم الصغيرة اهتماما بها، لينبه منها، ويدل أن الصغيرة إذا أحصيت فالكبيرة أحرى بذلك، والعرب أبدا تقدم في الذكر الأقل من كل مقترنين، ونحو هذا قولهم: القمران والعمران، سموا باسم الأقل تنبيها منهم». [المحرر الوجيز: 3 / 521].

- يوم القيامة وما يتعلق به من حساب وجزاء وعرض لأعمال العباد صغيرها وكبيرها حق، ولا سبيل للنجاة من شدة الحساب والفوز بالجنة إلا بمحاسبة النفس، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن، والمسارعة إلى التوبة والعمل الصالح، ولزوم الطاعات.

- الإيمان بعدل الله تعالى وعلمه المطلق بأفعال العباد، يزيد المؤمن إيمانا وطمأنينة وحسن الظن بالله.

- رسم في المصحف قوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا﴾ مفصول اللام عن اسم الإشارة، وكذلك في الموضع الآخر في سورة الفرقان: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ [الفرقان: 7]. وكذلك في قوله: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: 77] وقوله: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المعارج: 36]. واختلف القراء في الوقف عليها، فأبو عمرو البصري والكسائي بخلف عنه يقفان على ﴿مَا﴾، وباقي السبعة يقفون على ﴿مَالِ﴾. والقارئ برواية ورش إذا وقف اضطرارا أو اختبارا يقف على اللام؛ لأن مذهبه الذي هو مذهب شيخه الإمام نافع هو اتباع الرسم في الوقف.

## التقويم

1 - ما القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾؟

2 - كيف يعرض العباد على الله تعالى؟ وما الحكمة من ذلك؟

3 - ما المراد بالكتاب في قوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؟

4 - ما المغزى من تقديم الصغيرة على الكبيرة في قوله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾؟ وما الأثر التربوي لذلك؟

## الاستثمار

روى الإمام أحمد في مسنده عن أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ:« كُنْتُ صَاحِبَةَ عَائِشَةَ الَّتِي هَيَّأْتُهَا وَأَدْخَلْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَعِي نِسْوَةٌ، قَالَتْ: فَوَ اللهِ مَا وَجَدْنَا عِنْدَهُ قِرًى إِلَّا قَدَحًا مِنْ لَبَنٍ، قَالَتْ: فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ نَاوَلَهُ عَائِشَةَ، فَاسْتَحْيَتِ الْجَارِيَةُ، فَقُلْنَا: لَا تَرُدِّي يَدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خُذِي مِنْهُ، فَأَخَذَتْهُ عَلَى حَيَاءٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: نَاوِلِي صَوَاحِبَكِ، فَقُلْنَا: لَا نَشْتَهِيهِ، فَقَالَ: لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ قَالَتْ إِحْدَانَا لِشَيْءٍ تَشْتَهِيهِ: لَا أَشْتَهِيهِ، يُعَدُّ ذَلِكَ كَذِبًا؟ قَالَ: إِنَّ الْكَذِبَ يُكْتَبُ كَذِبًا، حَتَّى تُكْتَبَ الْكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً».

[المسند: مسند حديث العشرة المبشرين بالجنة، حديث 26820].

أتأمَّلُ الحديث الشريف وأجيب عما يأتي:

1 - أستخرج من الحديث الخلق الذي اتصفت به عائشة رضي الله عنها.

2 - هل يعتبر الحياء مبررا للكذب؟ أعلل جوابي.

3 - أبيِّنُ المقصود بهذا المقطع «حَتَّى تُكْتَبَ الْكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً».

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 49 – 52 من سورة الكهف وأجيب عما يأتي:

1 - ما نوع السجود الذي أمر الله به الملائكة في الآيات؟

2 - ما القراءات الثابتة في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾؟ وما المعنى على كل قراءة؟

3 - ما المراد بالكلمات الآتية: فَفَسَقَ – عَضُداً – مَّوْبِقاً؟

الدرس **15** 

# سورة الكهف (الآيات: 49 - 52)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف قصة سجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس عن ذلك.

2 - أن أدرك مظاهر ضلال المشركين وخطورة الإعراض عن أوامر الله.

3 - أن أحذر غواية الشيطان وأسباب الإعراض عن آيات الله.

## تمهيد

بعد أن صورت الآيات السالفة مشاهد من القيامة وما يقع فيها من حشر للخلائق وعرض على الله تعالى، ليتيقن المنكرون ما كانوا يجحدونه من أمر البعث والحساب، حين تعرض سجلات أعمالهم في ميزان العدل وقد أحاطت بكل شيء، فلا يظلم يومئذ أحد، جاءت هذه الآيات تحكي قصة سجود الملائكة لآدم وعصيان إبليس لأمر الله تعالى.

فلم عصى إبليس أمر ربه؟ وما الموقف الذي على المؤمن أن يتخذه من إبليس وذريته وحزبه؟ وما عاقبة من يتخذهم أولياء من دون الله؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِيسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا (49) مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (50) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ

﴿يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿51﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿52﴾﴾ [الكهف: 49 ـ 52]

## الفهم

### الشرح:

أَوْلِيَآءَ: حلفاء ونصراء.

بَدَلًا: عوضا.

ٱلْمُضِلِّينَ: الملبسين والمغوين للخلق.

مُّوَاقِعُوهَا: ملاقوها ومواجهوها.

مَصْرِفًا : محيدا ومعدلا ومناصا.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما علة امتناع إبليس عن السجود؟

2 - مم حذَّر الله في الآيات؟

3 - ما مظاهر ضلال المشركين؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

### أولا: التحذير من إبليس وذريته:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾، تضمنت هذه الآية تقريع الكفرة وتوقيفهم على خطئهم في توليهم عدوهم إبليس دون الله تعالى الذي أنعم عليهم بكل نعمة صغيرة أو كبيرة، وتقدير الكلام: «واذكر إذ قلنا»، وتكررت هذه العبارة حيث تكررت هذه القصة، إذ هي توطئة النازلة، فأما ذكر النازلة هنا فمقدمة للتوبيخ. والقول في ﴿إِذْ﴾ كالقول في

أمثالها الكثيرة في القرآن، أنها ظرف لما مضى، وهي متعلقة بفعل محذوف، تقديره: «واذكر»، وهو تذكير بالقصة لا بالحدث نفسه، لأن المخاطب لم يحضره فيذكر به.

قال الطبري رحمه الله: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُذَكِّرًا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ حَسَدَ إِبْلِيس أَباهمْ، وَمُعْلِمَهُمْ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ كِبْرِهِ وَاسْتِكْبَارِهِ عَلَيْهِ حِينَ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَأَنَّهُ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ لَهُمْ عَلَى مِثْلِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ لِأَبِيهِمْ: ﴿وَ﴾ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ الَّذِي يُطِيعُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ وَيَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ، وَيُخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ لَهُ اسْتِكْبَارًا عَلَى اللَّهِ، وَحَسَدًا لِآدَمَ». [جامع البيان: 9 / 259].

وقوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾، أي: امتثلوا أمره لهم بالسجود لآدم. واختلف المفسرون في السجود لآدم، فقيل: هو السجود المعروف بوضع الجبهة على الأرض، جعله الله تعالى من الملائكة عبادة له وتكرمة لآدم كما في قوله: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: 29]، وقيل: بل كان إيماء منهم نحو الأرض، وذلك يسمى سجودا لأن السجود في كلام العرب عبارة عن غاية التواضع.

وقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾، قيل: الاستثناء في هذه الآية استثناء منقطع؛ لأن إِبْلِيسَ ليس من الملائكة، بل هو من الجن، وهم الشياطين المخلوقون من مارج من نار، وجميع الملائكة إنما خلقوا من نور. وقيل: إن الاستثناء متصل، وإبليس من صنف الملائكة خلقوا من نار، وعبر عن الملائكة بالجن من حيث إنهم مستترون، فهي صفة تعم الملائكة والشياطين. وقيل غير ذلك.

قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر بعض الأقوال الواردة عن المفسرين في ذلك: «وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ، وَغَالِبُهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي تُنْقَلُ لِيُنْظَرَ فِيهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنْهَا، وَمِنْهَا مَا قَدْ يُقْطَعُ بِكَذِبِهِ لِمُخَالَفَتِهِ لِلْحَقِّ الَّذِي بِأَيْدِينَا، وَفِي الْقُرْآنِ غُنْيَةٌ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ تَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ». [تفسير القرآن العظيم: 4 / 396 ـ 397].

وقوله: ﴿فَفَسَقَ﴾ أي: فخرج وانتزح وعدل عنه ومال، ومنه يقال: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها، وفسقت النواة، إذا خرجت عن الثمرة، وفسقت الفأرة، إذا خرجت من جحرها، وسماها النبي ﷺ بالفويسقة. وإنما يستعمل «الفسق» في الخروج على جهة الفساد. وكذلك الفسق في الدين إنما هو العدول عن القصد والميل عن الاستقامة.

وقوله: ﴿عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ يحتمل أن يريد خرج عن أمر ربه إياه، أي: فارقه كما فعل الخارج عن طريق واحد، أي: منه. ويحتمل أن يريد فخرج عن الطاعة بعد أمر ربه بها. و«عَنْ» قد تجيء بمعنى «بعد» في مواضع كثيرة، كقولك: أطعمتني عن جوع، ونحوه، فكأن المعنى: فسق بعد أمر ربه بأن يطيع. ويحتمل أن يريد: فخرج بأمر ربه، أي: بمشيئته ذلك له، ويعبر عن المشيئة بـ «الأمر»؛ إذ هي أحد الأمور، وهذا كما تقول: فعلت ذلك عن أمرك، أي: بجدك وبحسب مرادك.

وقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾، الهمزة فيه للاستفهام الإنكاري، يريد: أفتتخذون إبليس، وقوله: ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ ظاهر اللفظ يقتضي الموسوسين من الشياطين الذين يأمرون بالمنكر ويحملون على الباطل. وذكر الطبري أن مجاهدا قال: ذرية إبليس الشياطين، وقوله ﴿أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ أي: توالونهم بدلا وعوضا عني. وقوله: ﴿وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ أي: أعداء، فهو اسم جنس، والجملة في محل نصب على الحال، وصيغة «عدو» على وزن فعول وقع فيها الإدغام، وهي صفة مشبهة باسم الفاعل، ويستوي فيها المفرد والجمع. وقوله: ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ أي: بِئْسَ عِبَادَةُ الشَّيْطَانِ بَدَلًا عَنْ عِبَادَةِ اللهِ. أَوْ بِئْسَ إِبْلِيسُ بَدَلًا عَنِ اللهِ. وهذا هو نفس الظلم؛ لأنه وضع الشيء في غير موضعه.

## ثانيا: من مظاهر ضلال المشركين:

قال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ما أحضرتهم، والضمير في ﴿أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ عائد على إبليس وذريته، وقيل: على الكفار، وقيل: هو عام في سائر الخلق. قال ابن عطية رحمه الله: «وأقول: إن الغرض المقصود أولًا بالآية هم إبليس وذريته، وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة، وعلى الكهان والعرب المصدقين لهم والمعظمين للجن حين يقولون: أعوذ بعزيز هذا الوادي، إذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بإبليس وذريته، وهم أضلوا الجميع، فهم المراد الأول بـ ﴿ٱلۡمُضِلِّينَ﴾، وتندرج هذه الطوائف في معناهم».

وقوله: ﴿خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هو مصدر أضيف إلى مفعوله، وتقديره: خلق الله السموات والارض، بنصبهما بالمصدر الذي يعمل عمل فعله.

وقوله: ﴿وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: خلق أنفس المشركين، فكيف اتخذوهم أولياء من دوني؟

والجملة معطوفة على ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿أَنفُسِهِمْ﴾ مضاف إليه.

وقوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: ما استعنتهم على خلق السموات والأرض ولا شاورتهم، والمراد بـ ﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾ قيل: الشياطين، وقيل: الكفار. ويدخل فيهم كل صاحب ضلال أو إلحاد أو دعوة منحرفة ونحلة باطلة.

ومعنى ﴿عَضُدًا﴾ أعوانا، والأصل فيه عضد اليد ثم استعير للمعين المؤازر للإنسان تشبيها بالعضد لليد بجامع التقوية، يقال: عضده وعاضده إذا أعانه وساعده. ومِنْهُ قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: 35] أَيْ: سَنُعِينُكَ بِأَخِيكَ.

وهذا إنما هو على المثل، لأن الله سبحانه غني عن عون كل أحد، وخص المضلين بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ.

وقرأ الجمهور ﴿وَمَا كُنتُ﴾ بضم تاء الضمير، وهو عائد على الله تعالى، وقرأ أبو جعفر المدني من العشرة « وما كنتَ» بفتح تاء الخطاب، فيكون الخطاب للنبي ﷺ.

## ثالثا: خيبة المشركين يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: أَيِ اذْكُرُوا يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ لهم ذلك على رؤوس الأشهاد. وقرأ حمزة من السبعة ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ بالنون، أي: يقول الله تعالى للكفار الذين أشركوا به من الدنيا سواه: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ أي: على وجه الاستغاثة بهم ليمنعوكم من عذابي. وقوله: ﴿شُرَكَآءِىَ﴾ أي: على دعواكم أيها المشركون، وقد بين هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾، والزعم خلاف اليقين؛ ولذلك قيل: «بيس مطية الكذب زعموا». قال ابن عطية: «الزعم إنما هو مستعمل أبدا في غير اليقين، بل أغلبه في الكذب، ومنه هذه الآية، وأرفع مواضعه أن يستعمل «زعم» بمعنى أخبر، حيث تبقى عهدة الخبر على المخبر».

قال أبو حيان رحمه الله: «وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُمْ شُرَكَاؤُهُ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ عَلَى زَعْمِكُمْ، وَالْإِضَافَةُ تَكُونُ بِأَدْنَى مُلَابَسَةٍ. وَمَفْعُولَا ﴿زَعَمْتُمْ﴾ مَحْذُوفَانِ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِمَا؛ إِذِ التَّقْدِيرُ: زَعَمْتُمُوهُمْ شُرَكَائِي. وَالنِّدَاءُ بِمَعْنَى الِاسْتِغَاثَةِ، أَيْ: اسْتَغِيثُوا بِشُرَكَائِكُمْ، وَالْمُرَادُ: نَادُوهُمْ لِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ أَوْ لِلشَّفَاعَةِ لَكُمْ». [البحر المحيط: 7 / 191].

وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ ظاهره أن ذلك يقع حقيقة، ويحتمل أن يكون استعارة، كأن فكرة الكفار ونظرهم إلى أن تلك الجمادات لا تغني شيئا ولا تنفع، هي بمنزلة الدعاء وترك الإجابة، والأول أبين. وعبر بلفظ الماضي، والمراد «فيدعونهم» فلا يستجيبون لهم، ويحال بينهم وبينهم بواد من النار. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾، قال عبد الله بن عمرو وأنس ومجاهد: هو واد في جهنم يجري بدم وصديد، وقال أنس وابن عباس: يحجز بين أهل النار وبين المؤمنين. وقال الحسن: ﴿مَّوْبِقًا﴾ معناه عداوة. وقال ابن الأعرابي: كل شيء حاجز بين شيئين فهو موبق. وَقَالَ عَطَاءٌ وَالضَّحَّاكُ: مَهْلِكًا فِي جَهَنَّمَ، وَمِنْهُ يُقَالُ: أَوْبَقَتْهُ ذُنُوبُهُ إِيبَاقًا. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَوْعِدًا لِلْهَلَاكِ. وقال الْجَوْهَرِيُّ: وَبَقَ يَبِقُ وُبُوقًا هَلَكَ، وَالْمَوْبِقُ مِثْلُ الْمَوْعِدِ مَفْعِلٌ مِنْ وَعَدَ يَعِدُ. ومنه السبع الموبقات.

قال ابن كثير رحمه الله: «وَالظَّاهِرُ مِنَ السِّيَاقِ هَهُنَا أَنَّهُ الْمَهْلَكُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَادِيًا فِي جَهَنَّمَ أَوْ غيره، والمعنى: أن الله تعالى بين أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَلَا وُصُولَ لَهُمْ إِلَى آلِهَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا فِي الْآخِرَةِ، فَلَا خَلَاصَ لِأَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْآخَرِ، بَلْ بَيْنَهُمَا مَهْلَكٌ وَهَوْلٌ عَظِيمٌ وَأَمْرٌ كَبِيرٌ». [تفسير القرآن العظيم: 4 / 388].

والضمير في قوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ يعود على المؤمنين والكافرين، كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: 13]، ويحتمل أن يعود على المشركين ومعبوداتهم، كما قال تعالى: ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: 28].

وقوله: ﴿وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ هِيَ رُؤْيَةُ عَيْنٍ، أَيْ: عَايَنُوهَا، والظن هنا بمعنى اليقين، مثل قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (44) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 44-45]، وقِيلَ: هو عَلَى بابه مِنْ كَوْنِهِ تَرْجِيحَ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ، وإنما لَمْ يَجْزِمُوا بِدُخُولِهَا رَجَاءً وَطَمَعًا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ. وقوله: ﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: ملاقوها ومواجهوها، وَالْمُوَاقَعَةُ مُلَابَسَةُ الشَّيْءِ بِشِدَّةٍ.

قال ابن كثير رحمه الله: «أَيْ: إِنَّهُمْ لَمَّا عَايَنُوا جَهَنَّمَ حِينَ جِيءَ بِهَا تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، فَإِذَا رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ تَحَقَّقُوا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا، لِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَعْجِيلِ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ لَهُمْ، فَإِنَّ تَوَقُّعَ الْعَذَابِ وَالْخَوْفَ منه قبل وقوعه عذاب ناجز».

[تفسير القرآن العظيم: 4 / 388].

وقوله: ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أي: محيصا ومحيدا ومناصا ومهربا. وهو مصدر ميمي من «صرف» الثلاثي. ويحتمل أن يكون ظرف مكان بمعنى لم يجدوا موضعا أو سبيلا للصرف عن النار.

## رابعا: لطائف وفوائد:

- قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «اعلم أن الآدمي لما خُلِق رُكِّب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك مَا ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به مَا يؤذيه، وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب، وخلق الشَّيْطَان محرضا لَهُ عَلَى الإسراف فِي اجتلابه واجتنابه، فالواجب عَلَى العاقل أن يأخذ حذره من هَذَا العدو الذي قد أبان عدواته من زمن آدم عَلَيْهِ الصلاة والسلام، وَقَدْ بذل عمره ونفسه فِي فساد أحوال بني آدم، وَقَدْ أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى:... ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وفي القرآن من هَذَا كثير». [يس، ص59].

- في قصة آدم وإبليس تحذير من مكايد الشيطان واتباع سبيله، ودعوة إلى الاستمساك بالله تعالى والاعتصام بهديه، واتباع سنن الأنبياء والمرسلين ففيها النجاة والفلاح.

### التقويم

1 - ما المقصود بقوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾؟

2 - أبيِّنُ معنى الظن في قوله: ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ وأستدلُّ على ذلك بآيات أخرى.

3 - ما التوجيه التربوي المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾؟

## الاستثمار

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله: «إِنَّمَا قَالَ لِلْكُفَّارِ الْمُفْتَخِرِينَ بِأَنْسَابِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ: أَفَتَتَّخِذُونَ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَ لَهُمْ إِلَى تَرْكِ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ النَّخْوَةُ وَإِظْهَارُ الْعُجْبِ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى عَمَلٍ أَوْ قَوْلٍ بِنَاءً عَلَى هَذَا الدَّاعِي فَهُوَ مُتَّبِعٌ لِإِبْلِيسَ، حَتَّى إِنَّ مَنْ كَانَ غَرَضُهُ فِي إِظْهَارِ الْعِلْمِ وَالْمُنَاظَرَةِ التَّفَاخُرَ وَالتَّكَبُّرَ وَالتَّرَفُّعَ، فَهُوَ مُقْتَدٍ بِإِبْلِيسَ، وَهُوَ مَقَامٌ صَعْبٌ غَرِقَ فِيهِ أَكْثَرُ الْخَلْقِ، فَنَسْأَلُ اللهَ الْخَلَاصَ مِنْهُ». [مفاتيح الغيب: 21 / 473].

أتأمل النص وأجيب عما يأتي:

1 - أستخرجُ من النص خُلُقا يكون من اتصف به متبعا لإبليس.

2 - أبيِّنُ الآثار السيئة لهذا الخلق على الفرد والمجتمع.

3 - كيف السبيل إلى اجتناب هذا الخلق الذميم؟

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 53 - 55 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما هي طبيعة الإنسان المشار إليها في الآيات؟ وما موقف الشرع منها؟

2 - من المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾؟

3 - أبيِّنُ المراد بالعبارات الآتية: - جَدَلًا - سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ - لِيُدْحِضُوا.

الدرس

# 16 سورة الكهف (الآيات: 53 - 55)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف الغاية من تصريف الأمثال في القرآن.

2 - أن أدرك الغاية من إرسال الرسل عليهم السلام.

3 - أن أتجنب الجدال بالباطل والاستخفاف بالحرمات والمقدسات.

## تمهيد

بعد أن ذكّرت الآيات السالفة بقصة إبليس مع آدم، وحذرت من اتخاذه وذريته أولياء من دون الله، وعاقبة من يتولاهم يوم القيامة، جاءت هذه الآيات تنهى عن الجدال بالباطل والاستهزاء بالحق، وأنهما كانا مانعين للكفار من الانتفاع بأمثال القرآن واتباع هداياته.

فما عاقبة الجدال بالباطل؟ وما غرض الكفار من الجدال والاستهزاء بالحق؟ وما الدروس التي أستفيدها من هذه الآيات؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (53) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (54) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (55)﴾ [الكهف: 53 ـ 55].

## الفهم

### الشرح:

صَرَّفْنَا: بينا وفصلنا.

مَثَلٍ: ما فيه موعظة وعبرة.

قِبَلًا: فجأة ومعاينة.

هُزُوًا : لهوا وتهكما.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - بم يقابل الكفار أمثال القرآن؟

2 - بم توعد الله المعرضين عن دعوة القرآن وأمْثَالِه؟

3 - ما هي أوصاف الكفار في الآيات؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

### أولا: تصريف الأمثال في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، وتصريف الله للأمثال سوقها وتنويعها للعظة والاعتبار، كما قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

وقوله: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل مثال له نفع في الغرض المقصود بهم، وهو الهداية، وذلك ما أوضح لهم سبحانه من دلائل الربوبية والوحدانية والبعث والحساب. والمعنى: «وَلَقَدْ بَيَّنَّا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ وَوَضَّحْنَا لَهُمُ الْأُمُورَ وَفَصَّلْنَاهَا كَيْلَا يَضِلُّوا عَنِ الْحَقِّ وَيَخْرُجُوا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى». [تفسير القرآن العظيم: 4 / 400].

قال القرطبي رحمه الله: «يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَا ذَكَرَهُ لَهُمْ مِنَ الْعِبَرِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ. والثَّانِي: مَا أَوْضَحَهُ لَهُمْ مِنْ دَلَائِلِ الرُّبُوبِيَّةِ ...، فَهُوَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ زَجْرٌ، وَعَلَى الثَّانِي بَيَانٌ».

[الجامع لأحكام القرآن: 6 / 6].

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ هو خبر مقتضب، في ضمنه: فلم ينفع فيهم تصريف الأمثال، بل هم منحرفون يجادلون بالباطل، فمَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَهَذَا الْفُرْقَانِ الْإِنْسَانُ كَثِيرُ الْمُجَادَلَةِ وَالْمُخَاصَمَةِ وَالْمُعَارَضَةِ لِلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ إِلَّا مَنْ هَدَى الله بصره لِطَرِيقِ النَّجَاةِ. وفي الآية إشارة إلى إحدى طبائع الإنسان الجبلية إذا لم يهذبها الشرع الحكيم، وهي الجدل، وهي كقوله: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورٗا﴾ [الإسراء: 67] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ [العاديات: 6]. وقوله: ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يريد الجنس، وروي أن سبب نزول هذه الآية هو النضر بن الحارث، وقيل: ابن الزبعرى، فيكون قوله: ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ من العموم المراد به الخصوص.

وفي صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة فقال:« ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾». [صحيح البخاري: كتاب التهجد، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، حديث1075] فاستعمل ﷺ الآية على العموم في جميع الناس. وإنما لم يرجع إليه النبي ﷺ شيئا كراهية للجدل في الدين، لا سيما وقد نسب عدم قيامهما إلى أن الله لو شاء لأيقظهما، ويظهر أنه لو أجابه لزاد الحوار ودخل في المماحكة كشأن الجدال في غالب الأحوال.

وفي هذا البيانِ من الله ورسوله ﷺ ذمُّ الجدل في الدين بغير علم أو دليل، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: 8]. ولا سيما إذا أدى إلى تأويل صريح النصوص ومحو دلالاتها الظاهرة والقطعية. وجاء في الحديث: « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل». [سنن الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الزخرف، حديث3253].

## ثانيا: بيان حال المكذبين، وتعرضهم لمثل ما حل بأسلافهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ﴾: المراد بالناس في الآية كفار قريش والكفار في عصر النبوة، فهو عموم أريد به الخصوص كما تقدم، ومعنى ﴿إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ إذ أتاهم شرع الله الذي نزل به الوحي، ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ﴾ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ شِرْكِهِمْ ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ما حل بالأولين من الأمم السالفة من أنواع العذاب من الغرق والصيحة والظلمة والريح وغير ذلك،

كما قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: 40]. والمعنى: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِلَّا طَلَبُهم أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ، وهو قولهم فيما حكاه الله عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32].

وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قِبَلًا﴾ أي: فجأة وبغتة. وقيل: مقابلة وعيانا، بحسب اختلاف القراءة.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿قِبَلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ عاصم والكسائي وحمزة «قُبُلا» بضم القاف والباء، ويحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون بمعنى قبل، لأن أبا عبيدة حكاهما بمعنى واحد في المقابلة، والآخر: أن يكون جمع قبيل، أي: يأتيهم العذاب متفرقا يتلو بعضه بعضا أنواعا وألوانا.

وهذه آية تأسف عليهم وتنبيه على فساد حالهم؛ لأن هذا المنع لم يكن بقصد منهم أن يمتنعوا ليجيئهم العذاب، وإنما امتنعوا هم مع اعتقادهم أنهم مصيبون، لكن الأمر في نفسه يسوقهم إلى هذا، فكأن حالهم تقتضي التأسف عليهم. ومثلها في المعنى ما تقدم في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 94].

و﴿وَمَا﴾ في الآية حرف نفي، و﴿إِلَّا﴾ إبطال للنفي السابق، وهو المعروف بالاستثناء المفرغ، وفيه تَفرُّغ ما قبل ﴿إِلَّا﴾ للعمل فيما بعدها، فقوله: ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ مؤول بمصدر، أي: إلا إتيان، وهو فاعل ﴿مَنَعَ﴾ عمل فيه ما قبل ﴿إِلَّا﴾، وهذا الحرف يحول «ما» و«هل» و«إن» من معانيها الأصلية إلى النفي.

## ثالثا: الغاية من إرسال الرسل عليهم السلام:

قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾، لما تفجع عليهم وعلى ضلالهم ومصيرهم بآرائهم إلى الخسران، قال: وليس الأمر كما يظنون، فالرسل لم نبعثهم ليجادلوا، ولا لتُتمنى عليهم الاقتراحات، وإنما بعثناهم مبشرين من آمن بالجنة، ومنذرين من كفر بالنار.

وقوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ معنى ﴿لِيُدْحِضُوا﴾

يُزِيلُوا وَيُبْطِلُوا، وَأَصْلُ الدَّحْضِ الزَّلَقُ، يُقَالُ: دَحَضَتْ رِجْلُهُ أَيْ: زَلَقَتْ، تَدْحَضُ دَحْضًا، وَدَحَضَتِ الشَّمْسُ عَنْ كَبِدِ السَّمَاءِ زَالَتْ، وَدَحَضَتْ حُجَّتُهُ دُحُوضًا بَطَلَتْ، وَأَدْحَضَهَا اللهُ، وَالْإِدْحَاضُ الْإِزْلَاقُ. والمعنى: وَيُخَاصِمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ بِالْبَاطِلِ ليدفعوا الحق بباطلهم الذي ينصبونه ويجادلون به ليزحزحوه ويزلقوه عن موضعه، وليس ذلك بحاصل لهم وإن حاولوه، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ⑧ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 8 - 9]. قِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُقْتَسِمِينَ الذين كَانُوا يُجَادِلُونَ فِي الرَّسُولِ ﷺ فَيَقُولُونَ: سَاحِرٌ وَمَجْنُونٌ وَشَاعِرٌ وَكَاهِنٌ.

وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ أي: جعلوا من آيات القرآن لعبا ولهوا. و﴿مَا﴾ مصدرية أَيْ: وَالْإِنْذَار، وَقِيلَ: موصولة، وعائدها محذوف، أي: اتَّخَذُوا الْقُرْآنَ وَالَّذِي أُنْذِرُوا بِهِ مِنَ الْوَعِيدِ هُزُوًا أَيْ لَعِبًا وَبَاطِلًا، وقوله: ﴿هُزُوٗا﴾ هو مفعول ثان لفعل ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ﴾، والمفعول الأول قوله: ﴿ءَايَٰتِي﴾. و«الهزؤ» بضمتين، أو بضمة فسكون تخفيفا. وبالأخيرة قرأ حمزة مع الهمز، وقرأ حفص عن عاصم بإبدال الهمزة واوا. وقرأه الباقون بضمتين مهموزا.

والهزء السخرية والاستخفاف بالقرآن وما جاءهم به النبي ﷺ. قيل: هُوَ قَوْلُ أَبِي جَهْلٍ فِي الزُّبْدِ وَالتَّمْرِ هَذَا هُوَ الزَّقُّومُ. وَقِيلَ: هُوَ قَوْلُهُمْ فِي الْقُرْآنِ: هُوَ سِحْرٌ وَأَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان: 5].

## رابعا: لطائف وفوائد:

- البشارة والنذارة هي وظيفة الرسل ومهمتهم، وذلك دليل رحمة الله بالعباد وعنايته بهم، وأنه لم يخلقهم عبثا ولم يتركهم سدى، كما أن فيها حجة قاطعة لعذرهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ﴾ [المائدة: 21]. وعلى هذا دل أسلوب الحصر في الآية في قوله: ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، ولذلك قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: 164]. أي: بعد إرساله للرسل مبلغين عنه.

- من حسن الخلق ترك كثرة الجدال في المعاملات والمماحكة في البيوعات والشركات، والتحلي فيها بالسماحة والشهامة، ففي الحديث عن السائب بن أبي السائب - رضي الله عنه - أنه كان يشارك رسول الله ﷺ قبل الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح جاءه فقال النبي ﷺ: «مَرْحَباً بِأَخِي وَشَرِيكِي كَانَ لاَ يُدَارِى وَلاَ يُمَارِي، يَا سَائِبُ قَدْ كُنْتَ تَعْمَلُ أَعْمَالاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ لاَ تُقْبَلُ مِنْكَ، وَهِىَ الْيَوْمَ تُقْبَلُ مِنْكَ». [المستدرك: كتاب البيوع، حديث2298].

## التقويم

1 - ما الجدال المذموم في الآيات؟ وما أجر تاركه؟ وكيف أطبق ذلك في سلوكي؟

2 - من المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾؟ وكيف تُوجِّهُ الآية أصوليا؟

3 - أذكرُ القراءات الواردة في كلمة ﴿قِبَلًا﴾، والمعنى على كل قراءة.

4 - ما معنى قوله تعالى: ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؟

## الاستثمار

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله : «الْآثَارُ كُلُّهَا فِي هَذَا الْبَابِ الْمَرْوِيَّةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّمَا وَرَدَتْ فِي النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ فِي الْقُرْآنِ.... وَالْمَعْنَى أن يَتَمَارَى اثْنَانِ فِي آيَةٍ يَجْحَدُهَا أَحَدُهُمَا وَيَدْفَعُهَا وَيَصِيرُ فِيهَا إِلَى الشَّكِّ...، وَأَمَّا التَّنَازُعُ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ فَقَدْ تَنَازَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ،... وَالْمِرَاءُ وَالْمُلَاحَاةُ غَيْرُ جَائِزٍ شَيْءٌ مِنْهُمَا، وَهُمَا مَذْمُومَانِ بِكُلِّ لِسَانٍ وَنَهَى السَّلَفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَنِ الْجِدَالِ فِي اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَفِي صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَأَمَّا الْفِقْهُ فَأَجْمَعُوا عَلَى الْجِدَالِ فِيهِ وَالتَّنَاظُرِ؛ لِأَنَّهُ عِلْمٌ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى رَدِّ الْفُرُوعِ عَلَى الْأُصُولِ لِلْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ». [جامع بيان العلم وفضله: باب ما تكره فيه المناظرة والجدال والمراء: 2 / 928].

أتأمل نص الحافظ ابن عبد البر وأجيب عما يأتي:

1 - ما نوع المراء الذي جاءت النصوص تنهى عنه؟

2 - ما حكم المناظرة في الأحكام الفقهية؟ ولماذا؟

3 - أمثِّلُ ببعض المناظرات الفقهية في التراث الإسلامي.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 56 – 58 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما الحائل بين الكفار والهدى؟

2 - لماذا لم يعجل الله بإنزال العذاب على الكفار؟

3 - ما المراد بالكلمات الآتية: أَكِنَّةً - وَقْراً - مَوْئِلًا ؟

الدرس

# 17 سورة الكهف (الآيات: 56 - 58)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف صفات الكافرين المعرضين عن القرآن.

2 - أن أدرك سعة رحمة الله في تأخيره عقوبة العصاة.

3 - أن أحرص على طاعة الله تعالى لأزداد هدى وبصيرة.

## تمهيد

بعد أن بينت الآيات السابقة حرص الله تعالى على هداية العباد بضرب الأمثال لهم وتنويعها، وأن كثيرا منهم يمنعه الاستكبار والإعراض والجدال بالباطل من قبول الحق الذي بعث الله به الأنبياء، فيصيبه ما أصاب الأمم قبله من النكال، جاءت هذه الآيات مبينة حال هؤلاء المعرضين مع آيات القرآن.

فما سبب إعراض الكافرين عن الذكرى؟ وما الحكمة من إمهال الله لهم؟ وهل ذلك يقتضي إهمال عقوبتهم؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ
إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (56) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم
بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا (57) وَتِلْكَ الْقُرَىٰ

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝58﴾ [الكهف: 56 ـ 58].

## الفهم

### الشرح:

أَعْرَضَ: صد عنها وتولى.

قَدَّمَتْ: أسلفت وعملت.

يَفْقَهُوهُ: يعقلوا معانيه وشرائعه.

مَّوْعِدٌ: ميعاد وميقات.

لِمَهْلِكِهِم: لهلاكهم وزمنه.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما صفات المعرضين عن هدى القرآن؟

2 - ما الحكمة من إمهال الله للكافرين؟

## التفسير

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

### أولا: صفات المعرضين عن القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾، الاستفهام إنكاري بمعنى التقرير، والمراد: لا أحد أظلم ممن هذه صفته، أن يعرض عن الآيات بعد الوقوف عليها بالتذكير. وقوله: ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: طرح كبائره التي أسلفها. وقيل: تَرَكَ كُفْرَهُ وَمَعَاصِيَهُ فَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا، فالنسيان هنا بمعنى الترك. وقيل: الْمَعْنَى نَسِيَ مَا قَدَّمَ لِنَفْسِهِ وَحَصَّلَ مِنَ الْعَذَابِ، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ.

ونسب السيئات إلى اليدين مجازاً من حيث كانت اليـــدان آلـــة التكسب في الأمور الجرمية، فجعلت كذلك في المعاني.

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ جملة تعليلية، والتعليل بمثلها كثير في «إن» المكسورة، ومنه قوله تعالى لموسى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: 17] وقوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿17﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر: 17-18]. والمعنى: أن إعراضهم عن الذكرى ونسيانهم ما قدموا من المعاصي كان بسبب ختم الله على قلوبهم وأسماعهم.

والضمير فـــي ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ عائد على القرآن الكريم. أي: لئلا يفهموا آيات القرآن ويهتدوا بها.

وقوله: ﴿أَكِنَّةً﴾ جمع كنان، وهو كالغلاف الساتر. واختلف المفسرون في هذا وشبهه من الختم والطبع، هل هو على الحقيقة أو المجاز؟ قال ابن عطية: «والحقيقة في هذا غير مستحيلة، والتجوز أيضا فصيح، أي: لما كانت هذه المعاني مانعة في الأجسام وحائلة، استعيرت للقلوب التي قد أقساها الله تعالى وأقصاها عن الخير».

وقوله: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، الوقر: ثقل السمع، وهو استعارة، أي: صمما معنويا عَنِ الرَّشَادِ. قال ابن عطية رحمه الله: «وأما (الوقر) في الآذان فاستعارة بينة؛ لأنا نحس الكفرة يسمعون الدعاء إلى الشرع سماعا تاما، ولكن لما كانوا لا يؤثر ذلك فيهم إلا كما يؤثر في الذي به وقر فلا يسمع، شبهوا به، وكذلك العمى والصمم والبكم كلها استعارات، وإنما الخلاف في أوصاف القلب، هل هي حقيقة أو مجاز؟»

وقوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾، الهدى: الإسلام وشرائعه وقيمه. وقيل: الإيمان. وَهَذَا الشَّرْطُ كَأَنَّهُ جَوَابٌ لِلرَّسُولِ ﷺ عَنْ تَقْدِيرِ قَوْلِهِ: مَالِي لَا أَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى؟ حِرْصًا مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى حُصُولِ إِيمَانِهِمْ، فَقِيلَ لَه: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ...﴾ الآية.

وقوله: ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ﴾ مفيدة لنفي اهتدائهم في وقت نزول الآية، وكان الأصل إمكان أن يؤمن بعضهم ويهتدي بعد ذلك، لكن تأكيد النفي بقوله: ﴿أَبَدًا﴾ سد الباب في وجه احتمال أن يؤمنوا.

وقال أبو حيان رحمه الله: «وَهَذَا مِنَ الْعَامّ الْمُرَاد بِهِ الْخُصُوصُ، وَهُوَ مَنْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ وَقَضَى عَلَيْهِ بِالْمُوَافَاةِ عَلَى الْكُفْرِ؛ إِذْ قَدِ اهْتَدَى كَثِيرٌ مِنَ الْكَفَرَةِ وَآمَنُوا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حُكْمًا

عَلَى الْجَمِيعِ، أَيْ: وَإِنْ تَدْعُهُمْ أَيْ: إِلَى الْهُدى جَمِيعًا فَلَنْ يَهْتَدُوا جَمِيعًا أَبَداً». [البحر المحيط: 7 / 195].

## ثانيا: إمهال الله للعصاة وعدم معاجلتهم بالمؤاخذة:

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾، لما أخبر تعالى عن القوم الذين حتم بكفرهم، أنهم لا يهتدون أبدا، عقب ذلك بأنه للمؤمنين ﴿ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾، أي: ذو العفو.

وقوله: ﴿لو يواخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب﴾ أي: كفار مكة، أي: لجاءهم عذابه قريبا عاجلا، وهذا من مظاهر رحمته المشار إليها قبل، ونظير الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: 46]. و﴿ما﴾ إما مصدرية أي: بكسبهم، وإما موصولة أي: بالذي كسبوه من المعاصي.

وقوله: ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾، ﴿مَّوْعِدًا﴾ أي: أَجَلٌ مُقَدَّرٌ يؤخرون إليه. والمعنى: بَلْ يُمْهِلُهُمْ مَعَ إِفْرَاطِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَعَدَاوَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

ويتحصل للكفار من اتصافه تعالى بالغفران والرحمة ترك المعاجلة، ولو أخذوا بحسب ما يستحقونه لبادرهم بالعذاب المبيد لهم، ولكنه تعالى أخرهم إلى موعد لا يجدون منه منجى.

واختلف في الموعد المذكور، فقيل: هو أجل الموت، وقيل: هو عذاب الآخرة، وقال الطبري: هو يوم بدر، أو يوم أحد، وقيل: الحشر.

وقوله: ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾، الضَّمِيرُ فِي ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ عَائِدٌ عَلَى الْمَوْعِدِ. وقيل: عائد على العذاب. و«الموئل» المنجَى والملجأ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ زَيْدٍ، وَحَكَاهُ الْجَوْهَرِيُّ فِي الصِّحَاحِ. يقال: وأل الرجل يئل إذا لجأ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: لَا وَأَلَتْ نَفْسُهُ أَيْ: لَا نَجَتْ.

## ثالثا: تحذير الله تعالى للظالمين:

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾، لما توعد الله الكفرة بالعذاب الذي له موعد لا يخلَف، أعقب ذلك بذكر الأمثلة من القرى التي نزل بها ما توعد هؤلاء بمثله، وفي قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ حذف مضاف تقديره: وَتِلْكَ أهل الْقُرى، يدل على ذلك قوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾، فرد الضمير على أهل القرى، والْقُرى: المدن، وهذه الإشارة إلى عاد وثمود ومدين وغيرهم. ﴿وَتِلْكَ﴾ ابتداء، و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ صفته، و﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ خبر. ويصح أن يكون ﴿تِلْكَ﴾

منصوبا بفعل يدل عليه ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾، على قول من قال: زيدا ضربته.

وقوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أي: حين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله والكفر بما جاءت به رسله. أو لأنهم ظلموا. فتكون ﴿لَمَّا﴾ تعليلية، للإِشْعَار بِعِلَّةِ الْإِهْلَاكِ وَهِيَ الظُّلْمُ, واسْتَدَلَّ بهذه الآية أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عُصْفُورٍ عَلَى حَرْفِيَّةِ «لَمَّا» وَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِمَعْنَى «حِينٍ»؛ لِأَنَّ الظَّرْفَ لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى الْعِلِّيَّةِ. وقيل: لا مانع من أن يكون ظرفا استعمل للتعليل. وحذف مفعول ﴿ظَلَمُوا﴾ إما لتعميم الظلم، أو لتنزيله منزلة اللازم، أي: لما فعلوا الظلم.

وأشار تعالى بقوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ إلى الحضارات التي كانت ببلاد العرب، كعاد وثمود ومدين وسبإ وقوم لوط وغيرهم. وعبَّر بالقرى وأراد أهلها وعمَّارها، فهو مجاز بالحذف. ورد الضمير على القرى باعتبار ذلك فقال: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ وقال: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾، أي: لهلاكهم زمنا لا يتخلف. وهذه الآية نظيرة قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (4) مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر: 4-5].

والغاية من الآية تحذير كفرة مكة من عذاب الظالمين قبلهم، أَيْ: وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ احْذَرُوا أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَشْرَفَ رَسُولٍ وَأَعْظَمَ نَبِيٍّ، ولستم بأعز علينا منهم، فخافوا عذابي ونذري.

وقرأ الجمهور ﴿لِمُهْلَكِهِم﴾ بضم الميم وفتح اللام، من أهلك، ومفعل يكون في مثل هذا لزمن الشيء ولمكانه، ويكون مصدرا، فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر –شعبة– «لمَهلَكهم» بفتح الميم واللام، وقرأ عاصم في رواية حفص «لمَهلِكهم» بفتح الميم وكسر اللام. وهو مصدر من هلك، وهو في مشهور اللغة غير متعد، فالمصدر على هذا مضاف إلى الفاعل، لأنه بمعنى: وجعلنا لأن هلكوا موعدا.

### رابعا: لطائف وفوائد:

- بين قوله: ﴿الْهُدَى﴾ وقوله: ﴿يَهْتَدُوا﴾ جناس الاشتقاق، وهو بين المصدر والفعل المشتق منه، كما أن بين قوله: ﴿الْهُدَى﴾ بالإثبات وقوله: ﴿فَلَن يَهْتَدُوا﴾ مقابلة بين الإثبات

والنفي، وهي من المحسنات البديعية.

– وصف الله تعالى نفسه في الآيات بوصفين هما «الغفور» و«ذو الرحمة»، ولكل صفة منهما محلها، فمحل المغفرة الفعل، ومحل الرحمة الفاعل، فتقع المغفرة على الفعل القبيح فتستره أو تمحوه، وتقع الرحمة على الإنسان فترفع عنه العناء والشقاء، ومن ثم فالمغفرة تسبق الرحمة؛ لأن الرحمة إنما هي أثر للمغفرة ونتيجة ومظهر لها، فإذا غفر الله ذنب العبد رحمه فوقاه سوء عاقبته. ونلاحظ انه عندما يجتمع الفعلان في القرآن تقدم المغفرة على الرحمة، وهذا يكاد يكون مطردا في القرآن كله، إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى في سورة سبا: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ:2].

– ووجه الألوسي رحمه الله تقديم وصف «الغفور» على وصف «ذي الرحمة» في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ بقوله: «وإنما قدم الوصف الأول –الغفور – لأن التخلية قبل التحلية؛ أو لأنه أهم بحسب الحال والمقام؛ إذ المقام – على ما قاله المحققون – مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها، كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾».

[روح المعاني: 8 / 288].

## التقويم

1 - هل قوله تعالى: ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ حقيقة أم مجاز؟ ولماذا؟
2 - لماذا قدم المغفرة على الرحمة في قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾؟
3 - ما القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿لِمُهْلِكِهِم﴾؟
4 - ما أثر الإيمان باتصاف الله عز وجل بالمغفرة والرحمة على سلوك المؤمن؟

## الاستثمار

قال الإمام القرطبي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾: «ذُو الرَّحْمَة» فِيه أَرْبَعُ تَأْوِيلَاتٍ: أَحَدُهَا: ذُو الْعَفْوِ. الثَّانِي: ذُو الثَّوَابِ. وَهُوَ عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ مُخْتَصٌّ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ دُونَ الْكُفْرِ. الثَّالِثُ: ذُو النِّعْمَةِ. الرَّابِعُ: ذُو الْهُدَى. وَهُوَ عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ يَعُمُّ أَهْلَ الْإِيمَانِ

وَالْكُفْرِ؛ لِأَنَّهُ يُنْعِمُ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْكَافِرِ كَإِنْعَامِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ. وَقَدْ أَوْضَحَ هُدَاهُ لِلْكَافِرِ كَمَا أَوْضَحَهُ لِلْمُؤْمِنِ، وَإِنِ اهْتَدَى بِهِ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْكَافِرِ». [الجامع لأحكام القرآن: 7 / 11].

1 - أستخرجُ التأويلات الأربع في قوله: ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾.

2 - ما المختص من هذه المعاني بأهل الإيمان، وما العام منها؟

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 59 – 64 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما سبب رحلة موسى عليه السلام؟ وبم وصف الله تعالى العبد الصالح؟

2 - ما المراد بالعبارات الآتية: لَآ أَبْرَحُ - مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ - حُقُبًا - فَقَصَصًا - ٱرْتَدَّا ؟

الدرس

# 18 سورة الكهف (الآيات: 59 - 64)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف تفاصيل قصة موسى والعبد الصالح.

2 - أن أدرك أهمية الرحلة في طلب العلم وآدابها.

3 - أن أتمثل آداب الرحلة في طلب العلم الواردة في القصة.

## تمهيد

بعدما حذرت الآيات السابقة من مغبة الإعراض عن آيات الله وبينت خطورة ذلك، وذكرت سعة رحمة الله تعالى وشمولها، وأن من مظاهرها إمهال الله للمخالفين وعدم معاجلته لهم بالعقوبة، إلا من قامت عليه الحجة وأغرق في المخالفة والعصيان ظلما وعدوانا، شرعت هذه الآيات في سرد قصة موسى والخضر، بما فيها من عجائب الأخبار، ومواقع الاعتبار، وما تحمله من دلالات إيمانية عقدية، وتربوية تعليمية، تقي المتمثل لها والمهتدي بهداياتها مصارع السوء.

فكيف افتتحت الآيات ذكر خبر موسى والخضر؟ وما الإشارات في الآيات إلى عظيم مقام الخضر ورتبته؟ وما هي الدلالات التربوية والخلقية في رحلة موسى وفتاه؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿59﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿60﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿61﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ

إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿62﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿63﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿64﴾﴾ الكهف: [59 ـ 64].

## الفهم

### الشرح:

بَيْنِهِمَا: وصلهما.

سَرَبًا : نفقا وطاقا.

نَصَبًا : تعبا ومشقة.

أَوَيْنَآ: عدلنا وملنا ولجأنا.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما الذي عزم عليه موسى؟ وماذا أخذ على نفسه؟

2 - ما الوصف الجامع الذي وصف به الخضر في الآيات؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

### أولا: رحلة موسى عليه السلام لطلب العلم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾،

المعنى: اذكر واتل، وموسى المذكور هو نبي الله موسى بن عمران عليه السلام لا غيره، قال ابن عطية رحمه الله: «وموسى هو موسى بن عمران بمقتضى الأحاديث والتواريخ، وبظاهر القرآن؛ إذ ليس في القرآن موسى غير واحد، وهو ابن عمران، ولو كان في هذه الآية غيره لبينه».

وقد روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر؟ فقال: ...، حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ: قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟...»، ثم ساق الخبر.

وسبب هذه القصة ما رواه البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: « بينما موسى في ملإ من بني إسرائيل، جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى، عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل له الحوت آية...». [صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، حديث 3171]. وفي رواية أخرى عند البخاري: « فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك... » الحديث. [صحيح البخاري: كتاب العلم ـ باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، حديث122].

وقوله: ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ هو يوشع بن نون، وَيقال هو ابْن أُخْتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقيل: «غير ذلك مِمَّا لَا يُقْطَعُ بِهِ، وَالتَّوَقُّفُ فِيهِ أسلم». [الجامع لأحكام القرآن: 11 / 11].

وَالْفَتَى في كلام العرب الشَّابُّ، وَلَمَّا كَانَ الْخَدَمُ أَكْثَرَ مَا يَكُونُونَ فِتْيَانًا قِيلَ لِلْخَادِمِ فَتًى عَلَى جِهَةِ حُسْنِ الْأَدَبِ.

وقوله تعالى مخبرا عن قول موسى عليه السلام لفتاه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾، معناه: لا أزال سائرا على ساحل البحر حتى أصل إلى الموقع الذي يتلاقى ويجتمع فيه هذا البحر بغيره، فيكون الفعل في﴿ أَبۡرَحُ﴾ مضارع «برِح» المكسور العين، وهي مسبوقة بحرف النفي ﴿لَآ﴾ فتكون من أخوات «كان» ويكون اسمها ضميرا مستترا تقديره «أنا» والخبر محذوف اختصارا، وتقديره: لا أبرح سائرا، وقد تحمل ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ على أن يكون فعلها تاما. فيكون معناه: لا أزول عنك ولا أفارقك.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾، اختلف المفسرون كثيرا في تعيين مجمع البحرين وبيان المراد به، فقال مجاهد وقتادة: هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم. وقيل: هو عند طنجة وهو حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه (البحر الأبيض المتوسط)، وروي عن أبي بن كعب أن مجمع البحرين بإفريقية (تونس)، وهذا قريب من الذي قبله. وقال بعض أهل العلم:

هو بحر الأندلس مع البحر المحيط، وهذا كله متقارب، وقيل: بحر الأردن وبحر القلزم (الأحمر). وهذه أشهر الأقوال في ذلك. وقالت فرقة: يريد بمجمع البحرين بحرا ملحا وبحرا عذبا، فعلى هذا إنما كان الخضر عند موقع نهر عظيم في البحر، وقالت فرقة: البحران إنما هما كناية عن موسى والخضر، لأنهما بحرا علم، وضعفه ابن عطية، ثم ختم كلامه بعد إيراد هذه الأقوال بقوله: «والأمر بيِّنٌ من الأحاديث أنه إنما رُسِم له ماءُ بحر».

وقوله ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: ولو تطلب ذلك زمنا طويلا. قال الطبري رحمه الله : «وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب، أن الحقب في لغة قيس: سنة، فأما أهل التأويل فإنهم يقولون في ذلك ما أنا ذاكره، وهو أنهم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو ثمانون سنة، وقال آخرون: هو سبعون سنة، وعن ابن عباس: دهرا، وقيل: زمانا». [جامع البيان:9 / 272 بتصرف ].

وفي ذلك دلالة على علو همة موسى عليه السلام وقوة إرادته وصحة عزيمته، التي جعلته يقتحم الأهوال في سفر لا منتهى له إلا عند مجمع البحرين، ولقاء العالم الذي من أجل لقائه والتعلم منه تكابد كل هذه المشاق، وفي الحكم العطائية: «من عرف ما قصد، هان عليه ما وجد»، وهو في ذلك قدوة لكل طالب علم.

## ثانيا: بلوغ مجمع البحرين، والعلامة على مكان الخضر:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، ههنا جُمْلَةٌ مَحْذُوفَةٌ تقْدِيرُها: «فسارا فَلَمَّا بَلَغا». وأشركت الآية موسى وفتاه في ما حدث من بلوغ الموضع، ونسيان أمر الحوت الذي معهما، مع أن الذي نسي إنما هو الفتى كما سيذكره بعدُ متأسفا معتذرا؛ لأنه هو الموكل به.

قال أبو حيان رحمه الله: «وقيل: كان النسيان من أحدهما وهو فتى موسى، نسي أن يعلم موسى أمر الحوت إذ كان نائما، وقد أحس يوشع بخروجه من المكتل إلى البحر، ورآه قد اتخذ السرب، فأشفق أن يوقظ موسى، وقال: أؤخر إلى أن يستيقظ، ثم نسي أن يعلمه حتى ارتحلا وجاوزا، وقد يسند الشيء إلى الجماعة وإن كان الذي فعله واحد منهم. وقيل: هو على حذف مضاف أي نسي أحدهما.». [البحر المحيط:7 / 201].

والضمير في قوله: ﴿بَيْنِهِمَا﴾ للبحرين، قاله مجاهد، وقيل: هو لموسى والخضر، والأول أصوب.

وقوله: ﴿فَاتَّخَذَ﴾ من الأفعال التي تنصب مفعولين: الأول: ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ والثاني: ﴿سَرَبًا﴾.

والسبيل: المسلك، والسرب: المسلك في جوف الأرض، فشبه به مسلك الحوت في الماء حين لم ينطبق الماء بعده، بل بقي موضع مروره كالطاق، وهذا الذي ورد في الحديث عن النبي ﷺ وقاله جمهور المفسرين، أن الحوت بقي موضع سلوكه فارغا، وقالت فرقة: اتخذ سربا في التراب من المكتل إلى البحر... وظاهر الأمر أن السرب إنما كان في الماء».

وفي الآية – كما قال ابن العربي رحمه الله – : «دليل على جواز النسيان على الأنبياء، وكذلك على الخلق في معاني الدين، وهو عفو عند الله سبحانه». [أحكام القرآن:3 / 239]. يشير ابن العربي بذلك إلى مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 285]، وحديث: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». [سنن ابن ماجة: كتاب الطلاق ـ باب طلاق المكره والناسي، حديث 2043].

وقولــه تعالــى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، معنى ﴿جَاوَزَا﴾ أي: بارحا مستراحهما عند الصخرة التي أويا إليها وفارقاه، أو جاوزا مجمع البحرين، وقيل: جاوزا الْحُوتَ هُنَاكَ مَنْسِيًّا ومَتْرُوكًا.

وحذف مفعوله للعلم به. قيل: انْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾.

وقوله: ﴿ءَاتِنَا﴾ فعل أمر من «آتى» الرباعي، بمعنى أعطى الشيء وناوله لغيره. والغداء: طعام النهار مشتق من الغدوة؛ لأنه يؤكل في وقت الغدوة، وضده العشاء، وهو طعام العشي.

وفي إضافة الغداء لهما ونسبته إليهما في قوله: ﴿غَدَآءَنَا﴾ إشارة إلى أن طعامهما كان واحدا مشتركا يأكلانه بالسوية، لا يتميز فيه موسى – عليه السلام – عن فتاه، وأنهما كانا يجتمعان عليه، وذلك من تمام أخلاق الأنبياء وكمالها.

وقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، «النصب» التعب والمشقة. وَقِيلَ: عَنَى بِهِ هُنَا الْجُوعَ. وفيه دليل على أن السفر مظنة المشقة؛ ولذلك شرع فيه قصر الصلاة وجمعها والرخصة بالفطر في رمضان. قال ﷺ: « السفر قطعة من العذاب». [صحيح البخاري: كتاب العمرة ـ باب السفر قطعة من العذاب، حديث 1710].

## ثالثا: إخبار موسى بالعلامة، واغتباطه بذلك:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾. معنى ﴿أَرَأَيْتَ﴾ هنا: أَخْبِرْنِي ذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ. و﴿أَوَيْنَا﴾ ملنا ولجأنا.

قوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ فيه قولان: أحدهما: نسيتُ أن أخبرك خبر الحوت، أو نسيت ذكر الحوت. والثاني: نسيت حمل الحوت.

وفيه نسبة فتى موسى – عليه السلام – النسيان إلى نفسه، بحيث إنه نسي أن يخبر موسى بما رآه من أمر الحوت، ثم عاد الفتى فاستدرك بقوله: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾، أي: وما أنساني إياه إلا الشيطان، فنسب الإنساء إلى الشيطان، ولم يعترض عليه موسى في ذلك، أو يلمه على التقصير في الخدمة، بل اغتبط به وقال: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾، وكان ذلك نهاية الطريق في مرحلتها الأولى وبداية الفرج.

قال الإمام أبو بكر بن العربي رحمه الله: «ونسبة الفتى نسيانه إلى الشيطان؛ لأنه متمكن منه. ولا ينسب نسيان الأنبياء إلى الشيطان؛ لأنه لا يتمكن منهم، وإنما نسيانهم أسوة للخلق وسنة فيهم». [أحكام القرآن:3 / 240]. وفي بلاغات الموطإ عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: « إني لأَنْسى أو أُنَسَّى لأسن». [الموطأ: كتاب السهو ـ باب العمل في السهو، حديث221].

وقوله: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى عليه السلام، أي: اتخذ الحوت سبيلا عجبا للناس، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ تمام الخبر، ثم استأنف التعجب فقال من قِبَل نفسه: ﴿عَجَبًا﴾ لهذا الأمر.

وعلى ذلك جرى الشيخ محمد بن أبي جمعة الهبطي (ت930هـ) رحمه الله في تقييد الوقف المروي عنه، وبه أخذ المغاربة منذ قرون. وكثيرا ما يتساءل المتسائلون لماذا وصل الشيخ

الهبطي: ﴿فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾، ووقف ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ ﴿عَجَبًا﴾ ولم يقف عليهما معا؟ فهذا هو السبب، فإن الأول لا يحتمل إلا الوصل، وأما الثاني فالأحسن فيه الوقف على ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ ثم تقول: ﴿عَجَبًا﴾ فتقف، رعاية للمعنى المتقدم. وموضع العجب أن يكون حوت قد مات وأكل شقه ثم حيى بعد ذلك.

والضمير في ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ عائد على الحوت كما عاد في قوله : ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾ وهو من كلام يوشع. وقيل: الضمير عائد على موسى أي: اتخذ موسى.

وقوله: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: قال موسى لفتاه: أمر الحوت وفقده هو الذي كنا نطلب، فإن الرجل الذي جئنا له ثَمَّ.

وفي قول موسى: ﴿نَبْغِ﴾ بضمير الجماعة إشراك لفتاه في المهمة، وإن كان موسى هو الذي يعرف الأمارة ويطلبها.

## رابعا: وصول موسى عليه السلام للخضر:

قال تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: فرجعا يقصان آثارهما لئلا يخطئا طريقهما. والارتداد الرجوع، ومنه «الردة»، وأصل فعله «ارتدد»، ثم أدغم الدال في الدال لتماثلهما. و«قص الأثر» اتباعه وتطلبه في موضع خفائه، كما في قصة أم موسى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: 10]، أي: تتبعي أثره.

ونصب ﴿قَصَصًا﴾ على أنه حال مؤولة عن المشتق، وكأنه قال: «قاصين» أي: متتبعين مقتفيين آثارهما السابقة ذهابا.

وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا﴾ أي موسى والفتى ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هذه إضافة تشريف واختصاص، قال ابن عطية: «و(العبد) هو الخضر في قول الجمهور بمقتضى الأحاديث، وخالف من لا يعتد بقوله فقال: ليس صاحب موسى بالخضر، بل هو عالم آخر، والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله هل كانت إلا بوحي الله؟».

والخضر بكسر الخاء مع سكون الضاد، وبفتح الخاء مع سكون الضاد وكسرها ففيه ثلاث لغات.

وقوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ قرأ الجمهور ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ بتشديد النون، وقرأ أبو عمرو البصري من «لدنا» بضم الدال وتخفيف النون، قال أبو حاتم: هما لغتان.

والمراد بالرحمة في هذه الآية، قيل: النبوة. وقيل: النعمة.

والمراد بقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ قال ابن عباس: أعطاه علما من علم الغيب. [زاد المسير لابن الجوزي: 18 / 64]. قال ابن عطية رحمه الله :«كان علم الخضر معرفة بواطن قد أوحيت إليه، لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها. وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم».

## خامسا: لطائف وفوائد:

- قال القرطبي رحمه الله: «في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم، وذلك كان دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح، وحصلوا على السعي الناجح، فرسخت لهم في العلوم أقدام وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام». [الجامع لأحكام القرآن:6 / 11].

- في الآيات ما يدل على مشروعية اتخاذ الرفيق في السفر، واختياره من الصالحين الموافقين، قال ﷺ :« لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليل وحده». [صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسيرـ باب السير وحده، حديث2997]. وقد اتخذ رسول الله ﷺ أبا بكر رفيقه في هجرته، فكان نعم الرفيق والصاحب. وفيها أيضا مشروعية اتخاذ الخادم للأنس في الطريق، وحمل الزاد وإعداده ومناولته من غير تكليف له بما يشق عليه، وقد وصى النبي ﷺ بالخدم فقال: «إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم». [صحيح البخاري: كتاب الإيمان - باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، حديث 30].

- في الآيات مشروعية اتخاذ الزاد للسفر، وأن ذلك لا ينافي التوكل المشروع، ويؤيد ذلك سبب نزول قوله الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: 196]».

## التقويم

1 - علام يعود الضمير في قوله: ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ وما الأرجح؟

2 - لم حسُن الوقف على كلمة ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ بخلاف ﴿فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾؟

3 - أستخرجُ من الآيات حسن خلق موسى عليه السلام في معاملة خادمه.

4 - أذكر أهمَّ الأحكام الشرعية المستنبطة من آيات الدرس.

## الاستثمار

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ: قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين، هو أعلم منك. قال: يا رب، وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتا في مكتل، فإذا فقدته فهو ثم، فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتا في مكتل، حتى كانا عند الصخرة وضعا رءوسهما وناما، فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سربا، وكان لموسى وفتاه عجبا، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولم يجد موسى مسا من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به، فقال له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فلما انتهيا إلى الصخرة، إذا رجل مسجى بثوب، أو قال تسجى بثوبه، فسلم موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم...».

[صحيح البخاري: كتاب العلم ـ باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، حديث122].

أتأمل الحديث ثم أجيب عن الآتي:

1 - أستخرجُ من الحديث سبب رحلة موسى عليه السلام.

2 - أستخلصُ من الحديث القيم المرتبطة بطلب العلم.

3 - أستخرجُ من الحديث عبارتين تدلان على أن موسى المذكور في الآيات هو موسى بن عمران عليه السلام.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 65 – 72 من سورة الكهف ثم أجيب عما يأتي:

1 - ما القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾؟

2 - ما الحكم المستفاد من خرق الخضر للسفينة؟

3 - أبحث عن مدلولات الكلمات الآتية: رُشْداً - خُبْراً - خَرَقَهَا.

الدرس **19**

# سورة الكهف (الآيات: 65 - 72)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف قواعد الصحبة وآداب التعلم من خلال قصة موسى والخضر.

2 - أن أسلِّم للأحكام الشرعية وإن غاب عني إدراك الحكمة فيها.

3 - أن أقتدي بموسى عليه السلام في الصبر على مشاق طلب العلم، والتأدب مع المعلم.

## تمهيد

بعد أن قصت الآيات المتقدمة خبر عثور موسى -عليه السلام - وغلامه على الخضر بمجمع البحرين، والأمارة التي قادتهم إلى ذلك، جاءت هذه الآيات بعدها لتقص علينا طلب موسى من الخضر صحبته.

فما هدف موسى من صحبة الخضر؟ وما شرط الخضر في الصحبة؟ وما موقف موسى مع هذا الشرط عند أول اختبار؟ وما الآداب التي يمكن استفادتها من هذه الآيات في علاقة المتعلم بالمعلم؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا (65) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا (66) وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا (67) قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا (68) قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا (69) فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا

لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿70﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿71﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿72﴾ » [الكهف: 65 ـ 72].

## الفهم

### الشرح:

ذِكْرًا : تفسيرا وتوضيحا.

إِمْرًا : منكرا وفظيعا.

تُؤَاخِذْنِى: تؤنبني وتعاقبني.

تُرْهِقْنِى: تكلفني وتجشمني.

عُسْرًا : مشقة وضيقا.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ماذا طلب موسى –عليه السلام – من الخضر؟

2 - ما شرط الخضر في الصحبة؟

3 - ما أول اختبار مر به موسى – عليه السلام – عندما صحب الخضر؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

### أولا: تواضع موسى عليه السلام وتأدبه مع الخضر:

قال تعالى: «قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا»، هذه مخاطبة المستنزل المبالغ في حسن الأدب، والمعنى: هل يتفق لك ويخف عليك؟ وهو كقول الحواريين لعيسى – عليه السلام – : «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً» [المائدة: 114] على بعض التأويلات.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وفي هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب». [الجامع لأحكام القرآن: 3 / 240].

وقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ خرج عن الاستفهام إلى الطلب والعرض المؤكد والتحضيض، والتاء فيه تاء الافتعال، أدغمت في التاء الأصلية في «تبع»، وقد جيء بها للمبالغة في الفعل، ولم يقل: «أتْبَعك» بالتخفيف وسكون التاء؛ لأنه لا يدل على كمال الرغبة.

وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، أَثْبَتَ أولا كَوْنَهُ تَبَعًا لَهُ ثُمَّ طَلَبَ ثَانِيًا أَنْ يُعَلِّمَهُ، وَهَذَا مِنْهُ ابْتِدَاءٌ بِالْخِدْمَةِ، ثُمَّ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ طَلَبَ مِنْهُ التَّعْلِيمَ.

وقرأ ابن كثير ونافع والكوفيون ﴿رُشْدًا﴾ بضم الراء وسكون الشين، وقرأ أبو عمرو «رَشَدَا» بفتح الراء والشين. والرُّشْد والرَّشَد لغتان، كالبُخل والبَخل، والعُجْم والعَجَم، والعُرْب والعَرَب. ونصبه على وجهين: أحدهما: أن يكون مفعولا ثانيا لــ ﴿تُعَلِّمَنِ﴾، والثاني: أن يكون حالا من الضمير في قوله: ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.

وقوله: ﴿رُشْدًا﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون الرشد راجعا إلى الخضر، أي: مما علمك الله وأرشدك به. والثاني: أن يرجع ذلك إلى موسى، ويكون المعنى: على أن تعلمني وترشدني مما علمت. والياء في ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ من الزوائد المحذوفة رسما.

وفي صحيح البخاري أن موسى سلم على الخضر وقال له: «أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: فما شأنك؟ قال: جئت لتعلمني مما علمت رشدا. قال: أما يكفيك أن التوراة بيديك؟ وأن الوحي يأتيك؟ ياموسى، إن لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه». [صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن ـ سورة الكهف ـ باب قوله: ﴿فلما بلغا مجمع..﴾، حديث4449].

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿66﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ أي: إنك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمي، لأن الظواهر التي هي علمك لا تعطيه، وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه، ولا طريق الصواب. « وذلك أني أعمل بباطن علم علمنيه الله، ولا علم لك إلا بظاهر من الأمور، فلا تصبر على ما ترى من الأفعال».

[جامع البيان:9 / 283].

## ثانيا: من مظاهر التأدب: لزوم الصبر وتمام الموافقة:

قال تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ أي: سأصبر إن شاء الله، ملزما نفسي طاعتك.

قال القرطبي رحمه الله: «وقد اختلف في الاستثناء، هل هو يشمل قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ أم لا؟ فقيل: يشمله...، وقيل: استثنى في الصبر فصبر، وما استثنى في قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ فاعترض وسأل. قال علماؤنا: إنما كان ذلك منه لأن الصبر أمر مستقبل، ولا يدرى كيف يكون حاله فيه، ونفي المعصية معزوم عليه حاصل في الحال، فالاستثناء فيه ينافي العزم عليه».

[الجامع لأحكام القرآن:6 / 14].

قال أبو حيان رحمه الله: «﴿وَلَآ أَعۡصِي﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على ﴿صَابِرٗا﴾، أي: صابرا وغير عاص، فيكون في موضع نصب، عُطف الفعل على الاسم إذْ كان في معناه، كقوله: ﴿صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ [الملك:20] أي: وقابضات، ويجوز أن يكون معطوفا على ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ فلا محل له من الإعراب، ولا يكون مقيدا بالمشيئة لفظا». [البحر المحيط:7 / 205].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾، أي: لا تسألني عن شيء مما أفعله ﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ أي: حتى أكون أنا الذي أُبيِّنه لك؛ لأن عِلْمه قد غاب عنك. قال أبو حيان رحمه الله: «﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي﴾ أَيْ: إِذَا رَأَيْتَ مِنِّي شَيْئًا خَفِيَ عَلَيْكَ وَجْهُ صِحَّتِهِ، فَأَنْكَرْتَ فِي نَفْسِكَ، فَلَا تُفَاتِحْنِي بِالسُّؤَالِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الْفَاتِحَ عَلَيْكَ، وَهَذَا مِنْ أَدَبِ الْمُتَعَلِّمِ مع العالم المتبوع». [البحر المحيط: 7 / 206].

## ثالثا: الاختبار الأول لصبر موسى والتزامه بالشرط:

قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾، أي: فأعقب تلك المحاورة أنهما انطلقا، والانطلاق: الذهاب والمشي، ووضح صفة هذا الانطلاق الحديث الصحيح في قصة موسى والخضر الذي سبق إيراد بعضه، وفيه: «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة، فكلموهم أن يحملوهما، فعرف الخضر فحملوهما بغير نَوْلٍ - أجرة ومقابل -، فجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر

نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: ياموسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة، فنزعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا - فكانت الأولى من موسى نسيانا -».

[صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، حديث 3220].

وعرفت ﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾ بالألف واللام تعريف الجنس لا لعهد عينها. وقيل: لتعريف الجنس لأنه لم يتقدم عهد في سفينة مخصوصة. فلما ركبا في السفينة عمد الخضر إلى وتد فجعل يضرب في جنب السفينة، حتى قلع به فيما رُوِي لوحين من ألواحها، فذلك هو معنى ﴿خَرَقَهَاۖ﴾».أي: أحدث فيها خرقا وشقا ظاهرا للعيان تقتحمها العين وتزدريها بسببه. فلما رأى ذلك موسى غلبه ظاهر الأمر على الكلام حين رأى فعلا يؤدي إلى غرق جميع من في السفينة، فوقفه بقوله ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾.

وقوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ هذا أول اعتراض من موسى على الخضر، والاستفهام للإنكار، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ بالتاء، وقرأ حمزة والكسائي «ليَغرَق أهلُها» برفع «الأهل»، وإسناد الفعل إليهم، وقرأ أبو رجاء «لتُغَرِّق» بالتاء وفتح الغين وشد الراء.

قال القرطبي رحمه الله: «فاللام على قراءة الجماعة في ﴿لِتُغْرِقَ﴾ لام المآل - العاقبة - مثل: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 7]، وعلى قراءة حمزة لام كي - التعليل -». [الجامع لأحكام القران:6 / 15].

ولم يقل موسى عليه السلام: لتغرقني، لأن الذي غلب عليه في الحال فرط الشفقة عليهم، ومراعاة حقهم.

و«الإمر» الشنيع القبيح من الأمور، كالداهية والإدِّ، وأَصْلُهُ: كُلُّ شَيْءٍ شَدِيد كَثِير، وَمنه يقالُ لِلْقَوْمِ: قَدْ أَمِرُوا، إِذَا كَثُرُوا وَاشْتَدَّ أَمْرُهُمْ، ومنه قول أبي سفيان في حديث هرقل الطويل: «أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة»، وقال مجاهد: «الإمر» المنكر. وقال قتادة: عجبا. والمعنى: لقد ارتكبت شيئا عظيما وأمرا منكرا.

وقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فتنبه موسى لما أتى معه فاعتذر بالنسيان، وذلك أنه نسي العهد الذي كان بينهما، هذا قول الجمهور، وفي كتاب التفسير من صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كانت الأولى من موسى نسيانا»، وفيه عن مجاهد أنه قال: «كانت الأولى نسيانا، والثانية شرطا، والثالثة عمدا. قال ابن عطية : ومعنى هذا القول صحيح، والطبري لم يبينه، ووجهه عندي أن موسى – عليه السلام – إنما رأى العهد في أن يسأل، ولم ير إنكار هذا الفعل الشنيع سؤالا بل رآه واجبا، فلما رأى الخضر قد أخذ العهد على أعم وجوهه فضَمَّنَه السؤال والمعارضة والإنكار وكل اعتراض؛ إذ السؤال أخف من هذه كلها، أخذ معه في باب المعاريض، التي هي مندوحة عن الكذب، فقال له: لا تؤاخذني بما نسيت ولم يقل له: إني نسيت العهد، بل قال لفظا يعطي للمتأول أنه نسي العهد، ويستقيم أيضا تأويله وطلبه، مع أنه لم ينس العهد؛ لأن قوله: لا تؤاخذني بما نسيت كلام جيد طلبه، وليس فيه للعهد ذكر هل نسيه أم لا؟ وفيه تعريض أنه نسي العهد، فجمع في هذا اللفظ بين العذر والصدق، وما يخل بهذا القول إلا أن الذي قاله، وهو أبي بن كعب، روى عن النبي ﷺ أنه قال:«كانت الأولى من موسى نسيانا»».

[صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور ـ باب إذا حنث ناسيا في الأيمان، حديث 6295].

وقوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ معناه: لا تكلفني وتضيق علي،﴿مِنْ أَمْرِي﴾ وَهُوَ اتِّبَاعُكَ ﴿عُسْرًا﴾ أَيْ: شَيْئًا صَعْبًا، بَلْ سَهِّلْ عَلَيَّ فِي مُتَابَعَتِكَ بِتَرْكِ الْمُنَاقَشَةِ، وكأنه قال له: عاملني باليسر لا بالعسر.

## رابعا: لطائف وفوائد:

– قال الإمام ابن العربي رحمه الله في قول الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: «حكم عليه بعادة الخلق في عدم الصبر عما يخرج من الاعتياد، وهو أصل في الحكم بالعادة». [أحكام القران:3 / 240]. يعني: أن في الآية دليلا على إعمال العادة في الأحكام، وهو الذي صاغه الفقهاء في قاعدة متفق عليها بين المذاهب هي قولهم: «العادة محكمة».

– قال الفخر الرازي رحمه الله: «في قول موسى للخضر: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ تواضع شديد وإظهار للتحمل التام والتواضع الشديد، وكل ذلك يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بأقصى الغايات». [مفاتيح الغيب:21 / 484].

- في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾:في هذا دليل على التواضع للعالم، وفي هذه القصة دليل على الحث على الرحلة في طلب العلم وعلى حسن التلطف والاستنزال والأدب في طلب العلم. [البحر المحيط:7 / 205].

## التقويم

**1 -** ما القراءات الواردة في قوله تعالى:﴿لِتُغۡرِقَ﴾؟ وما نوع اللام على كل قراءة؟

**2 -** بم علل الخضر عليه السلام جزمه بعدم قدرة موسى على الصبر؟

**3 -** لم عدل موسى عليه السلام عن قوله: «لتغرقني» أو «لتغرقنا» إلى قوله: ﴿لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾؟ وما القيمة التي تستفاد من ذلك؟

## الاستثمار

قال العلامة الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «وفي تأكيده ذلك بالتعليق على مشيئة الله - استعانة به وحرصا على تقدم التيسير تأدبا مع الله - إيذان بأن الصبر والطاعة من المتعلم الذي له شيء من العلم، أعسرُ من صبر وطاعة غير المتعلم؛ لأن خلو ذهنه من العلم لا يحرجه من مشاهدة الغرائب؛ إذ ليس في ذهنه من المعارف ما يعارض قبولها، فالمتعلم الذي له نصيب من العلم، وجاء طالبا الكمال في علومه، إذا بدا له من علوم أستاذه ما يخالف ما تقرر في علمه، يبادر إلى الاعتراض والمنازعة ...».

[التحرير والتنوير:15 / 373 بتصرف].

أقرأ النص جيدا ثم أجيب عن الآتي:

**1 -** أوضحُ المراد بقوله: «وفي تأكيده ذلك بالتعليق على مشيئة الله ...» وبم يسمي العلماء ذلك؟

**2 -** أبيِّن أثر الصبر في تحقيق الأهداف.

**3 -** أبرز فضل طلب العلم وآثار الاجتهاد في تحصيله.

**4 -** أبحث في كتب آداب العلم عن آداب العالم والمتعلم.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 73 – 77 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما القراءات الواردة في كلمة: ﴿زَاكِيَةً﴾؟

2 - ما الأسلوب البلاغي في قوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾؟

3 - أبحث عن مدلولات الكلمات الآتية: زَاكِيَةً - نُّكْرًا - يَنقَضَّ.

# الدرس 20 سورة الكهف (الآيات: 73 - 77)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف فعلين آخرين للخضر اعترض عليهما موسى عليه السلام.

2 - أن أدرك منطلقات موسى –عليه السلام – في إنكاره على الخضر.

3 - أن أستشعر قيمة حفظ الحياة وإكرام الضيف في الشرائع السماوية.

## تمهيد

بعد أن قصت الآيات السابقة ما كان من الخضر حين صحبه موسى عليه السلام – على شرط التسليم وعدم السؤال – من إنكاره عليه خرقه للسفينة؛ لما يظهر فيه على مقتضى الشريعة من الإفساد، وتذكير الخضر لموسى عليه السلام بشرط الصحبة الذي نسيه موسى فخالفه، جاءت آيات هذا الدرس بذكر فعلين آخرين قام بهما الخضر وكانا مثار إنكار من موسى.

فما الفعلان اللذان فعلهما الخضر؟ ولم اعترض عليه موسى عليه السلام ؟ وما نتيجة تلك المعارضة؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ۝ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا (74) قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا (75) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه

﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (76) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (77)﴾ [الكهف: 73 ـ 77].

## الفهم

### الشرح:

بِغَيْرِ نَفْسٍ: في غير قصاص.

مِن لَّدُنِّي: من قِبلي وجهتي.

اِسْتَطْعَمَآ: طلبا طعام الضيافة.

يُضَيِّفُوهُمَا: يقروهما ويطعموهما.

فَأَقَامَهُۥ: بناه.

أَجْرًا: عوضا ومقابلا.

بِتَأْوِيلِ: ببيان وتفسير وشرح.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما الفعل الثاني الذي اعترض عليه موسى من أفعال الخضر؟

2 - لم اعترض موسى على الخضر في شأن إقامة الجدار؟

3 - بم وعد الخضر موسى قبل فراقه؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

### أولا: الاختبار الثاني لصبر موسى والتزامه بالشرط:

قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾. يعني: سارا من موضع نزولهما من السفينة، فعمد الخضر إلى غلام فقتله.

وقرأ الجمهور:﴿زَاكِيَةً﴾ بالألف. وقرأ الكوفيون وابن عامر:«زكية» بغير ألف وتشديد الياء، فحذف الألف في ﴿زَاكِيَةً﴾ حذف إشارة.

قيل: معناهما واحد، قاله الكسائي. وقال ثعلب: الزكية أبلغ. وقال أبو عمرو: الزاكية التي لم تذنب قط، والزكية التي أذنبت ثم تابت. [الجامع لأحكام القرآن:6 / 15].

وَوَصَفَهَا بِهَذَا الْوَصْفِ لِأَنَّهُ لَمْ يَرَهَا أَذْنَبَتْ، وَقِيلَ: أَوْ لِأَنَّهَا صَغِيرَةٌ لَمْ تَبْلُغِ الْحِنْثَ. [البحر المحيط:7 / 208].

وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: دون أن يكون قتلك لها قصاصا في مقابل نفس، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة:47].

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾، قَرَأَ الْجُمْهُورُ «نُكْراً» بِإِسْكَانِ الْكَافِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو بَكْرٍ وَابْنُ ذَكْوَانَ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَيَعْقُوبُ بضم الْكَافِ حَيْثُ كَانَ مَنْصُوبًا. وَالنُّكْرُ، قِيلَ: أَقَلُّ مِنَ «الْإِمْرِ» الذي تقدم وصف خرق السفينة به؛ لِأَنَّ قَتْلَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَهْوَنُ مِنْ إِغْرَاقِ أَهْلِ السَّفِينَةِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: شَيْئًا أَنْكَرَ مِنَ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الْخَرْقَ يُمْكِنُ سَدُّهُ وَالْقَتْلُ لَا سَبِيلَ إِلَى تَدَارُكِ الْحَيَاةِ مَعَهُ.

وتصرُّفُ الخضر في قتل الغلام من أسرار الغيب التي أعلمه الله بها وأطلعه عليها، وليس من مقام التشريع، ولذلك أنكره موسى عليه السلام جريا على مقتضيات التشريع، فالشرائع السماوية مجمعة على حفظ النفس ورعاية حق الحياة.

## ثانيا: التذكير بشرط التعليم والصحبة:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، جاءت الآية هنا بزيادة ﴿لَّكَ﴾ في خطاب الخضر لموسى، بخلاف الأولى فليست فيها، وهو زجر وإغلاظ ليس في قوله أولا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾.

وقوله: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾، قوله: ﴿بَعْدَهَا﴾ أَيْ: بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَوْ بَعْدَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. وقوله: ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ أَيْ: فَلا تجعلني صاحبك، وأَوْقِعِ الْفِرَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ.

قال ابن العربي رحمه الله: «فهذا شرط، وهو لازم، والمسلمون عند شروطهم، وأحق الشروط أن يوفى به ما التزمه الأنبياء، أو التُزِم للأنبياء، فهذا أصل في القول بالشروط وارتباط الأحكام بها، وهو يستدل به في الأيمان وغيرها». [الجامع لأحكام القرآن:6 / 17].

وفي قوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ قال القرطبي رحمه الله: «أي بلغت مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي». ثم نقل عن ابن العربي رحمه الله قوله: «يدل على قيام الاعتذار بالمرة الواحدة مطلقا، وبقيام الحجة من المرة الثانية بالقطع». [أحكام القرآن:3 / 238].

ويشبه أن تكون هذه القصة أيضا أصلا للآجال في الأحكام التي هي ثلاثة، وأيام التلوم ثلاثة، فتأمله». والتلوم أجل يعطيه القاضي لإحضار البينة.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي: «من لَدُنِّي» مثقلا. وقرأ نافع: ﴿مِن لَّدُنِي﴾ بضم الدال مع تخفيف النون. وروى أبو بكر – شعبة – عن عاصم: «من لَدْني» بفتح اللام مع تسكين الدال. وفي رواية أخرى عن عاصم: «لُدْني» بضم اللام وتسكين الدال. قال الزجاج: وأجودها تشديد النون؛ لأن أصل «لدْن» الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونا، ليسلم سكون النون الأولى، تقول: من لدنْ زيد، فتسكن النون، ثم تضيف إلى نفسك فتقول: من لدنِّي، كما تقول: عن زيد وعنِّي. فأما إسكان دال «لدْني» فإنهم أسكنوها كما تقول في عضُد: عضْد، فيحذفون الضم. [زاد المسير لابن الجوزي:3 / 100].

## ثالثا: الاختبار الثالث، وانتهاء الصحبة:

قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ...﴾، في الكلام حذف يقتضيه المقام، تقديره: فانطلق الخضر وموسى يمشيان لارتياد الخضر أمرا ينفذ فيه ما عنده من علم الله، حتى مرا بقرية فطلبا من أهلها أن يطعموهما فأبوا.

وقوله: ﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ اختلف في تحديد القرية المذكورة، قال ابن عطية بعد أن أورد الأقوال في ذلك: «وهذا كله بحسب الخلاف في أي ناحية من الأرض كانت قصة موسى، والله أعلم بحقيقة ذلك».

﴿أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ أي: أن ينزلوهما أضيافا ويكرموا وفادتهما. قال القرطبي رحمه الله: «والاستطعام: سؤال الطعام، والمراد به هنا سؤال الضيافة، بدليل قوله: «فأبوا أن يضيفوهما»، فاستحق أهل القرية لذلك أن يذموا وينسبوا إلى اللؤم والبخل، كما وصفهم بذلك نبينا عليه الصلاة والسلام. قال قتادة في هذه الآية: شر القرى التي لا تضيف الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقه. ويظهر من ذلك أن الضيافة كانت عليهم واجبة، وأن الخضر وموسى إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال الأنبياء، ومنصب الفضلاء والأولياء». [الجامع لأحكام القرآن:6 / 18].

وقوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾. الجدار والجَدْر بمعنى واحد، والجمع جُدُر، وأصل «الجدْر» الرفع، وأجدرت الشجرة طلعت.

ومعنى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: قرب أن يسقط، وقد فسره في حديث الخضر بقوله: «مائل». ونسبة الإرادة إلى الجدار استعارة تصريحية، فيها تشبيه ميل الجدار وكونه يوشك على السقوط بمن عزم على مباشرة الفعل من العقلاء.

ومعنى ﴿فَأَقَامَهُ﴾ قيل: هدمه ثم قعد يبنيه. وقال سعيد بن جبير: مسحه بيده وأقامه فقام. [الجامع لأحكام القرآن:6 / 19]. وَعَنِ ابْنِ عباس – رضي الله عنهما – قال: دَفَعَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ. قال أبو حيان: «وَهَذَا أَلْيَقُ بِحَالِ الْأَنْبِيَاءِ». [البحر المحيط: 7 / 211].

وقوله: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «لتخِذت» بكسر الخاء، غير أن أبا عمرو كان يدغم الذال، وابن كثير يظهرها. وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: «لاتخذت». وكلهم أدغموا إلا حفصا عن عاصم، فإنه لم يدغم مثل ابن كثير. قال الزجاج: يقال: تخذ يتخذ في معنى: اتخذ يتخذ. وإنما قال له –يعني موسى – هذا، لأنهم لم يضيفوهما». [زاد المسير:3 / 102].

وقال القرطبي رحمه الله: «وهذه صدرت من موسى سؤالا على جهة العرض لا الاعتراض». [الجامع لأحكام القرآن:6 / 23]. وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سُؤَالًا، فَفِي ضِمْنِهِ الْإِنْكَارُ لِفِعْلِهِ،

وفي الآية دليل - كما قال القرطبي رحمه الله - «على صحة جواز الإجارة، وهي سنة الأنبياء والأولياء، على ما يأتي بيانه في سورة « القصص».[الجامع لأحكام القرآن:6 / 23].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، ﴿هَٰذَا﴾ يعني الإنكار علي بحكم ما شرطت على نفسك. وتكريره «بيني» و«بينك» وعدوله عن «بيننا» لمعنى التأكيد. وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله: «وكان قول موسى في السفينة والغلام لله، وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شيء من الدنيا، فكان سبب الفراق». [الجامع لأحكام القرآن: 11 / 33].

وفي ذلك إعلان من الخضر لموسى عليه السلام بانتهاء الصحبة، وبقي عليه فقط الوفاء بوعده له بأن يخبره بتأويل ما اعترض عليه من أفعاله في قوله:﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾. أي: سأخبرك بحكمة ومآل هذه المسائل الثلاث: خَرْقِ السَّفِينَةِ، وَقَتْلِ الْغُلَامِ، وَإِقَامَةِ الْجِدَارِ. وأصل التأويل راجع إلى قولهم: آل الأمر إلى كذا أي: صار إليه، ومعناه: البيان والتفسير والشرح.

وفي الحديث:« وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما». [صحيح البخاري تعليقا: كتاب تفسير القرآن: باب ﴿وإذ قال موسى لفتاه..﴾ حديث 4540].

## رابعا: لطائف وفوائد:

- الْبَيْنُ الصَّلَاحُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْمُصْطَحِبَيْنِ وَنَحْوِهِمَا، وَذَلِكَ مُسْتَعَارٌ فِيهِ مِنَ الظَّرْفِيَّةِ وَمُسْتَعْمَلٌ اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ. وهو من الأضداد، يطلق على الافتراق والاجتماع.

- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فَإِنْ قِيلَ: فَالْقِصَّةُ الثَّانِيَةُ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَمْدًا، فَمَا الْحَامِلُ لَهُ عَلَى خُلْفِ الشَّرْطِ؟ قُلْنَا: لِأَنَّهُ فِي الْأُولَى كَانَ يَتَوَقَّعُ هَلَاكَ أَهْلِ السَّفِينَةِ، فَبَادَرَ لِلْإِنْكَارِ، فَكَانَ مَا كَانَ، وَاعْتَذَرَ بِالنِّسْيَانِ، وَقَدَّرَ اللهُ سَلَامَتَهُمْ. وَفِي الثَّانِيَةِ كَانَ قَتْلُ الْغُلَامِ فِيهَا مُحَقَّقًا، فَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْإِنْكَارِ، فَأَنْكَرَ ذَاكِرًا لِلشَّرْطِ عَامِدًا لِإِخْلَافِهِ، تَقْدِيمًا لِحُكْمِ الشَّرْعِ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يَعْتَذِرْ بِالنِّسْيَانِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُجَرِّبَ نَفْسَهُ فِي الثَّالِثَةِ؛ لِأَنَّهَا الْحَدُّ الْمُبَيِّنُ غَالِبًا لِمَا يَخْفَى مِنَ الْأُمُورِ». [فتح الباري: 11 / 554].

## التقويم

1 - ما الأقوال الواردة في الفرق بين قراءة «زَاكِيَةً» بالألف و«زكية» بدونه؟

2 - ماذا يجب على الإنسان نحو شروطه؟ ومن أين يستفاد ذلك من الآيات؟

3 - ما سرُّ ذكر ﴿لَّكَ﴾ في الآية الثانية دون الأولى؟

4 - أذكرُ أهم الأحكام والقيم المستخلصة من آيات الدرس.

## الاستثمار

قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - «وَقَوْلُ مُوسَى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لَوْمٌ، أَيْ كَانَ فِي مُكْنَتِكَ أَنْ تَجْعَلَ لِنَفْسِكَ أَجْرًا عَلَى إِقَامَةِ الْجِدَارِ تَأْخُذُهُ مِمَّنْ يَمْلِكُهُ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ وَلَا تُقِيمُهُ مَجَّانًا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقُومُوا بِحَقِّ الضِّيَافَةِ، وَنَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَا نُنْفِقُهُ عَلَى أَنْفُسِنَا ... وَهَذَا اللَّوْمُ يَتَضَمَّنُ سُؤَالًا عَنْ سَبَبِ تَرْكِ الْمُشَارَطَةِ عَلَى إِقَامَةِ الْجِدَارِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الْأَجْرِ، وَلَيْسَ هُوَ لَوْمًا عَلَى مُجَرَّدِ إِقَامَتِهِ مَجَّانًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَهُوَ غَيْرُ مَلُومٍ».

[التحرير والتنوير 9 - 16].

أقرأ النص أعلاه ثم أجيب عن الآتي:

1 - أبيِّنُ المراد بما تحته خط في النص.

2 - ما الذي أنكره موسى عليه السلام على الخضر؟

3 - أستدلُّ بحديث نبوي على أن إكرام الضيف من الإيمان، ومن مكارم الأخلاق.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 78 - 81 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما القراءات الواردة في كلمة ﴿يُبْدِلَهُمَا﴾؟

2 - أعرب قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.

3 - أبحث عن مدلولات الكلمات الآتية: أَعِيبَهَا - وَرَآءَهُم - غَصْبًا - رُحْمًا.

الدرس

# 21 سورة الكهف (الآيات: 78 - 81)

## أهداف الدرسِ

1 - أن أتعرف تأويل أفعال الخضر والحكمة منها.

2 - أن أدرك رفق الله بعباده المؤمنين وحفظه لهم.

3 - أن ألتزم أوامر الله تعالى وأجتنب نواهيه لأنال حفظه.

## تمهيد

بعد أن سردت الآيات المتقدمة ثلاثة أفعال قام بها الخضر - عليه السلام - ، واعتراض موسى - عليه السلام - عليه عند كل فعل منها، وما كان من عزم الخضر على إنهاء صحبة موسى عليه السلام له، جاءت هذه الآيات تقص ما ذكره الخضر لموسى من تأويلات لما قام به من أفعال وبيان حكمتها، وأنه لم يفعلها إلا بأمر من الله وتوجيه منه.

فما الحكمة مما فعله الخضر؟ وما مصدر هذه التصرفات؟ وما العبر التي تستفاد من القصة؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (78) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُومِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (79) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (80) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿81﴾﴾ [الكهف: 78 ـ 81].

## الفهم

### الشرح:

وَرَآءَهُم : أمامهم.

طُغْيَانًا : عتوا وبغيا.

زَكَوٰةً : بركة وصلاحا وطهارة.

أَشُدَّهُمَا: أوج قوتهما.

تَأْوِيلُ: تفسير وحقيقة وشرح.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما الحكمة من أفعال الخضر؟

2 - ما الذي يستفاد من قول الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

### أولا: تأويل الخضر لتصرفاته وبيان الحكمة منها:

#### أ – تأويل الفعل الأول:

قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، قال الإمام الطبري: «يَقُولُ: أَمَّا فِعْلِي مَا فَعَلْتُ بِالسَّفِينَةِ، فَلِأَنَّهَا كَانَتْ لِقَوْمٍ مَسَاكِينَ ﴿يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ بِالْخَرْقِ الَّذِي خَرَقْتُهَا». [جامع البيان: 15 / 393].

وقرأ الجمهور ﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ بتخفيف السين، جمع مسكين، وَقرئ في الشاذ «لِمَسَّاكِينَ» بِتَشْدِيدِ السِّينِ، وَاخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ، فَقِيلَ: هُمْ مَلَّاحُو السَّفِينَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَسَّاكَ هُوَ الَّذِي يَمْسِكُ رِجْلَ السَّفِينَةِ، ويجمع على «مَسَّاكِينَ». وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْمَسَّاكِينِ دَبَغَةَ الْمُسُوكِ وَهِيَ الْجُلُودُ، وَاحِدُهَا مَسْكٌ بفتح الميم.

وَالْأَظْهَرُ قِرَاءَةُ: «مَسَاكِينَ» بِالتَّخْفِيفِ جَمْعُ مِسْكِينٍ، وَأَنَّ مَعْنَاهَا: إِنَّ السَّفِينَةَ لِقَوْمٍ ضُعَفَاءَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْفَقَ عَلَيْهِمْ.

واختلف في وجه كونهم مساكين مع ملكهم لسفينة، فقيل: كانت لقوم تجار، ولكنهم من حيث هم مسافرون على قلة وفي لجة بحر، وبحال ضعف عن مدافعة غصب جائر، عبر عنهم بـ «مساكين»؛ إذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها، كما تقول لرجل غني إذا وقع في وهدة وخطب: مسكين. وقيل: كانوا عشرة إخوة أهل عاهات لا قدرة لهم على العمل، وقيل: كان خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون بالسفينة ورثوا هذه السفينة عن أبيهم.

ومعنى ﴿أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أن أشينها بإحداث عيب فيها بخرقها خرقا ظاهرا للعين. وهو من عاب الشيء يعيبه، واسم فاعله عائب، واسم مفعوله معيب، وأصله «معيوب» على وزن مفعول، ومثله في ذلك شانه فهو مشين، وزانه فهو مزين، وكاده فهو مكيد، وهابه فهو مهيب.

وفي قوله ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ حذف تقديره: فأشفقت عليهم من غصب سفينتهم، فأردت أن أعيبها، وهذا هو المعروف في علم المعاني باسم الاختزال، ويسمى مجاز الحذف.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، قال قوم: معناه: أمامهم، وقالوا: «وراء» من الأضداد. وقال ابن جبير، وابن عباس: «وكان أمامهم ملك» يأخذ كل سفينة صالحة، قال ابن عطية رحمه الله: وقوله: «وراءهم» هو عندي على بابه، وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيء مراعى بها الزمن، وذلك أن الحادث المقدم الوجود هو الأمام، وبين اليد لما يأتي بعده في الزمن، والذي يأتي بعدُ هو الوراء وهو ما خلف، وذلك بخلاف ما يظهر ببادئ الرأي، وتأمل هذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد، فهذه الآية معناها: إن هؤلاء وعملهم وسعيهم

يلي بعده في الزمن غصب من الملك، ومن قرأ: «أمامهم» أراد: في المكان، أي أنهم كانوا يسيرون إلى بلده...فتأمل هذه المقالة فإنها مريحة من شغب هذه الألفاظ.

وقوله: ﴿كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ عموم معناه الخصوص في السفن الجياد منها الصحاح المارة به، لأن ذلك الملك لم يكن يغصب من السفن إلا ما هذه صفته. ففيه حذف الصفة، والتقدير: كل سفينة صالحة، وهو مجاز الحذف، ويسمى أيضا مجاز النقص.

وفي صحيح مسلم ذكر وجه الحكمة من خرقه السفينة، وذلك قوله: «فإذا جاء الذي يسخرها وجدها منخرقة فتجاوزها، فأصلحوها بخشبة...» الحديث، [صحيح مسلم: كتاب الفضائل ـ باب من فضائل الخضر عليه السلام، حديث 2380].

وجملة ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ في محل نصب على الحال، ونصب قوله: ﴿غَصْباً﴾ على أنه مفعول مطلق لقوله: ﴿يَأْخُذُ﴾.

**ب – تأويل الفعل الثاني:**

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾، فقوله: ﴿فَخَشِينَا﴾ قيل: هو في جملة الخضر، فهذا متخلص – لا إشكال فيه –، والضمير للخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمهم الأمر وتكلموا فيه، وقيل هو في جهة الله تعالى، وعنه عبر الخضر قال الطبري معناه فعلمنا وقال غيره معناه فكرهنا، والأظهر في توجيه هذا التأويل – وإن كان اللفظ يدافعه – أنها استعارة، أي: على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للأبوين...، وهذا بيّن في الاستعارة، وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله تعالى من «لعل» و«عسى»، فإن جميع ما في هذا كله من ترج، وتوقع، وخوف، وخشية، إنما هو بحسبكم أيها المخاطبون».

وقوله: ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾، أي: يحثهما ويكلفهما بشدة. والمعنى: أن يلقيهما حبه في اتباعه. وقوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾، قرأ الجمهور ﴿يُبَدِّلَهُمَا﴾ بفتح الباء وشد الدال، وقرأ عاصم «يُبْدلهما» بسكون الباء وتخفيف الدال. والضمير في ﴿فَأَرَدْنَا﴾ عائد على الخضر وأصحابه، والمعنى: رغبنا أن يرزق الله الأبوين المؤمنين ولدا خيرا منه

﴿زَكَوٰةً﴾ أي: دينا وصلاحا، وهو منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ «الرُّحْم» الرحمة، وهي: مَصْدَرُ رَحِمْتُهُ رَحْمَةً وَرُحْمًا، وَقَدْ يُقَالُ: رُحْمٌ وَرُحُمٌ مِثْلُ عُسْرٍ وَعُسُرٍ، وَهُلْكٍ وَهُلُكٍ. قيل: المراد يرحمهما، وقيل: يرحمانه. وقرأ ابن عامر «رحُما» بضم الحاء، وقرأ الباقون ﴿رُحْمًا﴾ بسكونها، واختلف عن أبي عمرو البصري. قيل: أبدلهما ربهما به جارية، وقيل: غلاما مسلما.

والحاصل أن تصرف الخضر في قتل الغلام - كما تقدم - كان لحِكم وأسرار غيبية أطلعه الله عليها وأعلمه بعاقبة أمرها، وليس من مقام التشريع، فحفظ النفس ورعاية حق الحياة من أصول المصالح الضرورية التي أجمعت الشرائع السماوية على حفظها.

### ج - تأويل الفعل الثالث:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، كان هَذَانِ الْغُلَامَانِ صَغِيرَينِ، بِقَرِينَةِ وَصْفِهِمَا بِالْيُتْمِ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يُتْمَ بَعْدَ احتلام» [سنن أبي داود: كتاب الوصايا ـ باب ما جاء متى ينقطع اليتم، حديث 2873]، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِمَا اسْمُ الْيُتْمِ بَعْدَ الْبُلُوغِ إِنْ كَانَا يَتِيمَيْنِ عَلَى مَعْنَى الشَّفَقَةِ عَلَيْهِمَا.

وقوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾، اختلف في حقيقة هذا الكنز، فقال عكرمة وقتادة: كان مالا جسيما، وَهُوَ الظَّاهِرُ مِنِ اسْمِ الْكَنْزِ إِذْ هُوَ فِي اللُّغَةِ الْمَالُ الْمَجْمُوعُ، وقال ابن عباس: كان علما في صحف مدفونة، وعنه أيضا أنه كان لوحا من ذهب قد كتب فيه حكم ومواعظ، وروي نحو هذا مما هو في معناه.

قال الإمام الطبري رحمه الله: «وَأَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ عِكْرِمَةُ، لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ الْكَنْزَ اسْمٌ لِمَا يُكْنَزُ مِنْ مَالٍ، وَأَنَّ كُلَّ مَا كُنِزَ فَقَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ كَنْزٍ، فَإِنَّ التَّأْوِيلَ مَصْرُوفٌ إِلَى الْأَغْلَبِ مِنِ اسْتِعْمَالِ الْمُخَاطَبِينَ بِالتَّنْزِيلِ، مَا لَمْ يَأْتِ دَلِيلٌ يَجِبُ مِنْ أَجْلِهِ صَرْفُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لِعِلَلٍ قَدْ بَيَّنَّاهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ». [جامع البيان: 6/ 16].

وهذه قاعدة ذهبية في تفسير ما وقع فيه الخلاف من معاني القرآن، أن الصواب فيها أن تحمل على المعهود في استعمال العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.

وقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قال ابن عباس: حُفِظَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا، وَلَمْ يَذْكَرْ لهُمَا صَلَاحاً.

وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ الخطاب في قوله: ﴿رَبُّكَ﴾ لموسى عليه السلام.

وجاء في أنباء الخضر عليه السلام في أول القصة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وفي الثانية: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا﴾، وفي الثالثة: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا﴾، وإنما انفرد أولا في الإرادة لأنها لفظة عيب، فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم - عليه السلام - في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80]، فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى، وأسند المرض إلى نفسه، إذ هو معنى نقص ومصيبة، وهذا المنزع يطرد في فصاحة القرآن كثيرا...، وإنما قال الخضر في الثانية: ﴿فَأَرَدْنَا﴾ لأنه أمل قد كان رءاه هو وأصحابه الصالحون، وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالدين، وتمنى البديل لهما، وإنما أسند الإرادة في الثالثة إلى الله تعالى لأنها في أمر مستأنف في الزمن طويل غيب من الغيوب، فحسن إفادة هذا الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر قد أراد أيضا ذلك الذي أعلمه الله أنه يريده، فهذا توجيه فصاحة هذه العبارة بحسب فهمنا المقصر، والله أعلم.

و«الأشد» كمال الخلق والعقل، واختلف الناس في قدر ذلك من السن، فقيل: خمس وثلاثون، وقيل: ست وثلاثون، وقيل: أربعون، وقيل: غير هذا. ويقوي أن الأشد بلوغ أربعين سنة قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: 14].

وقوله: ﴿رَحْمَةً﴾ منصوب مفعول لأجله، وقيل: مفعول مطلق بـ ﴿أَرَادَ﴾ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى رَحِمَهُمَا، قاله الزمخشري، وَأَجَازَ أَبُو الْبَقَاءِ العكبري أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الْحَالِ، وضعف أبو حيان هذين الوجهين الأخيرين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ الضمير في ﴿فَعَلْتُهُ﴾ عائد على أفعال الخضر الثلاثة المتقدمة، أَيْ: وَمَا فَعَلْتُ مَا رَأَيْتَ مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ وَقَتْلِ الْغُلَامِ وَإِقَامَةِ الْجِدَارِ عَنِ اجْتِهَادٍ مِنِّي وَرَأْيٍ، وَإِنَّمَا فَعَلْتُهُ بِأَمْرِ اللهِ.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ﴾ أَيْ: هَذَا تَفْسِيرُ مَا ضِقْتَ بِهِ ذَرْعًا، وَلَمْ تَصْبِرْ حَتَّى أُخْبِرَكَ بِهِ ابْتِدَاءً.

وقوله: ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾، ﴿تَسْطِع﴾ مُضَارِعُ اسْطَاعَ بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ، يُقَالُ: مَا أَسْتَطِيعُ وَمَا أَسْطِيعُ وَمَا أَسْتَتِيعُ وَأَسْتِيعُ أَرْبَعُ لُغَاتٍ، وَأَصْلُ اسْطَاعَ اسْتَطَاعَ عَلَى وَزْنِ اسْتَفْعَلَ، فَالْمَحْذُوفُ فِي اسْطَاعَ تَاءُ الِافْتِعَالِ لِوُجُودِ الطَّاءِ الَّتِي هِيَ أَصْلٌ، وَلَا حَاجَةَ تَدْعُو إِلَى أَنَّ الْمَحْذُوفَ هِيَ الطَّاءُ الَّتِي هِيَ فَاءُ الْفِعْلِ، ثُمَّ أَبْدَلُوا مِنْ تَاءِ الِافْتِعَالِ طَاءً.

## ثانيا: لطائف وفوائد:

- قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ «فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الله تعالى يَحْفَظُ الصَّالِحَ فِي نَفْسِهِ وَفِي وَلَدِهِ وَإِنْ بَعُدُوا عَنْهُ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَحْفَظُ الصَّالِحَ فِي سَبْعَةٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَعَلَى هَذَا يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 196]». [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 26].

- في تصرّف الخضر في أمر السفينة من الفقه: العمل بالمصالح، وارتكاب أخف الضررين اتقاء لأشدهما، وهي قاعدة فقهية معتبرة عند تعارض المفاسد، مما يدل على واقعية الإسلام ومقصده في الحد من المفاسد والأضرار رعاية لمصالح الأفراد والمجتمعات، كما يدل تصرفه على أن حفظ حقوق المساكين والفقراء واليتامى من محاسن الأخلاق، وسنن الأنبياء والصالحين.

- قال ابن عطية رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾: «واحتج الناس بهذه الآية في أن المسكين الذي له البُلغة من العيش كالسفينة لهؤلاء، وأنه أصلح حالا من الفقير... وتحرير هذا عندي أنهما لفظان يدلان على ضعف الحال جدا، ومع المسكنة انكشاف وذل وسؤال، ولذلك جعلهما الله صنفين في قسم الصدقات، فأما حديث النبي ﷺ الذي هو: «ليس المسكين بهذا الطواف». [الموطأ: أبواب صفة النبي وشمائله صلى الله عليه وسلم ـ باب ما جاء في المساكين، حديث2694]. فجعل المساكين في اللغة أهل الحاجة الذين قد كشفوا وجوههم، وأما قول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ [البقرة: 272] فجعل الفقراء أهل الحاجة الذين لم يكشفوا وجوههم». [المحرر الوجيز: 3 / 535].

- في قوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ مجاز مرسل، عبر فيه عن الاستيلاء والغصب بالأخذ، وحقيقة الأخذ إنما تكون باليد، وعلاقته الآلية؛ لأن اليد آلة الأخذ.

## التقويم

1 - ما معنى ﴿وَرَآءَهُم﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾؟

2 - إلى من يرجع الضمير في قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾؟

3 - علام يدل قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾؟

4 - « تصرف الخضر في قتل الغلام ليس من مقام التشريع» أحلِّلُ هذه القولة مدعما جوابي بنصوص شرعية.

5 - ألخِّصُ في خطاطة أهم ما تضمنته قصة موسى والخضر من القيم والأحكام.

## الاستثمار

### قصة موسى عليه السلام والخضر: دروس وعبر

أقوم بتعاون مع أصدقائي وتحت إشراف الأستاذ(ة) بتكوين مجموعات لإنجاز ما يأتي:

- إبراز المضامين الإجمالية لقصة موسى عليه السلام والخضر.
- بيان العبر والدروس والقيم المستنبطة من القصة.
- صياغة خلاصة تركيبية لنتائج أعمال المجموعات ومناقشتها.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 82 - 84 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - من المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾؟

2 - من هو ذو القرنين؟ وبم وصفته هذه الآيات؟

3 - ما المراد بالكلمات الآتية: ذِكْراً - سَبَباً - حَمِئَةٍ؟

4 - ما القراءات الواردة في كلمة ﴿فَاتَّبَعَ﴾؟

الدرس **22**

# سورة الكهف ﴿الآيات: 82 - 84﴾

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف قصة ذي القرنين من خلال آيات القرآن الكريم.

2 - أن أدرك عظم ما أعطاه الله لذي القرنين من الملك الواسع.

3 - أن أتمثل قيمة العدل التي كانت أساس ملك ذي القرنين.

## تمهيد

بعد أن انتهت الآيات السابقة من سرد تفاصيل قصة الخضر وموسى عليهما السلام، انتقلت الآيات الآتية إلى سرد قصة أخرى هي قصة ذي القرنين، جوابا عن أحد الأسئلة الثلاثة المتقدمة في أول السورة.

فمن هو ذو القرنين؟ وبم وصفته الآيات؟ وماذا وجد عند وصوله إلى مغرب الشمس؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (82) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (83) فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (84)﴾ [الكهف: 82 ـ 84].

## الفهم

### الشرح:

سَأَتْلُواْ : سأقص وأقرأ.

مَكَّنَّا لَهُۥ: أعطيناه مكانة ومنزلة مكينة.

اتَّبَعَ: سلك.

مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ: مغيبها وجهة غروبها.

حُسْنًا : إحسانا وعفوا.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - بم وصفت الآيات ذا القرنين؟

2 - ما الذي أعطاه الله لذي القرنين؟

3 - ماذا وجد ذو القرنين عند العين الحمئة؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على بداية قصة ذي القرنين كما يأتي:

### أولا: السؤال عن ذي القرنين، وجواب الوحي:

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾، هذه هي الْقِصَّةُ الرَّابِعَةُ مِنَ الْقَصَصِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وهذه الآيات وردت في سياق الجواب لمشركي قريش على إحدى المسائل الثلاث التي تقدم ذكرها: سؤالهم عن الروح كما هو مذكور في آخر سورة الإسراء، وعن قصة أصحاب الكهف كما سردها الله تعالى في أول السورة، ثم عن رجل أتى مشارق الشمس ومغاربها ما قصته؟ فأجابهم الله تعالى في كتابه بما بقي يتلى فيه وتنتفع الأمة بتلاوته وأخذ العبر منه كغيره من قصص القرآن التي قصها الله تعالى على رسوله تأنيسا له وتسلية عما يلقاه من قومه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ هو كقوله في الإسراء: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: 85] ولم يذكر معهما ﴿وَإِذْ﴾ التي جرى التصدير بها في قصص سابقة كما تقدم في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾، وفيها إضمار السائلين؛ لأن الغرض إنما يتعلق بالمسؤول عنه لا بالسائل.

وذكر في سبب تلقيبه بذي القرنين أقوال أحسنها أنه كان ذا ضفيرتين من شعر هما قرناه، فسمي بهما، والضفائر قرون الرأس.

وقوله: ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾، الْخِطَابُ فِي ﴿عَلَيْكُم﴾ لِلسَّائِلِينَ. وقوله: ﴿ذِكْرًا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ قُرْآنًا، وَأَنْ يُرِيدَ حَدِيثًا وَخَبَرًا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ والتمكين له في الأرض أنه ملك الدنيا، ودانت له الملوك كلها. وَقِيلَ تَمْكِينُهُ فِي الْأَرْضِ بِالنُّبُوَّةِ وَإِجْرَاءِ الْمُعْجِزَاتِ. وَقِيلَ: بِكَثْرَةِ أَعْوَانِهِ وَجُنُودِهِ وَالْهَيْبَةِ وَالْوَقَارِ وَقَذْفِ الرُّعْبِ فِي أَعْدَائِهِ وَتَسْهِيلِ السَّيْرِ عَلَيْهِ وَتَعْرِيفِهِ فِجَاجَ الْأَرْضِ وَاسْتِيلَائِهِ عَلَى بَرِّهَا وَبَحْرِهَا.

قال أبو حيان: «وَهَذَا الَّذِي بَلَغَهُ مُلْكُ هَذَا الرَّجُلِ هُوَ نِهَايَةُ الْمَعْمُورِ مِنَ الْأَرْضِ، وَمِثْلُ هَذَا الْمُلْكِ الْبَسِيطِ -الواسع - لَا شَكَّ أَنَّهُ عَلَى خِلَافِ الْعَادَاتِ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَبْقَى ذِكْرُهُ مُخَلَّدًا عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ مُخْتَفِيًا». [البحر المحيط: 7 / 219 ـ 220].

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾، السَّبَبُ مَا يتوصل به إلى الْمَقْصُودِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ قُدْرَةٍ أَوْ آلَةٍ. وَأَصْلُ السَّبَبِ الْحَبْلُ، ثُمَّ تُوُسِّعَ فِيهِ حَتَّى صَارَ يُطْلَقُ عَلَى مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْمَقْصُودِ. وقوله:﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾، معناه: علما في كل أمر، وأقيسة يتوصل بها إلى معرفة الأشياء. وقوله: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم مخصوص، فإن المعنى يقضي بأنه إنما آتاه الله ما قدر له من أسباب التمكين، وليس المراد: آتاه من كل موجود وما يصدق عليه اسم شيء، وإنما هو كقوله عن الريح التي أهلك بها قوم عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: 24] وهي لم تدمر إلا ما أراد الله تعالى.

## ثانيا: بلوغ ذي القرنين مغرب الشمس:

قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾، قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ وَابْنُ عَامِرٍ «فَأَتْبَعَ» في مواضعها الثلاثة في هذه السورة بِقطع الهمزة وتخْفِيفِ التاء ساكنة، وقَرَأَ بَاقِي السَّبْعَة ﴿فَٱتَّبَعَ﴾ بهمزة الوصل وتشْديدِ التاء. قيل: إنَّهُمَا بمَعْنًى وَاحِدٍ. وَقيل: إنَّهُ بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ عِبَارَةٌ عَنِ الْمُجِدِّ الْمُسْرِعِ الْحَثِيثِ الطَّلَبِ، وبِوَصْلِهَا إِنَّمَا يَتَضَمَّنُ الِاقْتِفَاءَ دُونَ هَذِهِ الصِّفَاتِ. والسَّبَبُ في هذه الآية: الطريق المسلوكة؛ لأنها سبب للوصول إلى المقصد.

وقوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ ﴿حَمِئَةٍ﴾ بغير أَلِفٍ بَعْدَ الْحَاءِ وَبِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَ الْمِيمِ الْمَكْسُورَةِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةَ وَالْكِسَائِي وَشُعْبَةُ عَنْ عَاصِمِ «حَامِيَة» بِأَلِفٍ بَعْدَ الْحَاءِ وَيَاءٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَ الْمِيمِ الْمَكْسُورَةِ عَلَى وزن اسْمِ الْفَاعِلِ. ومعنى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى ﴿حَمِئَةٍ﴾: ذَاتُ حَمْأَةٍ وَهِيَ الطِّينُ الْأَسْوَدُ، كقَوْلِهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26] ومعنى القِرَاءَةِ الثانية «حَامِيَة»: أَنَّ العين حَارَّةٌ. وذهب الطبري إلى الجمع بين التفسيرين، بأنه يحتملُ أن تكون العين حارَّة ذات حَمْأة. [جامع البيان: 15 / 377]. وَيحتمل أَنْ تَكُونَ «حَامِيَة» مَهْمُوزَةً الأصل، بِمَعْنَى ذَاتِ حَمْأَةٍ لُيِّنَتْ هَمْزَتها بِإِبْدَالِهَا يَاءً لانكسار مَا قَبْلَهَا، فَتكُونُ الْقِرَاءَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ.

قال أبو حيان رحمه الله: «وَمَعْنَى ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ﴾ أَيْ: فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ، لَا أَنَّ ذَلِكَ حَقِيقَة، كَمَا نُشَاهِدُهَا فِي الْأَرْضِ الْمَلْسَاءِ كَأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ». [البحر المحيط: 7 / 221].

وقوله: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾، الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عِندَهَا﴾ عَائِدٌ إما إِلَى الشَّمْسِ، وَذلك أن الْإِنْسَانَ لَمَّا تَخَيَّلَ أَنَّ الشَّمْسَ تَغْرُبُ هُنَاكَ كَانَ سُكَّانُ هَذَا الْمَوْضِعِ كَأَنَّهُمْ سَكَنُوا بِالْقُرْبِ مِنَ الشَّمْسِ. وَإما أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَى الْعَيْنِ الْحَمِئَةِ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فالمعنى: وجد عِنْدَ تِلْكَ الْعَيْنِ الحمئة قوما من سكان هذه الناحية التي تغرب عليها الشمس وراء الأفق، وتغيب عن الأرض التي هم فيها، وأنها ليست يبابا مقفرة خالية مهجورة من السكان.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ واختلف في ذي القرنين، فقيل: هو نبي، وهذا ضعيف، وقيل: هو ملك – بفتح اللام –، وقيل: هو عبد ملك – بكسر

اللام - صالح نصح لله فأيده، والله أعلم.

وقوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، أي: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ من يستحق ذلك، ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي: بالإقرار على الإيمان واتباع الهدى، فكأنه قيل له: لا تعطهم إلا إحدى خطتين: إما العذاب لمن يستحقه، وإما أن يؤمنوا فتحسن إليهم.

ومحل «أن» مع صلته إما الرفع على الابتداء، أو على الخبر، وإما النصب على المفعولية، والتقدير: إما تعذيبك واقع، أو إما أمرك تعذيبك، أو إما تفعل أو توقع تعذيبك، وهكذا الحال في الاتخاذ الوارد بعده.

## ثالثا: لطائف وفوائد:

- تقدير قوله تعالى: ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: أمرًا ذا حسن، على حذف المضاف أو على طريقة الوصف بالمصدر للمبالغة؛ لأن الوصف بالمصدر أبلغ من الوصف بالصفة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: 1] وقوله: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: 18].

- نقل القرطبي عن الإمام أبي بكر القفال (ت365 هـ) قال: «قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: لَيْسَ الْمُرَادُ أنه–أي ذا القرنين - انتهى إلى الشمس مغربا ومشرقا حتى وصل إلى جرمها ومسها؛ لأنها تدور مَعَ السَّمَاءِ حَوْلَ الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَلْتَصِقَ بِالْأَرْضِ، وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَ فِي عَيْنٍ مِنْ عُيُونِ الْأَرْضِ، بَلْ هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعِمَارَةِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، فَوَجَدَهَا فِي رَأْيِ الْعَيْنِ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ، كَمَا أَنَّا نُشَاهِدُهَا فِي الْأَرْضِ الْمَلْسَاءِ كَأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾، وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهَا تَطْلُعُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ تُمَاسَّهُمْ وَتُلَاصِقَهُمْ، بَلْ أَرَادَ أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ تَطْلُعُ عَلَيْهِمْ». [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 34].

## التقويم

1 - ما معنى قوله تعالى: «وجدها تغرب في عين حمئة»؟

2 - ما معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾؟ وكيف توجهه أصوليا؟

3 - ما القراءات الواردة في قوله: ﴿حَمِئَةٍ﴾؟ وما المعنى على كل قراءة؟

4 - إلى من أسند الله التمكين والإيتاء في قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾؟ وما الدرس المستفاد من ذلك؟

## الاستثمار

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: «...فليس للعبد قدرة إلا بتمكين مولاه، كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين، إذ قال:﴿مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله تعالى إياه في جزء من الأرض، والأرض كلها مدرة (قطعة طين يابس)، بالإضافة إلى أجسام العالم، وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الأرض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة أيضاً من فضل الله تعالى وتمكينه...فلا حول وَلا قوة إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فهو الجبار القاهر والعليم القادر، السموات مطويات بيمينه، والأرض وملكها وما عليها في قبضته، وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته». [إحياء علوم الدين: 4 / 304 ـ 305].

أتأمل النص أعلاه وأجيب عن الأسئلة الآتية:

1 - ما الصفة الإلهية التي يقررها النص؟

2 - ما مناسبة ذكر النص لملك ذي القرنين؟

3 - ما واجب العبد تجاه هذه الصفة الإلهية؟

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 85 – 91 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما القراءات الواردة في قوله: ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾؟ وما إعراب كل قراءة؟

2 - من هم ياجوج وماجوج؟ وبماذا وصفوا في هذه الآيات؟

3 - ما المراد بالكلمات الآتية: نُّكْرًا ـ سِتْرًا ـ ٱلسَّدَّيْنِ ـ خَرْجًا ـ رَدْمًا ؟

الدرس
# 23 سورة الكهف (الآيات: 85 - 91)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف تفاصيل أخرى من قصة ذي القرنين.

2 - أن أدرك أهمية الصلاح والإصلاح في الأرض.

3 - أن أحرص على الالتزام بقيم التعاون ومساعدة الآخرين.

## تمهيد

بعد أن بلغ ذو القرنين مغرب الشمس ووجد عندها قوما كافرين، تحكي الآيات الآتية منهجه الذي وعد بتطبيقه عليهم، لتحكي بعد ذلك خبره حين بلغ مطلع الشمس وحين بلغ بين السدين، وما وجد عندهما.

فبماذا عامل ذو القرنين القوم الذين وجدهم بمغرب الشمس؟ والذين وجدهم بمطلعها وعند السدين؟ وماذا طلبوا منه؟ وبم وعدهم؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا (85) وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا (86) ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا (87) كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (88) ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (89) قالوا يا ذا

ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي اِ۬لْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدّاً ﴿90﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴿91﴾ [الكهف: 85 ـ 91].

## الفهم

### الشرح:

يُرَدُّ: يرجع إلى الله يوم القيامة.

اَلْحُسْنَىٰ: الجنة.

خُبْراً : علما.

يَفْقَهُونَ: يعقلون.

سُدّاً : حاجزا.

مَكَّنِّي: قواني وخولني.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ماذا وجد ذو القرنين عند مطلع الشمس؟ وبين السدين؟

2 - ممن اشتكى القوم الذين بيْن السدين إلى ذي القرنين؟ ولماذا؟

3 - ما الحل الذي عزم ذو القرنين القيام به لحماية من اشتكى إليه؟

## التفسير

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

### أولا: منهج ذي القرنين في القوم:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾، «ظلم» في هذه الآية بمعنى: كفر، ثم توعد الكافرين بتعذيبه إياهم قبل عذاب الله، وعقب لهم بذكر عذاب الله، لأن تعذيب ذي القرنين هو اللاحق

عندهم، المحسوس لهم، الأقرب نكاية. فلما جاء إلى وعد المؤمنين قدم تنعيم الله تعالى الذي هو اللاحق عند المؤمنين، والآخر بإزائه حقير، ثم عقب أخيرا بذكر إحسانه في قول اليسر.

قال أبو حيان رحمه الله: «وَأَتَى بِحَرْفِ التَّنْفِيسِ فِي ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ لِمَا يَتَخَلَّلُ بَيْنَ إِظْهَارِهِ كُفْرَهُ وَبَيْنَ تَعْذِيبِهِ مِنْ دُعَائِهِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَتَأَبِّيهِ عَنْهُ، فَهُوَ لَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْقَتْلِ عَلَى ظُلْمِهِمْ بَلْ يَدْعُوهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ». [البحر المحيط: 7 / 22].

﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾ أَخْبَرَ بِمَا يَلْحَقُهُ آخِرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ تَعْذِيبُ اللَّهِ إِيَّاهُ الْعَذَابَ النُّكُرَ، أي: الشديد العظيم، والمعنى: أن ذَلِكَ هُوَ الْمُعَذَّبُ فِي الدَّارَيْنِ.

واختلف القراء في قراءة ﴿جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ فقرأه عامة القراء برفع ﴿جَزَآءُ﴾ وإضافته إلى ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾، وقرأه حفص وحمزة والكسائي بنصب «جزاء» منونا مقطوعا عن الإضافة. فعلى القراءة الأولى ﴿جَزَآءُ﴾ مبتدأ مضاف له ما بعده، وخبره ﴿لَهُۥ﴾ مقدم عليه، والإضافة بيانية؛ لأن المؤمنين ليس لهم جزاء إلا الحسنى. وعلى القراءة الثانية نصبت «جزاء» على المصدر - مفعولا مطلقا - ، والتقدير: يجازيهم جزاء الجنة. وقال الفراء: ﴿جَزَآءً﴾ منصوب على التمييز. [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 36]. والمعنى: له جزاء الجنة، وأضيفَ الْجَزَاء إِلَى الْجَنَّة على قراءة الإضافة، كَقَوْلِهِ: ﴿حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة: 95]، ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يوسف: 109]، قَالَهُ الْفَرَّاءُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِـ ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، أي: له جزاء الأعمال الصالحة، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْجَزَاءُ مِنْ ذي القرنين، أي: أعطيه وَأَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ.

وقال الطبري رحمه الله في تفسير الآية: «وأما من صدَّق الله منهم ووحَّده، وعمل بطاعته فله عند الله الحسنى، وهي الجنة جزاء، يعني: ثوابا على إيمانه وطاعته ربه». [جامع البيان: 16 / 13].

وقوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾، أي: نأمره بما يسهل عليه من التكاليف. قال أبو حيان: «أَيْ: لَا نَقُولُ لَهُ مَا يَتَكَلَّفُهُ مِمَّا هُوَ شَاقٌّ عَلَيْهِ، أَيْ: قَوْلًا ذَا يُسْرٍ وَسُهُولَةٍ، كَمَا قَالَ: ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ [الإسراء: 28]».[البحر المحيط: 7 / 222].

## ثانيا: بلوغ ذي القرنين مطلع الشمس:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾،أي: سلك ذو القرنين طريقا آخر غير التي سلك نحو مغرب الشمس، بل على عكس ذلك، ﴿إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾، أي: منقطع الأفق من جهة المشرق.

وهذا يدل على إبعاد ذي القرنين في السير بجيشه من أقصى مغرب الشمس إلى أقصى مشرقها.

وقوله: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ الضمير في ﴿وَجَدَهَا﴾ عائد على الشمس، والستر: الحجاب والحاجز، واختلف في المراد به هنا، فقيل: الْبُنْيَانُ، وقيل: الثِّيَابُ، وقيل: الشَّجَرُ، وَقيل: الْجِبَالُ. ومعنى الآية: وجد الشمس تشرق على ناس ليس لهم حِجَاب يَسْتَتِرُونَ به مِن الشمس عِنْدَ طُلُوعِهَا. «قَالَ قَتَادَةُ: لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وبين الشمس ستر، كَانُوا فِي مَكَانٍ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ بِنَاءٌ، وَهُمْ يَكُونُونَ فِي أَسْرَابٍ لَهُمْ، حَتَّى إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ عَنْهُمْ رَجَعُوا إِلَى مَعَايِشِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ. يَعْنِي: لَا يَسْتَتِرُونَ مِنْهَا بِكَهْفِ جَبَلٍ وَلَا بَيْتٍ يُكِنُّهُمْ مِنْهَا». [الجامع لأحكام القرآن: 11 / 54].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الْإِشَارَةُ قيل: إِلَى الْبُلُوغِ، أَيْ: كَمَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ بَلَغَ مَطْلَعَهَا. وَقِيلَ: الإشارة إلى اتباع السبب، أي: اتبع سببا إلى مطلع الشمس كَمَا اتبع سَبَباً إلى مغربها. وقيل: المعنى: كما وجد أُولَئِكَ عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ وَحَكَمَ فِيهِمْ، كَذَلِكَ وَجَدَ هَؤُلَاءِ عِنْدَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَحَكَمَ فِيهِمْ. وَقِيلَ: كَذَلِكَ أَمْرُهُمْ كَمَا قَصَصْنَا عَلَيْكُمْ. وَقِيلَ: تَطْلُعُ طُلُوعَهَا مِثْلَ غُرُوبِهَا. وَقِيلَ :لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً كَذَلِكَ أَيْ: مِثْلَ أُولَئِكَ الَّذِينَ وَجَدَهُمْ فِي مَغْرِبِ الشَّمْسِ...، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ اسْتِئْنَافَ قَوْلٍ، وَلَا يَكُونُ رَاجِعًا عَلَى الطَّائِفَةِ الْأُولَى. [البحر المحيط: 7 / 224]. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ رحمه الله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مَعْنَاهُ: فَعَلَ مَعَهُمْ كَفِعْلِهِ مَعَ الْأَوَّلِينَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ.

وقوله: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾، هو إِخْبَارٌ عَنْ إِحَاطَتِهِ تعالى بِجَمِيعِ مَا لَدَى ذِي الْقَرْنَيْنِ وَمَا تَصَرَّفَ فِيهِ مِنْ أَفْعَالِهِ.

## ثالثا: بلوغ ذي القرنين ما بين السدين:

ثم قال تعالى عن المرحلة الثالثة من سفر ذي القرنين وتمكين الله تعالى له وتمهيده أقطار الأرض من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾، انتصاب كلمة ﴿بَيْنَ﴾ على أنه مفعول به، كما ارتفع بالفاعلية في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام : 95]. لمن قرأ برفع (بينُكمْ).

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ﴿السُّدَّيْنِ﴾ بضم السين، وكذلك ﴿سُدًّا﴾ حيث وقع، وقرأ حفص عن عاصم بفتح ذلك كله في جميع القرآن، وقرأ ابن كثير «السَّدين» بفتح السين، وضم «سُدًّا»

في يس، وقرأ حمزة والكسائي ﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وبعد ذلك (سَدا) بالفتح. قال الكسائي: هما لغتان، وقال ابن الأعرابي: كل ما قابلك فسد ما وراءه فهو سَد وسُد، نحو الضَّعف والضُّعف. وقال أبو عبيدة وأبو عمرو بن العلاء: السُّد إن كان بخلق الله سبحانه فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول أي: هو مما فعله الله وخلقه، وإن كان من عمل العباد فهو بالفتح، حتى يكون محدثا، وروي ذلك عن عكرمة. وقيل: السَّد بالفتح هو الحاجز بينك وبين الشيء، والسُّد بالضم ما كان من غشاوة العين. وقيل: مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ فَبِالضَّمِّ، وَمَا لَا يُرَى فَبِالْفَتْحِ.

و«السدان» فيما ذكر أهل التفسير، جبلان سدا مسالك تلك الناحية من الأرض. والمعنى: أن ذا القرنين سار في البلاد راجعا من مطلع الشمس فوجد في مشرق الأرض قوما وراء جبلين، ولعلهم يسكنون أرضا وراء جبلين متصلين بينهما فرجة عند مكان هؤلاء القوم، ومنها ينفذ إليهم ياجوج وماجوج، فيعيثون في أرضهم فسادا.

وهو قوله: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾، الضمير في ﴿مِن دُونِهِمَا﴾ عائد على الجبلين، ومعنى ﴿مِن دُونِهِمَا﴾: مِنْ وَرَائِهِمَا، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 61]، وقيل: من أمامهما. ومعنى الآية: وجدهم في الناحية التي تلي عمارة الناس في المغرب ﴿قَوْماً﴾ أي: من البشر، وَأَبْعَدَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ جَانٌّ. وقوله ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾، عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس.

وبين قوله: ﴿قَوْماً﴾ وقوله: ﴿قَوْلاً﴾ جناس ناقص.

وقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ «يُفْقِهُونَ» بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْقَافِ، مِنْ أَفْقَهَ إِذَا أَبَانَ، أَيْ: لا يبينون لغَيْرَهُمْ كَلَامًا. وقرأ الْبَاقُونَ ﴿يَفْقَهُونَ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْقَافِ، أَيْ: يَعْلَمُونَ، كقوله: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: 91]. والمعنى على القراءتين: أنهم قوم لَا هُمْ يَفْهَمون من غيرهم، ولا يُفهِمون غيرهم؛ لأنهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم.

وقوله: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، الضمير في ﴿قَالُوا﴾ عائد على القوم، وقرأ جمهور القراء ﴿يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾ بغير همز على وزن «فاعول»، وقرأهما عاصم ويعقوب في رواية يأجوج ومأجوج، فوزن «يأجوج» «يفعول»، ووزن «مأجوج» «مفعول». قَالَ الْأَخْفَشُ: مَنْ هَمَزَ «يأجوج» جَعَلَ الْأَلِفَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ يَقُولُ: «يأجوج» يَفْعُولَ وَ«مأجوج» مَفْعُولَ،

كَأَنَّهُ مِنْ أَجِيجِ النَّارِ. وَمَنْ لَا يَهْمِزُ جَعَلَ الْأَلِفَيْنِ زَائِدَتَيْنِ يَقُولُ: ﴿يَاجُوجَ﴾ مِنْ يَجَجْتُ وَ﴿مَاجُوجَ﴾ مِنْ مَجَجْتَ. وقيل: هما من أصل واحد في الاشتقاق، ومن لم يهمزهما إنما خفف الهمزة بقلبها ألفا. وَهُمَا غَيْرُ مَصْرُوفَيْنِ للعلمية والعجمة.

وهذه شكاية من القوم الذين عند السدين إلى ذي القرنين من ياجوج وماجوج. ويظهر من سياق القصة ووصول ذي القرنين مع جيوشه إلى الجبلين العظيمين أن هؤلاء القوم قد استبانوا قوته، كما استبانوا صلاحه وعدله وعمله على إنصاف الناس بعضهم من بعض، ولذلك رأوا فيه المنقذ لهم مما يعانون من عدوان جيرانهم: ياجوج وماجوج عليهم، وإشاعتهم الفساد في جهتهم؛ ولذلك عرضوا عليه شكواهم فقالوا: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ واختلف المفسرون في إفسادهم الذي وصفوهم به، وأظهر الأقوال كما قال ابن عطية من ذهب إلى أن المراد بإفسادهم الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الإفساد الْمَعْلُومِ مِنَ الْبَشَرِ.

وقوله: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾ استفهام على جهة الأدب، و«الخرج»: المجبى، وَقِيلَ: الْخَرْجُ: الْمَالُ يُخْرَجُ مَرَّةً وَالْخَرَاجُ الْمُجْبَى الْمُتَكَرِّرُ. والمعنى: فعرضوا عليه أن يجمعوا له أموالا يقيم بها أمر السد.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم ﴿خَرْجاً﴾، وقرأ حمزة والكسائي «خراجا».

وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾ ، هذا هو مقابل الجُعل الذي طلبوا أن يدفعوه له.

وقوله: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ هذا تفضل من ذي القرنين على هؤلاء القوم بإقامة ما يحميهم من ياجوج وماجوج دون تقاضي مقابل منهم، تأليفا وعونا لهم، ودفعا للعدوان عليهم، وقياما بالواجب نحو الرعية. والمعنى: مَا بَسَطَ اللَّهُ لِي مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْمُلْكِ خَيْرٌ مِنْ خَرْجِكُم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وبعمل منكم بالأيدي.

وهذا: من تأييد الله تعالى لذي القرنين، فإنه تهدى في هذه المحاورة إلى الأنفع والأنزه، فإنهم لو جمعوا له خرجا ومالا لم يعنه منهم أحد ولوكلوه إلى البنيان، ومعونتهم بالقوة أجمل به، وأمر يطاول مدة العمل، وربما أربى على المخرج.

و«الرَّدْمُ» أَبْلَغُ مِنَ السَّدِّ؛ إِذِ السَّدُّ كُلُّ مَا يُسَدُّ بِهِ، وَالرَّدْمُ وَضْعُ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ مِنْ حِجَارَةٍ أَوْ تُرَابٍ أَوْ نَحْوِهِ حَتَّى يَقُومَ مِنْ ذَلِكَ حِجَابٌ مَنِيعٌ.

**رابعا: لطائف وفوائد:**

- تكررت كلمة ﴿سَبَباً﴾ في هذه القصة أربع مرات، وفي ذلك من الدروس أن ذا القرنين لما آتاه الله الأسباب أخذ بها مع كمال توكله على الله واعترافه بنعمه، فمكن الله له في الأرض، وهذا هو الواجب على المسلمين أفرادا وجماعات أن يأخذوا بأسباب التمكين والنصر والتقدم ليكون لهم التمكين والعزة في الأرض.

- في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ الآية، تَحدُّثٌ من ذي القرنين بنعمة الله عليه بالتمكين له في الملك والتوسيع عليه في الثراء، فلا يحتاج إلى خرج يضربه عليهم، وإنما عليهم أن يسهموا معه في توفير المواد التي تصلح لذلك، وتقديم الخدمات منهم لتنفيذ هذا المشروع الذي رآه محتاجا إلى ما يعرف في عصرنا باسم «التعبئة العامة»، وهي سياسة حكيمة استغل فيها حماستهم في خدمة الصالح العام الذي سوف يعود نفعه على الأجيال. وإنما طلب منهم العون إشراكا لهم في حماية بلدهم، واستعانة بخبرتهم، وتربية لهم على العمل وعدم الاتكال على غيرهم.

## التقويم

1 - ما القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾؟

2 - طلب القوم من ذي القرنين أن يجعل لهم سدا، فوعدهم أن يبني لهم ردما، فلماذا؟ وما الفرق بين السد والردم؟

3 - أستخلصُ قيمتين من قوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، وأبيِّنُ أثرهما في حياة الفرد والمجتمع.

## الاستثمار

قال الإمام ابن العربي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾ الآية: «وكان ملكا ينظر في أمورهم، ويقوم بمصالحهم، فعرضوا عليه جزاء في أن يكف عنهم ما يجدونه من عادية ياجوج وماجوج، وعلى الملك فرضٌ أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم، وسد فرجتهم، وإصلاح ثغرهم من أموالهم التي تفيء عليهم... فإذا فنيت بعد هذا ذخائر الخزانة

وبقيت صفرا فأطلعت الحوادث أمرا، بذلوا أنفسهم قبل أموالهم، فإن لم يغن ذلك فأموالهم تؤخذ منهم على تقدير، وتصرف بأحسن تدبير. فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال قال: لست أحتاج إليه، وإنما أحتاج إليكم فأعينوني بقوة، أي: اخدموا بأنفسكم معي، فإن الأموال عندي والرجال عندكم، ورأى أن الأموال لا تغني دونهم، وأنهم إن أخذوها أجرة، نقص ذلك مما يحتاج إليه، فعاد عليهم بالأخذ، فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى».[أحكام القرآن: 3 / 243].

أقرأ النص بإمعان وأجيب عما يأتي:

1 - أعيدُ صياغة مضامين النص بأسلوبي الخاص.

2 - أذكرُ بعض حقوق الرعية على الراعي.

3 - أبيِّنُ من النص ما يجب على الرعية لحماية أمن أوطانها ودفع العدوان عنها.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 92 – 97 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما هي القراءات الواردة في كلمة ﴿دَكَّآ﴾؟

2 - ما المراد بالكلمات الآتية: زُبَرَ - سَاوَىٰ - قِطۡرٗا - يَظۡهَرُوهُ - دَكَّآ - ٱلصُّورِ - غِطَآءٍ ؟

الدرس 24

# سورة الكهف (الآيات: 94 – 97)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف عمل ذي القرنين لبناء الردم.

2 - أن أدرك أهمية التعاون وتكامل الجهود لتحقيق الأهداف.

3 - أن ألتزم العمل الصالح وأجتنب الإفساد في الأرض.

## تمهيد

قصت علينا الآيات السالفة خبر وصول ذي القرنين في سياحته في الأرض إلى القوم الذين دون السدين، وأنهم شكوا إليه فساد ياجوج وماجوج وعيثهم في أرضهم فسادا، طالبين منه أن يبني لهم ما يحميهم من فسادهم، واستجابة ذي القرنين لطلبهم وعزمه أن يبني لهم ردما، وهو ما جاءت هذه الآيات تصف أطواره، وتحقيقه للغرض منه رحمة من الله تعالى.

فماذا طلب ذو القرنين من القوم لبناء الردم؟ وماذا سيقع للردم في آخر الزمن؟ وما علاقة ذلك بالقيامة؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ اَلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ اَلصَّدَفَيْنِ قَالَ اَنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَاراً قَالَ ءَاتُونِيَ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (92) فَمَا اَسْطَٰعُوٓاْ أَن يَّظْهَرُوهُ وَمَا اَسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْباً (93) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكّاً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً (94) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعْضٖ وَنُفِخَ فِي اِلصُّورِ

فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعاً (95) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضاً (96) اِ۬لذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً (97)﴾ [الكهف: 92 - 97].

## الفهم

### الشرح:

ءَاتُونِي: جيئوني وأعطوني وناولوني.

اَلصَّدَفَيْنِ : جانبا الجبلين المتقابلين.

نَقْباً : خرقا وثقبا.

يَمُوجُ: يضطرب.

ذِكْرِي: كتابي وعبادتي.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - مما ذا بنى ذو القرنين ردم ياجوج وماجوج؟

2 - هل حقق الردم ما بني له؟

3 - ماذا يمثل خروج ياجوج وماجوج؟

## التفسير

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

### أولا: التعاون على بناء الردم:

قال تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ اَلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ اَلصَّدَفَيْنِ قَالَ اَنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَاراً قَالَ ءَاتُونِيَ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾، بعد أن وافق ذو القرنين على بناء ما يحمي به أولئك القوم

من فساد ياجوج وماجوج، واشتراطه أن يعينوه على ذلك بقوة، فسر الإعانة بالقوة فقال لهم: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي ﴿ءَاتُونِي﴾ بمعني: أعطوني قطع الحديد وناولونيها. وقرأ أبو بكر شعبة عن عاصم «ائتوني» بهمزة وصل بعدها همزة ساكنة، التقدير: ائتوني بزبر الحديد، فيكون نصب ﴿زُبَرَ﴾ في هذه القراءة على نزع الخافض.

والزُّبَر جمع زُبْرة، وهي القطعة من الحديد، وأصل الزُّبرة ما اجتمع من الشعر وغيره، ومنه قيل: زبرت الكتاب أي: كتبته وجمعت حروفه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 196].

وهذا كله إنما هو طلب للمناولة، لا استدعاء للعطية والهبة؛ لأنه قال لهم قبلُ: إنه لا يأخذ منهم خرجا.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾، في الكلام اختصار، وأصله: فرصفه وبناه حتى إذا ساوى بين الصدفين، فاختصر ذلك لدلالة الظاهر عليه. ونسب الفعل فيه إلى ذي القرنين، والعادة أن الملوك لا يلون بأنفسهم أمر البناء، وإنما كان ذلك على يد وكيله أو المكلف بالقيام بالعمل، فهو مجاز، أقيم فيه الآمر مقام المأمور.

و«الصدفان»: الجبلان المتقابلان، ولا يقال للواحد: صدف، وإنما يقال: صدفان لاثنين؛ لأن أحدهما يصادف الآخر، أي: يقابله. وقيل: هما جانبا الجبل.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي ﴿ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ بفتح الصاد وشدها وفتح الدال، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو «الصُّدُفين» بضم الصاد والدال، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر -شعبة- بضم الصاد وسكون الدال، وكلها بمعنى واحد، وهما الجبلان المتقابلان، وقيل: «الصدفان» السطحان الأعليان من الجبلين، وهو قريب من الأول.

وقوله: ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ أَيْ: عَلَى زُبَرِ الْحَدِيدِ بِالْأَكْيَارِ. والظاهر أن النفخ في النار لاستعارها كان بمنافيخ وآلات أعدها لذلك، لا بأفواه الرجال.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا﴾ أي: صيره كالنار متأججا، وَالْحَدِيدُ إِذَا أُوقِدَ عَلَيْهِ صَارَ كَالنَّارِ. أي: إن زُبر الحديد صهرت حتى صارت كتلة واحدة كالنار.

وقوله: ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾، قرأ الْجُمْهُورُ: «آتوني» أَيْ: أَعْطُونِي. وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَأَبُو بَكْرٍ - شعبة - بِخِلَافٍ عَنْهُ: «قَالَ ائْتُونِي» أي: هلموا إلي، وجيئوني.

والقطر: أَصْلُهُ مِنَ الْقَطْرِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أُذِيبَ قَطَرَ كَمَا يَقْطُرُ الْمَاءُ. وأكثر المفسرين على أنه النحاس المذاب، وقيل: الرصاص، وقيل: الحديد المذاب، قال تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾ [سبأ: 12]. والتقدير: أَعْطُونِي قِطْرًا أُفْرِغه عَلَيْهِ، عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ. والمعنى: أنه أفرغ عليه مادة سائلة تزيد في متانته وصلابته، حتى لا تعمل فيه المعاول والفؤوس عند إرادة اختراقه.

والمعنى أنه كان يأمر بوضع طاقة من الزبر والحجارة، ثم يوقد عليها حتى تحمى، ثم يؤتى بالنحاس المذاب أو الرصاص أو بالحديد - بحسب الخلاف في القطر - فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة، فإذا التأم واشتد استأنف رصف طاقة أخرى، إلى أن استوى العمل.

و﴿قِطۡرٗا﴾ مَنْصُوبٌ بِـ ﴿أُفۡرِغۡ﴾ عَلَى إِعْمَالِ الثَّانِي، وَمَفْعُولُ ﴿ءَاتُونِيٓ﴾ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ، على قاعدة باب التنازع في النحو.

وقوله: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾، الضمير في قوله: ﴿ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ عائد ليَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، و﴿ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ قراءة الجمهور، وقرأ حمزة «اسطَّاعوا» بتشديد الطاء. و﴿يَظۡهَرُوهُ﴾ معناه: يعلوه بصعود فيه، ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ أي: ولم يقدروا على اختراقه أو إحداث ثقب فيه؛ لبعد عرضه وقوته، ولأَنَّهُ أَمْلَسُ مُسْتَوٍ مَعَ الْجَبَلِ وَالْجَبَلُ عَالٍ لَا يُرَامُ. ولا سبيل إلى الخروج منه سوى هذين: إما ارتقاء وإما نقب.

فتحقق بذلك عجزهم الكامل. وفي هذا بيان نجاح خطة الردم، وأنه حال بين ياجوج وماجوج وبين خروجهم على جيرانهم بالإفساد.

وجمع في الآية بين الفعل «اسطاع» و«استطاع»، فقدم التي لا تاء فيها على التي فيها تاء الافتعال الزائدة على أصل الفعل «طاع يطوع»، على عكس ما تقدم في قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ بالتاء بعد السين، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾، وهما لغتان: اسطاع واستطاع. وقيل: اسطاع هي استطاع بعينه، كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء، فقالوا: اسْطاع.

## ثانيا: تنويه ذي القرنين بالردم:

قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾، القائل هو ذو القرنين، والإشارة بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ إلى الردم والقوة عليه والانتفاع به، وهو اغتباط من ذي القرنين بتحقق غرضه من إقامة الردم وحماية القوم، وتحدث منه بنعمة الله عليه وعلى القوم، مع نسبة الفضل في ذلك إلى ربه عز وجل. كما حكى الله عن سليمان – عليه السلام – حين رأى عرش بلقيس عنده: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: 41].

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾، أي: موعد ربي الذي جعله موقتا بوقته، واختلف في المراد بالوعد هنا، فقيل: يريد به يوم القيامة، وقيل: يريد به وقت خروج يأجوج ومأجوج.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿دَكًّا﴾ منونة، مصدر «دك يدك» إذا هدم ورض، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: يُقَالُ: دَكَكْتُهُ أَيْ: دَقَقْتُهُ. ومعنى ﴿دَكًّا﴾: مدْكُوكًا مُنْبَسِطًا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَا انْبَسَطَ بَعْدَ ارْتِفَاعٍ فَقَدِ انْدَكَّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا﴾ [الفجر:23]. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي «دكاء» بالمد ممنوعا من الصرف، وهذا على التشبيه بالناقة الدكاء، وهي التي لا سنام لها، وفي الكلام حذف تقديره: جعله مثل دكاء. وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ

هَذَا الْحَذْفِ؛ لِأَنَّ السَّدَّ أو الردم مُذَكَّرٌ، فَلَا يُوصَفُ بِـ «دَكَّاءَ» المؤنث. والنصب في ﴿دَكَّآءَ﴾ يحتمل أن يكون مفعولا ثانيا لـ ﴿جَعَلَهُۥ﴾، ويحتمل أن يكون «جعل» بمعنى «خلق» فينصب ﴿دَكَّآءَ﴾ على الحال. وكذلك النصب في قراءة من مد يحتمل الوجهين.

وقوله: ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ يشير إلى اجتياز الردم ودكه، وخروج ياجوج وماجوج من ورائه ليجتاحوا البلاد، تحقيقا لوعد الله فيما نزل به الوحي على رسله. وإليه وردت الإشارة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿95﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: 95].

## ثالثا: من أهوال يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الضمير في ﴿تَرَكْنَا﴾ لله عز وجل، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يحتمل أن يريد به يوم القيامة؛ لأنه قد تقدم ذكره، فالضمير في قولـه: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ على ذلك لجميع الناس، وقيل: تَرَكْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمُوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ. ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم كمال الردم، فالضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ على ذلك ليَاجُوجَ وَمَاجُوجَ، أي: تركنا ياجوج وماجوج يَوْمَ انْفِتَاحِ السَّدِّ يَمُوجُونَ فِي الدُّنْيَا مُخْتَلِطِينَ لِكَثْرَتِهِمْ. ففي معنى الآية على هذا ثلاثة أقوال:

الأول: تركنا الخلائق يوم القيامة يموج بعضهم فى بعض. الثاني: تركنا يأجوج ومأجوج يموج بعضهم فى بعض بعد بناء السد. الثالث: تركنا يأجوج ومأجوج يموجون فى الدنيا بعد فتح السد.

قال القرطبي: «فهذه ثلاثة أقوال، أظهرها أوسطها، وأبعدها أخرها، وحَسُنَ الأول؛ لأنه تقدَّم ذكر القيامة فى تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾». [الجامع لأحكام القرآن: 11 / 65].

ومعنى ﴿يَمُوجُ﴾ يضطرب ويختلط، وهو استعارة استعير فيها «الموج» لهم، تعبيرا عن حيرتهم وتردد بعضهم في بعض كالمولهين من هم وخوف ونحوه، فشبههم بموج البحر الذي يضطرب بعضه في بعض.

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾، الصُّورِ: في قول الجمهور وظاهر الأحاديث الصحاح هو القرن الذي ينفخ فيه للقيامة، وملك الصور هو إسرافيل. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى السمع ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ» [سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ باب ما جاء في شأن الصور، حديث2431].

والمعنى: جمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعا. [جامع البيان: 16/ 29 - 30]

وأكد الفعل بمصدر ﴿جَمْعًا﴾ للتأكيد ورفع المجاز، وهو مفعول مطلق. وفيه جناس الاشتقاق بين الفعل ومصدره.

والمراد بما ذكر أنه يقع يوم القيامة بلا احتمال لغيره، فمن تأول الآية كلها في يوم القيامة اتسق تأويله، ومن تأول الآية إلى قوله: ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ في أمر يأجوج ومأجوج، تأول القول: وتركناهم يموجون دأبا على مر الدهر وتناسل القرون، ثم نُفِخَ فِي الصُّورِ فيجتمعون. والأول أولى.

وقوله ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ أي: أبرزناها لهم لتجمعهم وتحطمهم. وهو كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: 91].

ثم أكد بالمصدر تعبيرا عن شدة الحال. واللام في ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ قيلَ: بِمَعْنَى «عَلَى» كَقَوْلِهِ: فَخَرَّ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ، أي: عرضنا جهنم على الكافرين. وقيل: هو من المَقْلُوب، وَالتَّقْدِيرُ: وَعَرَضْنَا الْكَافِرِينَ عَلَى جَهَنَّمَ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾، كنى بـ ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾ عن البصائر؛ لأن عين الجارحة لا مناسبة بينها وبين «الذِّكْر»، والمعنى: الذين بين عقولهم وقلوبهم وبين ذِكْري والنظر في شرعي حجاب، وعليها غِطاء. أَيْ: هُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ عَيْنُهُ مُغَطَّاةٌ، فَلَا يَنْظُرُ إِلَى دَلَائِلِ الله تعالى؛ لما سبق إلى نفسه وران على قلبه من الباطل.

وجملة ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ فِي مَحل جر نَعْت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ هو مُبَالَغَةً فِي انْتِفَاءِ السَّمْعِ؛ إِذْ نُفِيَتِ الاسْتِطَاعَةُ.

أَيْ: لَا يُطِيقُونَ أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى لِإعراضهم ونفارهم عن دعوة الحق، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ به صمم.

## رابعا: لطائف وفوائد:

– في قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ تسمية ذي القرنين الردم الذي أقامه «رحمة»؛ لأنه سبب في حصولها، فهو مجاز مرسل علاقته السببية، وهو من إطلاق المسبب الذي هو «الرحمة»، وإرادة السبب الذي هو إقامة الردم.

– في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ إرشاد للمؤمن أن ينسب إلى الله عز وجل كل بر وعمل صالح وفقه الله له وهداه إلى فعله، وأن لا ينسبه إلى نفسه اغترارا بما منحه الله من فهم وقوة، فكل ذلك عطاء الله تفضلا ورحمة. قال تعالى في وصف مقالة أهل الإيمان في مثل هذا المقام: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾. [الأعراف: 42].

– قال ابن عاشور رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ ...﴾: وَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُبْتَدَأَ بِفِعْلِ اسْتَطَاعُوا وَيُثَنَّى بِفِعْلِ اسْطَاعُوا لِأَنَّهُ يَثْقُلُ بِالتَّكْرِيرِ، كَمَا وَقَعَ فِي قَوْلِهِ آنِفًا ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الْكَهْف: 78] ثُمَّ قَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الْكَهْف: 82]. وَمِنْ خَصَائِصِ مُخَالَفَةِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ هُنَا إِيثَارُ فِعْلٍ ذِي زِيَادَةٍ فِي الْمَبْنَى بِمَوْقِعٍ فِيهِ زِيَادَةُ الْمَعْنَى لِأَنَّ اسْتِطَاعَةَ نَقْبِ السَّدِّ أَقْوَى مِنِ اسْتِطَاعَةِ تَسَلُّقِهِ، فَهَذَا مِنْ مَوَاضِعِ دَلَالَةِ زِيَادَةِ الْمَبْنَى عَلَى زِيَادَةٍ فِي الْمَعْنَى. [التحرير والتنوير 16، 38]

## التقويم

1 - أستخلصُ من قصة ذي القرنين مظاهر الصلاح والإصلاح.

2 - أذكرُ القراءات في قوله تعالى: ﴿دَكَّاءَ﴾، والمعنى كل قراءة.

3 - أحددُ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾، المضاف إليه الذي ناب عنه تنوين العوض في ﴿يومئذ﴾، مع مرجع الضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ تبعا لذلك.

4 - إلى من نسب ذو القرنين نعمة الردم؟ وما الدرس المستفاد من ذلك؟

## الاستثمار

### قصة ذي القرنين: دروس وعبر

أقوم بتعاون مع أصدقائي وتحت إشراف الأستاذ (ة) بتكوين أربع مجموعات لإنجاز ما يأتي:

- إبراز المضامين الإجمالية لقصة ذي القرنين.
- بيان العبر والدروس والقيم المستنبطة من القصة.
- صياغة خلاصة تركيبية لنتائج أعمال المجموعات ومناقشتها.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 98 - 101 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما نوع الاستفهام في قوله: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؟ وما إعراب ﴿أَوْلِيَآءَ﴾؟

2 - ما وجه تسمية ما أُعد للكافرين في جهنم ﴿نُزُلًا﴾؟

3 - ما المراد بالكلمات الآتية: أَوْلِيَآءَ - نُزُلًا - ضَلَّ - فَحَبِطَتْ؟

الدرس

# 25 سورة الكهف (الآيات: 98 - 101)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف جزاء المستهزئين بآيات الله ورسله.

2 - أن أدرك أهمية الإخلاص في قبول الأعمال.

3 - أن أخلص عملي لله تعالى وأحذر الرياء المحبط للعمل.

## تمهيد

بعد أن انتهت آيات الدرس السابق من سرد قصة ذي القرنين وما فيها من العجائب والعبر، انتقلت الآيات في هذا الدرس إلى الحديث عمن استبدل بالولاء لله ورسله الولاء لمن هو عبد لله داخل تحت سلطانه وقهره، مذكرة بأنهم أخسر العاملين.

فلم كان هؤلاء أخسر العاملين؟ ولماذا أحبط الله عملهم؟ وما عاقبة المستهزئين بكتاب الله ورسله ودينه؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (98) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (99) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (100) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (101)﴾ [الكهف: 98 - 101].

## الفهم

### الشرح:

أَعْتَدْنَا: هيأنا وأعددنا.

ٱلْأَخْسَرِينَ: الأرذلين المفلسين تجارة وبضاعة.

سَعْيُهُمْ: عملهم وجهدهم.

صُنْعًا : عملا وسعيا.

وَزْنًا : قيمة وأجرا وثوابا.

هُزُوًا : مسخرة وتهكما واستخفافا.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما عاقبة الكفر والإشراك بالله تعالى؟

2 - من هم أخسر العاملين؟ ولماذا؟

3 - ما قيمة أعمال الكافرين يوم الجزاء؟ وبماذا استحقوا عذاب جهنم؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

### أولا: جزاء الكافرين:

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ﴾، الاستفهام إنكاري توبيخي، غايته التشنيع على المشركين في اعتقاداتهم الباطلة التي يتولون فيها من يزعمون لهم التصرف مع الله تعالى في الضر والنفع، والعطاء والمنع، فيرجونهم ويخافونهم، ويتقربون إليهم بالنذور والقرابين.

وقرأ الجمهور: ﴿أَفَحَسِبَ﴾ بكسر السين، بمعنى: أظنوا؟وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى:أفَحَسِبُوا أَنْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ. وقرأ ابن كثير ويعقوب بخلف عنهما: «أفحَسْب» بسكون السين وضم الباء، بمعنى: أكافيهم ومنتهى غرضهم؟ وهذا أَبْلَغُ فِي الذَّمِّ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ غَايَةَ مُرَادِهِمْ. وَالْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكْفِيهِمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللهِ كَمَا حَسِبُوا. وفي مصحف ابن مسعود: (أفظن الذين كفروا)، وهي قراءة شاذة تفسيرية تصلح حجة لقراءة الجمهور.

والمراد بقوله: ﴿عِبَادِي﴾ قيل: الشياطين، وقيل: الأصنام لأنها خلقه وملكه.

قال أبو حيان: «وَيَظْهَرُ أَنَّ فِي الْكَلَامِ حَذْفًا، وَالتَّقْدِيرُ: أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أَوْلِياءَ فَيُجْدِي ذَلِكَ، وَيَنْتَفِعُونَ بِذَلِكَ الِاتِّخَاذِ». [البحر المحيط: 7 / 229].

وقوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾، هذا الجواب على الاستفهام، أَيْ: أَعْدَدْنَا وَهيأنا ويَسَّرْنَا. كقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف: 31]. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِخلفٍ عَنْهُ ﴿نُزْلًا﴾ بِسُكُونِ الزَّايِ. وَ«النُّزُلُ»: مَوْضِعُ النُّزُولِ، وَهو أَيْضًا مَا يُقَدَّمُ لِلضَّيْفِ وَيُهَيَّأُ لَهُ، وَلِلْقَادِمِ مِنَ الطَّعَامِ، فهو بمعنى قرى وضيافة. وَالنُّزُلُ هُنَا يَحْتَمِلُ التَّفْسِيرَيْنِ. وفيه استعارة تهكمية. وَقِيلَ: جَمْعُ نَازِلٍ، وَنَصْبُهُ عَلَى الْحَالِ نَحْوُ: شَارِفٍ وَشُرُفٍ.

## ثانيا: صفات الأخسرين أعمالا:

قال تعالى: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾، الخطاب للنبي ﷺ. أي: قل يا محمد للكافرين على جهة التوبيخ: هل نخبركم بالذين خسروا أعمالهم وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم مع ذلك يظنون أنهم يحسنون فيما يصنعونه، فإذا طلبوا ذلك منك فقل لهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ الآية.

وهذه صفة المخاطبين من كفار العرب المكذبين بالبعث بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾.

وقوله: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ﴾ اسم تفضيل من خسر. ونصب ﴿أَعْمَالًا﴾ عَلَى التَّمْيِيزِ المحول، والتقدير: الذين خسروا أعمالهم. وجمع الأعمال لِأَنَّ أَعْمَالَ المشركين فِي الضَّلَالِ مُخْتَلِفَةٌ، وَلَيْسُوا مُشْتَرِكِينَ في عمل واحد.

وقوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ضل: بمعنى بطل وذهب وخاب. والسعي: العمل. أَيْ: عَمِلُوا أَعْمَالًا بَاطِلَةً عَلَى غَيْرِ شَرِيعَةٍ مَشْرُوعَةٍ مَرْضِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ. ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، الصُّنْعُ وَالصَّنْعَةُ وَالصَّنِيعُ وَاحِدٌ. أي: يعتقدون أنهم على شيء وأن أعمالهم حسنة تنفعهم عند الله.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿يَحْسِبُونَ﴾ بكسر السين، مضارع «حسب» بكسرها، وقرأ باقي السبعة «يحسَبون» بفتحها على القياس في «فعِل» المكسور العين، إذ في مضارعها وجهان: كسر العين وفتحها، والفتح أكثر وأقيس.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ أي: أولئك الذين كذبوا بالوحي ومعجزات الأنبياء، وبيوم البعث والنشور.

وقوله: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: فبطلت أعمالهم وفسدت وذهبت سدى، يريد ما كان لهم من عمل خير. وقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾، قَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿فَلَا نُقِيمُ﴾ بِالنُّونِ «وَزْناً بِالنَّصْبِ» على المفعولية، وَقرأ مُجَاهِدٌ وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ «فَلَا يُقِيمُ» بِالْيَـاءِ لمناسبة قَوْلِـهِ: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، وَقرأ عُبَيْد بن عمير أَيْضًا «يَقُومُ» بِفَتْحِ الْيَاءِ، كَأَنَّهُ جَعَلَ «قَامَ» مُتَعَدِّيًا. وَعَنْ مُجَاهِدٍ وَابْنِ مُحَيْصِنٍ وَيَعْقُوبَ بِخلفٍ عَنْهُمْ «فَلَا يَقُومُ» مُضَارِعُ قَامَ «وَزْنٌ» مَرْفُوعٌ بِهِ. وكلها قراءات شاذة خلا قراءة الجمهور.

ويحتمل قَوْلُهُ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ وزن الأعمال من عقائد الإيمان، ودلت الأدلة الصحيحة أن أعمال الكافر توزن كأعمال المؤمن؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾

[الأنبياء: 47]، ولذلك حمل بعضهم الآية على حذف الصفة، فقال التقدير: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا نافعا، وقيل: إِنَّهُمْ لَا حَسَنَةَ لَهُمْ تُوزَنُ فِي مَوَازِينِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ. وَحمله بعضهم على الْمَجَاز كَأَنَّهُ قَالَ: فَلَا قَدْرَ لَهُمْ عِنْدَنَا يَوْمَئِذٍ.

قال الطبري رحمه الله: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَلَا نَجْعَلُ لَهُمْ ثِقَلًا، وَإِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ لَا تَثْقُلُ بِهِمْ مَوَازِينُهُمْ؛ لِأَنَّ الْمَوَازِينَ إِنَّمَا تَثْقُلُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَيْسَ لِهَؤُلَاءِ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتَثْقُلَ بِهِ مَوَازِينُهُمْ» [جامع البيان: 16 / 35].

## ثالثا: أسباب بطلان العمل:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾، الإشارة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى إحباط أعمالهم وعدم إقامة الوزن لهم أو لأعمالهم. ويجوز الإشارة ب ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الجمع فتكون بمعنى «أولئك». و﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، و﴿جَهَنَّمُ﴾ بدل. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مُبْتَدَأً و﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ مبتدأ ثان و﴿جَهَنَّمُ﴾ خَبَرُهُ. وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ الْأَوَّلِ، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، أَيْ: جَزَاؤُهُ. والباء في «بما» سببية، و«ما» مصدرية، والتقدير: بسبب كفرهم.

والآيات تحتمل أن يراد بها آيات الوحي، وتحتمل معجزات الأنبياء. والهزُؤ السخرية والتهكم والاستخفاف والهزل. وتقدم مثلها في السورة، وما فيه من قراءات.

وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ هو نظير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية: 8].

## رابعا: لطائف وفوائد:

- بين قوله: ﴿يَحْسَبُونَ﴾ وقوله: ﴿يُحْسِنُونَ﴾ ما يسمى جناس التَّصْحِيفِ أو الجناس المصحف، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ النَّقْطُ فَرْقًا بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ، فالفرق بين الكلمتين هنا اختلاف النقط بين النون والباء. وهو من المحسنات اللفظية.

- روى البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وقال: اقْرَءُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾». [صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن ـ سورة الكهف ـ باب ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه...﴾، حديث 4452].

- دلت آيات الدرس على التحذير من الاستهزاء بآيات الله ورسله عليهم السلام؛ لأنه من أعظم المهلكات، وأسباب الخسران في الدنيا والآخرة، قال تعالى عن قول المنافقين في غزوة تبوك: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿65﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: 65 66]. فمن حقوق الله على عباده تعظيم كلامه عز وجل وتوقير أنبيائه ورسله عليهم السلام.

- قال ابن العربي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾: «وَيَرْجِعُونَ فِي الْجُمْلَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: الصِّنْفُ الْأَوَّلُ: الْكُفَّارُ بِاللهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالتَّكْلِيفِ...، الصِّنْفُ الثَّانِي: أَهْلُ التَّأْوِيلِ الْفَاسِدِ...الصِّنْفُ الثَّالِثُ: الَّذِينَ أَفْسَدُوا أَعْمَالَهُمْ بِالرِّيَاءِ وَضَيَّعُوا أَحْوَالَهُمْ بِالْإِعْجَابِ...وَيَلْحَقُ بِهَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ كَثِيرٌ، وَهُم الَّذِينَ أَفْنَوْا زَمَانَهُمْ النَّفِيسَ فِي طَلَبِ الْخَسِيسِ». [أحكام القرآن: 3 / 244].

## التقويم

1 - ما المراد بقوله تعالى: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾؟

2 - كيف تجمع بين قوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ وما ثبت من وزن الأعمال؟

3 - ما المحسِّنُ البديعي بين قوله: ﴿يَحْسَبُونَ﴾ وقوله: ﴿يُحْسِنُونَ﴾؟ واذكر نظيراً له من القرآن.

4 - ما سبب إحباط الله أعمال المذكورين في الآيات؟ وما العبر المستفادة من ذلك؟

## الاستثمار

عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت :« قلت: يا رسول الله، ابن جُدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

[صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، حديث 214].

1 - من هو عبد الله بن جدعان؟ وماذا كان يعمل في الجاهلية؟

2 - بم علل الحديث عدم انتفاعه بعمله؟ استدل على الجواب بآيات مناسبة.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 102 – 105 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - أذكر ما ورد في فضل هذه الآيات من ختام سورة الكهف.

2 - ما المقصود بجنات الفردوس؟

3 - أشرح الكلمات الآتية حسب السياق : حِوَلًا - لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي - لَنَفِدَ - مَدَدًا .

الدرس **26** سورة الكهف (الآيات: 102 - 105)

## أهداف الدرس

1 - أن أتعرف الجزاء الذي أعده الله لأوليائه المؤمنين.

2 - أن أستعد للقاء الله بالإيمان الصادق والعمل الصالح.

3 - أن أتمثل سعة كلمات الله من خلال المثال الذي ضربه الله في الآيات.

## تمهيد

انتقلت الآيات في ختام هذه السورة للحديث عما أعد الله لأوليائه المؤمنين، لتختم السورة بأمرين موجهين للنبي ﷺ ليبلغ للناس فحواهما، الأول يتعلق بكلمات الله، والثاني بالرسول ﷺ ومهمته. وتختم برسم سبيل النجاة لمن يريد لقاء الله والفوز برضوانه.

فما الجزاء الذي أعده الله للمؤمنين؟ وما صفاته؟ وما هي صفة كلمات الله تعالى؟

وبم يستعد المؤمن للقاء ربه؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (102) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (103) قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا (104) قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا (105)﴾ [الكهف: 102 - 105].

## الفهم

### الشرح:

ٱلۡفِرۡدَوۡسِ: وسط الجنة وأفضلها وأعلاها.

لَا يَبۡغُونَ: لا يحبون ولا يرضون.

مَدَدٗا : حبرا للكتابة به.

يَرۡجُواْ : يومن ويوقن.

### استخلاص مضامين الآيات:

1 - ماذا أعد الله للمؤمنين يوم لقائه؟

2 - ما المثال الذي قدمه الله لبيان سعة كلماته؟

3 - ما الذي ينفع الإنسان يوم لقاء ربه؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

### أولا: جزاء المؤمنين العاملين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا (102) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾. وورد في فضل هذه الآيات من ختام سورة الكهف ما رواه مسلم: « من حفظ عشر آيات من آخر سورة الكهف عُصم من الدجال » [رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث 809] وفي سنن أبي داود: «مَنْ حَفِظَ عشر آيات مِنْ خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْكَهْفِ عصم من فتنة الدجال». [سنن أبي داود: كتاب الملاحم ـ باب خروج الدجال، حديث 3767].

وقد ذكر الله تعالى هنا جزاء المؤمنين المصدقين بآيات الله ورسله، العاملين بهداه ووحيه، في مقابل ما تقدم من ذكره لجزاء الأخسرين أعمالا الكافرين المستهزئين، ليظهر التباين، وفي هذا بعث النفوس على اتباع الحسن القويم. وتلك طريقة القرآن الكريم في تثنية القصص والعبر بأحوال

هؤلاء وهؤلاء على سبيل المقابلة بينها؛ ولذلك -كما قيل - سماه الله «مثاني»، في قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: 22]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87].

قال الطبري رحمه الله في تأويل الآية: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَرُّوا بِتَوْحِيدِ اللهِ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ كُتُبِهِ، وَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ، كَانَتْ لَهُمْ بَسَاتِينُ الْفِرْدَوْسِ، وَالْفِرْدَوْسُ: مُعْظَمُ الْجَنَّةِ». [جامع البيان: 16 / 37].

وورد في تفسير الفردوس وصفاتها أحاديث صحيحة، منها ما رواه الترمذي عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنّ النّبِيّ ﷺ قال :« والْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا».[سن الترمذي: كتاب التفسير ـ باب: ومن سورة المومنون، حديث 3174]. وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إنّ فِي الْجَنّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنّهُ أَوْسَطُ الْجَنّةِ وَأَعْلَى الْجَنّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجّرُ أَنْهَارُ الْجَنّةِ». [صحيح البخاري: كتاب التوحيد ـ باب وكان عرشه على الماء..، حديث 6987]. وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: « جنات الفردوس أربع: ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَثِنْتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حِلْيَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنات عدن». [الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني: باب سوق الجنة وصفة نسائها وغناء الحور العين فيها، 24 / 192].

وقيل: الفردوس سرة الجنة. وعَنْ كَعْبٍ قَالَ: لَيْسَ فِي الْجِنَانِ جَنَّةٌ أَعْلَى مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، وَفِيهَا الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَقِيلَ الفردوس: الْبُسْتَانُ بِالرُّومِيَّةِ. [جامع البيان: 15 / 431 ـ 434]. وقيل: بالسريانية. وقال الْفَرَّاءُ: هُوَ عَرَبِيٌّ. ويجمع على فراديس.

وقوله: ﴿نُزُلًا﴾ تقدم معناها في الدرس السابق. وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ أي: دائمين فيها لا يريدون عنها تحولا أو انتقالا، ولا يختارون عليها غيرها أو يحبون سواها. و«الحول» مصدر حال يحول، مثل: صغر صغرا وكبر كبرا وعاج عوجا. قال أبو حيان: «يَعْنِي لَا مَزِيدَ عَلَيْهَا حَتَّى تُنَازِعَهُمْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى أَجْمَعَ لِأَغْرَاضِهِمْ وَأَمَانِيهِمْ، وَهَذِهِ غَايَةُ الْوَصْفِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي

الدُّنْيَا فِي أَيِّ نَعِيمٍ كَانَ فَهُوَ طَامِحُ الطَّرْفِ إِلَى أَرْفَعَ مِنْهُ».[البحر المحيط: 7 / 232 ـ 233].

## ثانيا: سعة كلمات الله وعدم نفادها:

قال تعالى ضاربا المثل لكلماته الخالدة التي لا حصر لها ولا نهاية تنتهي عندها: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾، الخطاب للنبي ﷺ، ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أَيْ: مَاءُ الْبَحْرِ، ﴿مَدَدًا﴾ هُوَ مَا تمَدُّ بِهِ الدَّوَاةُ مِنَ الْحِبْرِ. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: 26]. وقوله: ﴿لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ أي: معد لكتابتها. وَكلمات الله هي عِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ، لو كُتِبَ بِذَلِكَ الْمِدَادِ ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ «نفد» بدال مهملة بمعنى نضب ماؤه وجف وانتهى وانقضى.

والآية معلمة باتساع معلومات الله عز وجل، وأنها غير متناهية، وأن الوقوف دونها ليس ببدع ولا نكير، فعبر عن هذا بتمثيل ما يستكثرونه، وهو قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾، و«الكلمات»: هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، ومعلومات الله سبحانه لا تتناهى، والْبَحْرُ متناه ضرورة.

وقرَاءة الْجُمْهُور: ﴿مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾، وَقَرَأَ ابن مسعود وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالْأَعْمَشُ وَمُجَاهِدٌ وَالْأَعْرَجُ وَالْحَسَنُ «مَدَدا لكلمات ربي» بفتح الميم والدال بغير ألف.

وقوله: ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿أَن يَنفَدَ﴾ بالياء، أي: الكلام، وقرأ باقي السبعة ﴿تَنفَدَ﴾ بالتاء، أي: الكلمات، والمعنى واحد.

وقوله: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ أي: ولو أضفنا إليه وزدنا عليه بحرا مثله.

وقَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالدَّالِ بِغَيْرِ أَلِفٍ، وَقَرأ الْأَعْرَجُ بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْأَعْمَشُ بِخِلَافٍ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ وَالْحَسَنُ فِي رِوَايَةٍ، وَأَبُو عَمْرٍو فِي رِوَايَةٍ وَحَفْصٌ فِي رِوَايَةٍ «بمثله مِدَاداً» بِأَلِفٍ بَيْنَ الدَّالَيْنِ وَكَسْرِ الْمِيمِ. وانتصب ﴿مَدَدًا﴾ على التمييز.

والمعنى: لو كان البحر مِداداً تكتب به معلومات الله عز وجل، لنفد قبل أن يستوفيها، وهو جواب منه تعالى للمعترضين على نبيه بأنه لو كان نبيا للأمم جميعا ما خفي عنه الجواب عن

حقيقة الروح. أي: لَيْسَ بِبِدْعٍ أَنْ أَجْهَلَ شَيْئًا مِنْ مَعْلُومَاتِهِ، ومنها الروح. وإِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لَمْ أَعْلَمْ إِلَّا مَا أُوحِيَ إِلَيَّ بِهِ وَأُعْلِمْتُ.

## ثالثا: توحيد الله والعمل الصالح:

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أمر الله نبيه أن يذكر خصومه من المشركين ببشريته، وأن يقول: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: إنَّما أَنَا بَشَرٌ ينتهي علمي إلى حيث يُوحى إِلَيَّ، وأهم ما يوحى إلي ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، وهذا كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: 45] وخص هذا الجانب مما أوحي إليه؛ لأن كفرهم كان بعبادتهم للأصنام مع الله تعالى.

ثم أخذ في الموعظة العامة للخلق ووصيتهم بما هو مناط نجاتهم يوم لقاء ربهم فقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ فدعاهم إلى توحيده بالعبادة وإفراده بها دون إشراك أحد معه فيها.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: نَزَلَتْ فِي جُنْدُبِ بْنِ زُهَيْرٍ الْعَامِرِيِّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلهِ تَعَالَى، وَأُرِيدُ به وَجْهَ اللهِ تَعَالَى، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ سَرَّنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَلَا يَقْبَلُ مَا شُورِكَ فِيهِ» فَنَزَلَتِ الْآيَةُ. [الجامع لأحكام القرآن: 11 / 69].

ومعنى ﴿يَرْجُوا﴾ يؤمن ويوقن، وقيل: يطمع، و﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ عَلَى تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ أَيْ: حُسْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وقيل: يخاف، والتقدير: يخاف سوء لقاء ربه.

وعبر بالرجاء على جهة الإطماع وبسط النفوس إلى إحسان الله تعالى، أي: فَمَنْ كانَ يَرْجُو النعيم المؤبد من ربه فَلْيَعْمَلْ عملا صالحا.

قال الماوردي رحمه الله في معنى ﴿يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: «فيه ثلاثة أوجه: أحدها: يعني: فمن كان يخاف لقاء ربه، قاله مقاتل وقطرب. الثاني: من كان يأمل لقاء ربه. الثالث: من كان يصدّق بلقاء ربه، قاله الكلبي. وفي لقاء ربه وجهان: أحدهما: معناه لقاء ثواب ربه، قاله سعيد بن جبير. الثاني: من كان يرجو لقاء ربه إقرارا منه بالبعث إليه والوقوف بين يديه». [تفسير الماوردي ﴿النكت والعيون﴾: 3 / 350].

وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، الباء في قوله: ﴿بِعِبَادَةِ﴾ بمعنى «في» الظرفية، وهي دعوة إلى أن يكون عمل المؤمن خالصا على سنة رسول الله ﷺ، وهذان هما ركنا العمل المتقبل عند الله تعالى: الإخلاص فيه لله تعالى، وموافقته للسنة. فهما إخلاصان: إخلاص في النية لله، وإخلاص في المتابعة لرسول الله ﷺ.

وروي عن سفيان الثوري وابن جبير ومجاهد: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾: لَا يُرَائِي. قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ رحمه الله: «وَقَالَ جَمِيعُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ إِنَّهُ لَا يُرَائِي بِعَمَلِهِ أَحَدًا». [تفسير الماوردي: (النكت والعيون): 3 / 350].

وروى الحاكم في مستدركه بسنده إلى طاوس بن كيسان قال: « قال رجل: يانبي الله، إني أقف المواقف أبتغي وجه الله، وأحب أن يرى موطني، قال: فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ». [المستدرك على الصحيحين: كتاب الرقاق ـ باب من تشاعبت به الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك، حديث 8009].

## رابعا: لطائف وفوائد:

– بيْن قوله تعالى: ﴿مِدَادًا﴾ وقوله: ﴿مَدَدًا﴾ جناس، وهو المسمى بجناس الاشتقاق، وهو أن يكون للفظين أصل واحد في اللغة، وإن اختلفا في الحركات.

– يدل قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا...﴾ الآية، أن لكلمات الله تعالى أسرارا لا تحيط بها العبارات، ولا تحدها الأقلام، ولا تنفد عطاءاتها، فكلما أقبل عليها المؤمن انكشفت له عجائب يتزود بها في تقوية صلته بالله وتزكية نفسه.

– أرشدت آيات الدرس إلى قيمتيْ التوحيد والإخلاص في العمل، وعدم الوقوع في الشرك الجليّ، كما فعل الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، والشرك الخفيّ، كما فعل أهل الرياء ممن يطلبون بعملهم الدنيا، وهو الشرك الأصغر، كما صح فى الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله – عز وجل – لأصحاب ذلك يوم القيامة إذا جازى الناس: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!». [مسند الإمام أحمد: 5 / 428 ـ 429].

## التقويم

1 - ما معنى قوله تعالى: «فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ»؟
2 - بماذا ضرب الله المثل لسعة كلماته؟ وما سبب ذلك؟
3 - بم يستعد المؤمن للقاء ربه؟

## الاستثمار

ورد في سورة الكهف شروط قبول العمل عند الله تعالى في الدنيا والآخرة

أستقرئ الآيات الدالة على ذلك ثم أبين ما يأتي :

1 - شروط قبول العمل عند الله تعالى؟
2 - أسباب خسران العمل؟
3 - ثمرات إحسان العمل وإتقانه.

## الإعداد القبلي

أراجع دروسي السابقة، وأتعاون مع أصدقائي في إنجاز أنشطة التثبيت والدعم.

# أنشطة التثبيت والدعم

## أهداف الأنشطة

1 - أن أثبت معارفي وأستثمر مكتسباتي في مدارسة السورة.

2 - أن أنمي مهارات التحليل والاستنتاج والتركيب والاستثمار.

3 - أن أعي القيم المستفادة من السورة وأدرك ثمراتها في الحياة.

## النـشــاط الأول

**أولا:** تناولت سورة الكهف قضايا عديدة، منها: الدعوة إلى توحيد الله، والإيمان باليوم الآخر، وإثبات رسالة محمد ﷺ ، كما تناولت بتفصيل قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى والعبد الصالح، وقصة ذي القرنين، كما سعت إلى ترسيخ مجموعة من أمهات الأخلاق الفاضلة، والقيم النبيلة، معتمدة في ذلك على مجموعة من الأساليب التربوية الهادفة.

1 - أُعِدُّ خطاطة ناظمة للقضايا الكبرى التي تناولتها سورة الكهف.

2 - أبيِّنُ العلاقة الرابطة بين القصص التي عالجتها سورة الكهف.

3 - أستجمعُ في خطاطة أهمَّ القيم التي اكتسبتها من دراسة السورة .

4 - أحدِّدُ - من خلال قصة صاحب الجنتين - الحقوقَ التي تم التفريط فيها، وأبيِّنُ أسباب ذلك.

5 - شكَّلَت العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح لعمارة الأرض وأداء مختلف الحقوق قضايا مركزية في سورة الكهف، أبرزُ مظاهر ذلك وثمراته.

6 - بَرَزَتْ في قصة ذي القرنين قيمُ التعاون والمشاركة وتحمل المسؤولية، أبيِّنُ آثار هذه القيم في الحفاظ على أمن البلاد وتطورها.

7 - تَعَدَّدَتْ أوجه القوة والثبات في سورة الكهف، أَستخرجُ من السورة صورا لهذه الأوجه، وأبيِّنُ أثرها الإيجابي في الواقع.

8 - تضمنت سورة الكهف مجموعة من النعم التي سخرها الله للإنسان، أتأملُ النعم الواردة في الجدول، وأقترح سلوكات عملية في كيفية التعامل مع هذه النعم:

| النعمة | كيف أحسن التعامل مع هذه النعمة؟ |
| --- | --- |
| القرآن الكريم | |
| القوة والعلم | |
| المال | |

**ثانيا:** قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: « فتصرفه -أي الخضر في أمر السفينة - الظاهر إفساد وفي الواقع إصلاح؛ لأنه من ارتكاب أخف الضررين، وهذا أمر خفي لم يطلع عليه إلا الخضر...، وأما تصرفه في قتل الغلام فليس من مقام التشريع» [التحرير والتنوير13 - 16]

1 - أستخلصُ من النص قاعدة فقهية، وأبيِّنُ وجه مناسبتها لتصرف الخضر.

2 - أَستدلُّ على القاعدة بنصوص شرعية أخرى.

3 - أُبيِّنُ أثر القاعدة في الحد من المفاسد والأضرار، ورعاية المصالح الخاصة والعامة.

4 - ما المراد بما تحته خط في النص؟

5 - أبيِّنُ ما الذي يقتضيه مقام التشريع في حفظ الحياة، مستدلا بنصوص شرعية مناسبة.

6 - كيف أُوفِّقُ بين إنكار موسى عليه السلام وتصرف الخضر؟

## النشاط الثاني

- أتأمل الآيات القرآنية من سورة الكهف، وأستخلص منها القيم والأخلاق التي تضمنتها:

| الآيات | القيمة | خطوات عملية للتخلق بها |
|---|---|---|
| قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾. [ الكهف:1] | | |
| قال تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾. [الكهف :37] | | |
| قال تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾. [الكهف :68] | | |
| قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. [الكهف:24] | | |
| قال تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾. [الكهف :91] | | |
| قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾. [الكهف:76] | | |
| قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ...﴾. [الكهف :36] | | |
| قال تعالى ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾. [الكهف :81] | | |

## النشاط الثالث

1 - أستثمر مكتسباتي من دروس التفسير والبلاغة، وأشتغل على الصور البلاغية في سورة الكهف وفق الجدول أسفله:

| الصورة البلاغية | الشاهد من سورة الكهف | أثرها في المعنى |
|---|---|---|
| | قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾ [الكهف: 14] | |
| | قال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: 11] | |
| | قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: 95] | |
| التشبيه التمثيلي | | |
| الاستعارة التبعية | | |
| المقابلة | | |

2 - أستثمر مكتسباتي في القراءات والتفسير، ثم أملأ الجدول بما يناسب:

| الكلمات القرآنية | الوجوه القرائية | أثرها في المعنى |
|---|---|---|
| | | |
| | | |
| | | |

## النشاط الرابع

❖ **موضوع النشاط:**

إنجازُ بحث موضوعي لقضايا سورة الكهف ومدارسة مضامينها ومقاصدها.

❖ **أنشطة الإعداد:**

**1 - تحديد المحاور:**

- أشارك في الحوار الجاري في الحصة قصد تحديد محاور البحث، وأستأنس بالآتي:
  - العبر والدروس المستفادة من قصة أصحاب الكهف.
  - العبر والدروس المستفادة من قصة صاحب الجنتين.
  - العبر والدروس المستفادة من قصة موسى عليه السلام والخضر.
  - العبر والدروس المستفادة من قصة ذي القرنين.

**2 - تكوين مجموعات تحت إشراف الأستاذ (ة) لتوزيع المهام بين أعضائها:**

- أساعد أصدقائي في توزيع المهام بين أعضاء الفريق وتحديد خطة العمل.
- نختار منسقا لتسيير الحوار والنقاش ومتابعة الأعمال بين الأعضاء.
- نختار مقررا لكتابة ما تم الاتفاق عليه.
- نلتزم بقيم الحوار والتواصل والتشاور والتعاون والإتقان والوفاء بإنجاز المطلوب.

❖ **مرحلة جمع المعطيات وتنظيمها وتركيبها:**

- أجتهد في البحث لإنجاز المحور الذي أسند لفريقي مستعينا بمكتسباتي وبكتب التفسير.
- أعرض نتائج ذلك للمناقشة.
- أساعد في إنجاز تقرير عن المحور المخصص لفريقي.

❖ مرحلة العرض والاستثمار:

- أنصت لعروض المقررين حول أعمال المجموعات.
- أسهم في مناقشة أعمال المجموعات وإغنائها بتوجيه من الأستاذ(ة)
- أسهم بتعاون مع أعضاء المجموعات في صياغة بحث موضوعي للقضايا العلمية والتربوية والقيمية التي تضمنتها سورة الكهف مستثمرا الخلاصات والاستنتاجات النهائية.

# فهرس الأعلام

- **ابن أبي السعود:** هو محمد أبو السعود أفندي بن محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى عماد الدين العمادي الأسكليبي الحنفي، المعروف باسم «أبي السعود أفندي»، شيخ الإسلام ومفتي الدولة العثمانية وأحد قضاتها، توفي سنة 982هـ.
- **ابن بري:** هو علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن، أبو الحسن التازي التسولي الرباطي نسبة إلى رباط تازة، المعروف بابن بري، صاحب أرجوزة «الدرر اللوامع في مقرإ الإمام نافع» التي طبقت شهرتها الآفاق وصارت مرجعا في قراءة نافع وكثرت عليها الشروح. ولادته سنة 660هـ، وتصدر للإقراء بمسجد القرويين، وكانت وفاته سنة 730هـ.
- **ابن الجوزي:** هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري الحنبلي البغدادي، المحدث والمؤرخ صاحب التآليف، ولادته سنة510هـ وتوفي سنة 597هـ.
- **ابن مجاهد:** هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد العطشي التميمي، الإمام الحافظ الأستاذ أبو بكر بن مجاهد البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبَّع السبعة، ولد سنة 245هـ ببغداد، أخذ القراءة عن جلة شيوخ عصره، وذاع صيته وازدحم عليه الطلبة من كل مكان حتى لا يعلم في شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه، أشهر كتبه كتاب «السبعة». توفي سنة 324هـ.
- **ابن عبد البر:** هو أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي المعروف بابن عبد البر، حافظ المغرب، الفقيه المحدث الأديب المقرئ، له العديد من التصانيف والكتب التي سارت بها الركبان، خاصة شرحيه على الموطأ: التمهيد والاستذكار. ولد سنة 368 هـ وتوفي سنة 463 هـ.
- **ابن عبد الحكم:** هو عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن الليث، أبو محمد المصري، مولى عثمان بن عفان. ولد بمصر سنة 150هـ، وقيل: 155هـ، وتتلمذ على الإمام مالك والليث وأشهب وابن القاسم وغيرهم، توفي سنة 210هـ.

- **ابن العربي:** محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، المشهور بالقاضي أبي بكر بن العربي الإشبيلي المالكي الحافظ عالم أهل الأندلس ومسندهم، ولد بإشبيلية سنة 468هـ، وله رحلة مع أبيه إلى المشرق لقي فيها الباقلاني والغزالي، ولي قضاء إشبيلية، له عدة كتب نافعة منها أحكام القرآن والقبس والعواصم من القواصم. مات قريبا من فاس ودفن بها سنة 543هـ.

- **ابن عطية:** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي المالكي الأندلسي، الفقيه المفسر، تلقى العلم من مشايخ الأندلس، ومنهم: أبوه أبو بكر غالب وأبو علي الغساني. له تآليف كثيرة منها: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، توفي سنة 542هـ.

- **ابن القاسم:** هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة، أبو عبد الله العتقي المصري، أحد أعلام تلامذة مالك بمصر فقها وصلاحا وصاحب المدونة ، أصله من الشام من الرملة وسكن مصر، فضائله لا تحصى كثرة . مولده سنة 132 هـ ووفاته سنة 191 هـ.

- **ابن شنبوذ:** هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ البغدادي. شيخ الإقراء بالعراق مع ابن مجاهد، جرت عليه محنة على يد الوزير ابن مقلة ببغداد لحروف كان يقرأ فيها بالشاذ. توفي سنة 328هـ.

- **أبو حاتم:** هو سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد ، الإمام أبو حاتم الجشمي السجستاني ثم البصري، إمام البصرة في النحو واللغة والقراءة، صاحب المصنفات في القراءات، وله كتاب في الرسم والضبط، أخذ عن كبار أئمة اللغة والنحو والقراءة في عصره كالأصمعي وأبي زيد والأخفش وأبي عبيدة ويعقوب الحضرمي وغيرهم. توفي سنة 255 هـ، وقيل: سنة 250هـ.

- **أبو حيان:** محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي أثير الدين أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. من أشهر كتبه: البحر المحيط في تفسير القرآن، ولد في غرناطة، ورحل إلى مالقة. ثم أقام بالقاهرة. وتوفي فيها عام 745 هـ.

- **أبو نصر القشيري:** عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن، أبو نصر القشيري النيسابوري المعروف بابن القشيري، نحوي متكلم وفقيه شافعي، من أنجب تلاميذ إمام الحرمين الجويني. اشتهر بالوعظ والمناظرة على مذهب الأشعرية، توفي سنة 514هـ.
- **أبو عبيد:** هو الإمام الكبير الحافظ العلامة القاسم بن سلام، أبو عبيد الخراساني الأنصاري مولاهم البغدادي، أحد الأعلام المجتهدين، صاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة وغيرها. لم يكن في زمنه أعلم منه. توفي بمكة سنة 224هـ.
- **أبو عبيدة:** هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري النحوي اللغوي، صاحب مجاز القرآن، ولادته سنة 109هـ وتوفي سنة210هـ.
- **أبو علي الفارسي:** هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي، أحد أئمة اللغة والنحو بالمدرسة البغدادية، ومؤلف كتاب الإيضاح في النحو، ولد بفسا سنة 288هـ، وتوفي ببغداد سنة 377 هـ.
- **الأخفش:** هو سعيد بن مسعدة ، أبو الحسن المجاشعي مولاهم الأخفش الأوسط ، أصله من بلخ، وسكن البصرة . أخذ النحو عن سيبويه، وكان أحذق أصحابه ، ثم دخل بغداد فاختاره الكسائي لصحبته، وكان معتزليا رأسا في اللغة والنحو. اختلف في وفاته، فقيل: سنة 210هـ وقيل: 215هـ وقيل : 221هـ.
- **الألوسي:** هو محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي البغدادي، مفسر ومحدث وفقيه، وأديب وشاعر، صاحب تفسير روح المعاني، ولد سنة 1217هـ وتوفي سنة 1270هـ.
- **أشهب:** هو أشهب بن عبد العزيز بن داود، أبو عمرو القيسي العامري الجعدي المصري، اسمه مسكين وأشهب لقب له، روى عن مالك والليث وقرأ على نافع، وانتهت إليه رئاسة المالكية بمصر بعد موت ابن القاسم، مولده سنة 140هـ ووفاته بمصر سنة 204 هـ.
- **ثعلب:** هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم البغدادي، أبو العباس ثعلب. إمام الكوفيين في النحو واللغة. ولادته سنة 200هـ. ووفاته سنة 291هـ.

- **الجوهري:** هو إسماعيل بن حماد، أبو نصر الجوهري، أصله من فاراب ببلاد الترك، كان إماما في اللغة والأدب والأصول والكلام، أخذ عن الفارسي والسيرافي. له الصحاح في اللغة، وهو أحسن تصانيفه، ومات قبل إتمام تبييضه فبيضه بعض تلاميذه، توفي سنة 393هـ.

- **حجاج:** هو حجاج بن محمد الأعور، أبو محمد المصيصي الحافظ. أصله خراساني من ترمذ، نزل بغداد ثم تحول إلى المصيصة، روى عنه أحمد وابن معين وغيرهما، توفي ببغداد سنة 206هـ.

- **الدارمي:** هو الإمام الحافظ عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي الدارمي السجستاني، المكنى بأبي سعيد، أحد أئمة أهل السنة والجماعة وعلمائهم، وأحد أئمة الحديث، صاحب المسند المشهور بسنن الدارمي. ولادته سنة181هـ ووفاته سنة 255هـ.

- **الزجاج:** هو إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، أحد أعلام نحاة البصرة وصاحب كتاب معاني القرآن ، كان يخرط الزجاج، ثم مال إلى النحو فأخذه عن المبرد ومهر فيه. توفي سنة 311هـ.

- **الماوردي:** هو علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي. أكبر قضاة آخر الدولة العباسية، وصاحب التصانيف الكثيرة النافعة، الفقيه الحافظ،ولدبالبصرة سنة 364هـ، وتوفي 450هـ.

- **مكي:** هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسي القيرواني ثم القرطبي النحوي المقرئ صاحب التصانيف. ولد سنة 355 هـ، أصله من القيروان، له رحلة إلى المشرق، وسكن قرطبة. توفي سنة 437هـ.

- **المهدوي:** هو أبو العباس أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي، نسبة إلى المهدية بتونس، الإمام المقرئ المفسر النحوي صاحب المؤلفات النافعة كالهداية إلى مذاهب القراء السبعة، وشرحها وتفسيره «التفصيل» وغيرها، له رحلة إلى المشرق، نزل الأندلس وتوفي بها بمدينة دانية في حدود سنة 440هـ.

- **النحاس:** أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المفسر المصري النحوي المعرف بـــ «النحاس»، صاحب كتاب معاني القرآن، توفي سنة338هـــ.

- **الصاوي:** هو أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي، فقيه مالكي، ولد في إقليم الغربية بمصر، من كتبه بالإضافة إلى حاشيته على تفسير الجلالين، بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير لكتاب أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك للدردير توفي بالمدينة المنورة عام 1241هـــ .

- **الفراء:** هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، أبو زكريا الأسدي مولاهم الديلمي المعروف بالفراء، أحد أئمة المدرسة الكوفية في النحو واللغة، أخذ عن الكسائي وغيره، ونزل الكوفة وأملى بها كتابه معاني القرآن. مات بطريق مكة سنة 207هـــ.

- **القفال:** هو أبو بكر محمد بن علي، القفال الشاشي الكبير، الفقيه الشافعي المحدث الأصولي اللغوي، توفي سنة 336هـــ.

- **السهيلي:** هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ، أبو القاسم وأبو زيد الخثعمي السهيلي المالقي الأندلسي، الإمام الحافظ المحدث النحوي اللغوي العلامة صاحب التصانيف النافعة في السيرة وغيرها. ولد سنة 507 هـــ وأخذ عن جماعة من أهل بلده الأندلس منهم أبو بكر بن العربي وأبو الحسن شريح بن محمد وابن الطراوة وغيرهم ، انتقل إلى مراكش وولي القضاء بها إلى وفاته سنة 581هـــ.

- **السيوطي:** الإمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر المصري السيوطي نسبة إلى أسيوط مدينة في صعيد مصر، عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم،ذكر له من المؤلفات نحو 600 مؤلف. من أشهر كتبه: «الجامع الكبير» و«الإتقان في علوم القرآن». أتم تفسير القرآن العظيم المسمى بـــ «تفسير الجلالين». توفي رحمه الله سنة 911هـــ.

- **الشاطبي:** هو الإمام المقرئ العلم ولي الله القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي أبو القاسم الضرير ، أحد الأعلام ، صاحب حرز الأماني في القراءات السبع وغيرها من القصائد الذائعة الصيت. رحل إلى المشرق، واستقر بمصر إلى أن توفي سنة 590 هـــ .

- **هارون بن موسى:** هو هارون بن موسى، أبو عبد الله وأبو موسى الأعور العتكي البصري الأزدي مولاهم النحوي القارئ، علامة صدوق، له قراءة معروفة، روى له البخاري ومسلم. مات في حدود السبعين ومائة.
- **الواحدي:** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي، صاحب التفسير وإمام علماء التأويل من أولاد التجار، وأصله من ساوه. له عدة تصانيف، منها: البسيط والوسيط والوجيز في التفسير، وأسباب النزول، توفي رحمه الله بنيسابور سنة 468 هـ

# فهرس المصادر والمراجع


- المصحف المحمدي برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، طبعة مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف.
- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط1 / 1394هـ ـ 1974م.
- أحكام القرآن الكريم للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت543هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان، ط3 / 1424هـ ـ 2003م.
- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، نشر دار المعرفة – بيروت.
- الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ نشر دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط3 / 1409هـ ـ 1989م.
- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ – 1992 م.
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبو شهبة، نشر مكتبة السنة ـ ط4 / 1408هـ.

- البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة 1420 هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان ـ نشر الدكتور حسن عباس زكي ـ القاهرة - ط1 / 1419هـ.
- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت463هـ)، تحقيق د. بشار عواد ـ طبعة دار الغرب الإسلامي ـ ط1 / 1422هـ ـ 2002م.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: المشهور بـ«التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
- التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمار لمهدوي (ت440هـ)، تحقيق دار الكمال المتحدة، طبعة وزارة الأوقاف القطرية.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط1 / 1425هـ، طبعة مكتبة دار المنهاج ـ الرياض.
- تلبيس إبليس لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت597هـ)، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت، لبنان، ط1 / 1421هـ ـ2001م
- تفسير أبي السعود « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (ت544هـ)، تحقيق محمد بن تاتويت الطنجي وعبد القادر الصحراوي ومحمد بنشريفة وسعيد أعراب، مطبعة فضالة ـ المحمدية ـ المغرب، ط1 / 1981ـ 1983م ـ
- تفسير الماوردي (النكت والعيون) لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير ـ بالماوردي (ت450هـ)، المحقق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروتـ الطبعة الأولى 1419هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ) تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 2007م ـ 1428هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001 م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه: المعروف بـ «صحيح البخاري»، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي،(المتوفى: 256هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.

- جامع بيان العلم وفضله المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي ـ السعودية، ط1 / 1414هـ ـ 1994م.
- الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ) تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1 / 1418هـ.
- الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع لأبي الحسن علي بن محمد المشهور بابن بري، تحقيق د. توفيق العبقري ـ طبعة مكتبة أولاد الشيخ ـ القاهرة ـ مصر.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ) نشر دار الفكر ـ بيروت.
- ديوان الإمام الشافعي، المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد محمد إبراهيم سليم - مكتبة ابن سينا، القاهرة ـ مصر.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني لأحمد بن عبد النور المالقي ـ تحقيق د. أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم ـ دمشق، ط3 / 1423هـ ـ 2002م.

• روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت1270هـ) تحقيق علي عبد الباري عطية ـ نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 / 1415هـ.

• الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: 581هـ)، تحقيق عمر عبد السلام السلامي ــ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط1 / 1421هـ ـ 2000م.

• زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت597هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط1 / 1422هـ.

• الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت538هـ) نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط3 / 1407هـ.

• مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ)،تحقيق: محمد فؤاد سزگين، نشر مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة 1 / 1381هـ.

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت542هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 / 1422هـ.

• المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي القرطبي الأندلسي (المتوفى: 474هـ) مطبعة السعادة مصر، الطبعة: الأولى، 1332 هـ.

- منظومة حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، تأليف القاسم بن فيره بن خلف الشاطبي الرعيني الأندلسي، ضبط وتصحيح محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى المدينة المنورة، الطبعة الرابعة 1426هـ 2005م.
- المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت ـ مكتبة الرشد ـ الرياض، ط1 / 1409هـ.
- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، ط2 / 1415هـ ـ 1994م.
- مفاتيح الغيب ويسمى التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة، 1420ه.
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1 / 1411هـ ـ 1990م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة.
- الموطأ، للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406 هـ – 1985م.
- النافع في مقرإ الإمام نافع لأبي زيد عبد الرحمن الجادري المديوني ـ مخطوط.

- نور البصر في شرح المختصر في شرح مختصر الشيخ خليل، للإمام أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي (ت1175هـ)، دراسة وتحقيق أحمد فاضل؛ الحسين أبو الوقار؛ عبد العزيز أيت المكي ـ الناشر: المجلس العلمي المحلي بعمالة إنزكان ـ أيت ملول / الطبعة الأولى: 1435هـ / 2014م. طبعة: دار الأمان ـ الرباط.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط1 / 1408هـ ـ 1988م.
- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، إشراف محب الدين الخطيب، رقم أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار المعرفة ـ بيروت.
- الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي، دار إحياء التراث العربي ــ الطبعة الثانية.
- سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430 هـ، 2009 م

- **سنن الترمذي**: لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ.
- **سنن الدرامي** (مسند الدارمي) لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي التميمي (ت255هـ)، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، نشر دار المغني للنشر والتوزيع ـ السعودية ـ ط1 / 1412هـ ـ 2000م.
- **سنن النسائي**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، بتحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، 1406 – 1986.
- **سنن ابن ماجه** لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت273هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ نشر دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي.
- **شرح الزرقاني على الموطأ** لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ط1 / 1424هـ ـ 2003م.

# فهرس الموضوعات

